الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

أبو هلال العسكري ناقداً

أمل عطا الله عبدالكريم المشايخ

عميد كلية الدراسات العليا

إشراف:
د. محمد علي أبو حمدة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية
بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية.
كانون ثاني ١٩٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ٩ / ١ / ١٩٩٦م وأجيزت من قبل:

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
د. محمد علي أبو حمدة	مشرفاً	
د. محمد بركات أبو علي	عضواً	
د. عبدالكريم الحياري	عضواً	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إليهما في عليين: شيئا من البر وبعضاً من الوفاء... إلى أميّ وأبي..

إلى الذي أهداني هذا البحث قبل أن أهديه إليه: صبراً وتشجيعاً ومساندة.. إلى زوجي ورفيق دربي: عاطف الفرايّة..

إلى الذكرى الحيّة من روحين طاهرين.. إلى إخوتي وأخواتي..

إلى كلّ من كان له فضل في إخراج هذا البحث وإنْ كان يسيراً..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

الفصل	العنوان	الصفحة
	قرار لجنة المناقشة	ب
	الإهداء	ج
	المحتويات	د
	ملخص اللغة العربية	ز
	المقدمة	١
الأول	أبو هلال وثقافته وعصره	٨
	١. عصره	٩
	٢. اسمه	١٢
	٣. كنيته	١٣
	٤. نسبته	١٣
	٥. ميلاده ووفاته	١٤
	٦. منصبه	١٤
	٧. أشياخه	١٦
	٨. تلاميذه	١٧
	٩. مؤلّفاته	١٧
الثاني	النقد النظري	٢٢
	أبو هلال العسكري الناقد من خلال القضايا التالية:	
	١. اللفظ والمعنى	٢٣
	٢. السرقات الشعرية	٣٢
	٣. ثقافة الكاتب والناقد والشاعر	٣٩
	٤. البديع	٤٤
الثالث	المصطلح النقدي عند أبي هلال العسكري	٥٢
	. الإبداع	٥٤
	. الإيجاز والإطناب	٥٤
	. البلاغة	٥٧
	. التشبيه	٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل	العنوان	الصفحة
	ـ التطويل (الإطالة)	٦٢
	ـ التكلف	٦٢
	ـ الجزل (الجزالة)	٦٤
	ـ الجودة	٦٦
	ـ الحلاوة والعذوبة	٦٨
	ـ الخروج (التخلص)	٧٠
	ـ الرّصف (التأليف)	٧١
	ـ السّهل (السهولة)	٧٣
	ـ الشعر (النظم، المنظوم)	٧٥
	ـ الصّنعة	٧٧
	ـ الفصاحة	٧٩
	ـ القافية والسّجع	٨٠
	ـ اللّطف (اللّطافة، التلطّف)	٨٢
	ـ المبادئ والمقاطع	٨٤
	ـ النثر	٨٥
	ـ الوزن	٨٥
الرابع	النقد التطبيقي	٨٧
	١. ذوق أبي هلال من خلال المختارات الشعرية	٨٨
	أ. نقد على بيت واحد	٩٣
	ب. نقد على بيتين	١٠١
	جـ. نقد على مجموعة أبيات	١٠٧
	د. النقد على الشعر الجاهلي	١١١
	هـ. موقف أبي هلال من أغراض الشعر:	١١٨
	١. الغزل	١١٨
	٢. المديح	١٢١
	٣. الوصف	١٢٥
	٤. الهجاء	١٢٦
	و. موقفه من المجموعات الشعرية	١٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل	العنوان	الصفحة
	ز ـ موقفه من الشعراء:	١٢٨
	١ـ البحتري	١٢٨
	٢ـ أبو تمام	١٣١
	٣ـ المتنبي	١٣٩
	٢ـ ذوق أبي هلال من خلال المختارات النثرية	١٤٢
الخامس	أثر أبي هلال العسكري في كتب النقد والبلاغة العربية من بعده	١٦٠
	١ـ اللفظ والمعنى	١٦١
	٢ـ الإعجاز	١٦٧
	٣ـ الأسلوب	١٧٠
	٤ـ البلاغة والفصاحة والبديع	١٧٦
	٥ـ السّرقات الأدبية	١٧٩
	٦ـ فن الشعر	١٨٢
	٧ـ الخيال والتشبيه	١٨٨
	٨ـ الصدق والكذب الفنّي	١٩٠
	٩ـ ثقافة الشاعر والكاتب والنّاقد	١٩٣
	١٠ـ أبو تمام والبحتري والمتنبي	١٩٦
	ـ الخاتمة	١٩٨
	ـ المصادر	٢٠٤
	ـ المراجع	٢١١
	ـ دواوين الشعر	٢١٣
	ـ المجلات	٢١٤
	ـ المراجع الأجنبية	٢١٤
	ـ الملخص باللغة الإنجليزية (ABSTRACT)	٢١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

أبو هلال العسكري ناقداً

أمل عطا الله عبدالكريم المشايخ

اسم المشرف د. محمد علي أبو حمدة

أبو هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥ هـ) علم من أعلام النقد والبلاغة في القرن الرابع الهجري. الذي يوصف بأنه عصر الإسلام الذهبي. نشأ فقيراً يبيع ويشتري في السوق، وتتلمذ على عدد من شيوخ عصره وكان أشهرهم خاله أبو أحمد العسكري (ت ٣٨١ هـ) صاحب كتاب «المصون في الأدب»، وله أخبار مع الصاحب بن عباد الوزير ترويها كتب الأدب.

ألف أبو هلال كتاب «الصناعتين: الكتابة والشعر» الذي جمع فيه فنون النقد والبلاغة منذ القديم وحتى عصره.

تعنى هذه الدراسة بتتبع المقاييس النقدية في مجال الشعر والنثر من خلال كتاب «الصناعتين» وذلك بهدف صياغة النظرية النقدية عند أبي هلال، ولذلك جعلت دراستي هذه في فصول خمسة درست في الأول منها حياة أبي هلال الخاصة وظروف عصره، ودرستُ في الفصل الثاني النقد النظري عند أبي هلال من خلال أربع قضايا محورية شغلت الدارسين قبله وبعده هي: اللفظ والمعنى، وثقافة الكاتب والناقد والشاعر والسرقات الأدبية والبديع. وجعلت الفصل الثالث للنقد التطبيقي وذلك بمحاولة تبين ذوق أبي هلال من خلال مختاراته الشعرية والنثرية: أما في مختاراته الشعرية فدرست نقده على البيت الواحد والبيتين ومجموعة الأبيات والقصيدة، وشعر الشاعر وركزت على ثلاثة من الفحول هم أبو تمام والبحتري والمتنبي وتبينت من خلال هذا الفصل أن أبا هلال حاول أن يقف موقف الحكم العادل من هذه القضايا جميعاً، كما لاحظت غلبة الشعر على النثر في كتاب «الصناعتين». وقد خصصت الفصل الخامس الأخير. لتبين أثر أبي هلال في كتب النقد والبلاغة العربية بعده يستوي في ذلك من وافقه أو خالفه في آرائه فوجدت لآرائه صدى بعيداً عند من بعده تؤكد رُسوخ قدمه في صناعته.

والملاحظ في عصر أبي هلال أن البلاغة لا تختلف عن النقد من حيث الموضوع لأن موضوع كل منهما الأدب، ولكن البلاغة تختلف عن النقد من حيث المعالجة وطريقة العرض وفي كل آرائه كان أبو هلال يصدر عن علم غزير وذوق رفيع وظلت آراؤه محوراً للدارسين بعده.

وأخيراً أقول أن أبا هلال كان واحداً من الذين أرسوا دعائم النظرية النقدية العربية، ويؤكد أصالتها على الرغم مما واجهها من تيارات أجنبية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

أبو هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥) علم من أعلام النقد والبلاغة في القرن الرّابع الهجري، ألفّ عدّة كتب في معارف شتى، منها كتاب وضع فيه مقاييس نقدية وبلاغية، ذلك هو كتاب «الصناعتين» الذي سيكون محوراً تدور حوله هذه الدراسة، وثمة كتب أخرى سأذكرها بالتفصيل في الفصل الأول من هذا البحث.

تهدف هذه الدراسة الى إلقاء الضوء على شخصية أبي هلال النقدية من النواحي التالية:

١. جلاء القضايا النقدية التي أهتمّ بها أبو هلال كالنظم وما يتصل به من قضايا كاللفظ والمعنى، وقضية أجناس الكلام[١] الثلاثة: الرسائل والخطب، والشعر، وما يلزم الكاتب من عُدة ثقافية تعينه في صنعته وأغراض الشعر، وتقسيمه لها، وما يستملح في كل منها، وقضيّة الإبداع وما يتصل بها من قضايا كالتقليد، وعدد من القضايا النقدية الأخري.

٢. التراث النقدي الذي أفاد منه أبو هلال.

٣. منزلة أبي هلال بين النقد والبلاغة، إذ يشتمل كتابه «الصناعتين» على قضايا بلاغية فضلاً عما فيه من قضايا نقدية.

٤. النقد التطبيقي عند أبي هلال في مجالي الشعر والنثر، والمقاييس التي استند اليها في آرائه النقدية.

ألف أبو هلال كتابه لمّا رأى ما يخلط به الكتاب والشعراء فيما يختارون من الكلام. ثم إنه أراد ان يضيف كتابا متخصصا فيما يحتاج إليه الكاتب في صنعة الكلام: شعره، ونثره، وليس كما فعل الجاحظ في «البيان والتبيين» إذ بثّ حدود البلاغة وأقسام البيان في تضاعيف كتابه، والتي تحتاج الى كبير جهد لاستخراجها، علي الرغم من أنّ أبا هلال قد أشاد بالكتاب وبصاحبه.

أفاض أبو هلال في الباب الأول من «الصناعتين» في تعريف البلاغة والفصاحة، وقد ذكر البيان إذ يقرر في نهاية الباب الأول أنّه جاء من نعوت البلاغة، ووجوه البيان والفصاحة، ولم يسبقه أحدٌ الى تفسير هذه الأبواب[٢]. ومن البداية أشار الى أنّه يدرس البلاغة لفهم إعجاز القرآن وأهداف أُخر كما أشرت. فهل البلاغة والنقد عند أبي هلال شيء واحد؟ أم هما شيئان مختلفان؟

---

(١) كذا يسميها أبو هلال ينظر كتاب «الصناعتين» تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم. (القاهرة، ١٩٥٢): ٥٩.

(٢) ينظر كتاب الصناعتين: ١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكاد النقاد، قدماء ومحدثون، يجمعون على أن النقد يعني تمييز جيد الكلام من رديئه[١]، يقول أبو هلال عن علم البلاغة: «إنّ صاحب العربيّة إذا أخلّ بطلبه وفرّط في التماسه، ففاتته فضيلته، وعلقت به رذيلة فوته، عفى على جميع محاسنه، وعمي عن سائر فضائله، لأنه إذا لم يفرّق بين كلام جيّد وآخر رديء، ولفظ حسن وآخر قبيح، وشعر نادر وآخر بارد... بأن جهله وظهر نقصه»[٢]. فأبو هلال هنا يجعل البلاغة والنقد شيئاً واحداً ولعلّ هذا ما يفسّر اختلاط الموضوعات النقدية بالبلاغية في كتاب «الصناعتين» هذا الاختلاط الذي شهده القرن الرابع الهجري عامة.

أمّا كيف اختلط النقد بالبلاغة عند العرب فيدلّنا عليه تطوّر مفهوم البيان عندهم. إذ لم يكن البيان في بداياته، كما هو الحال عند الجاحظ مثلاً، ذلك النوع من أنواع البلاغة (البيان، المعاني، البديع) وإنّما كان ذا معنى أعم من ذلك إذ كان يشمل تلك الأنواع الثلاثة جميعا، فكان يعني الإفصاح عمّا في النفس من أفكار وخواطر مما يشتمل عليه الكلام من عناصر الحسن أو خلاف ذلك. وهذا العلم اختلف باختلاف رجاله، فهو عند المتكلمين لا سيّما المعتزلة غيره عند أصحاب الجدل والحوار، وغيره عند جماعة من الكتاب حملوا إليه شيئاً من أمزجتهم الأجنبية.

وقد أفاد العرب من هذه الأسس التي وضعها هؤلاء الرّجال: أفادوا منها في محاولاتهم لينالوا منها ما يريدون من التأثير والإقناع؟ فالشاعر مثلا عليه أن يتجنب الغريب من اللّفظ، وأن يحسن اختيار القوافي... الخ وذلك يعني أنّ البيان في طوره الأول كان إرشادا وتعليما للخطباء ولرجال الفرق المذهبية، ولدعاة المذاهب السياسية، وقد تطور البيان بتطور الحياة الفكرية للأدب، وتغيّرت نظرة العرب أنفسهم إلى البيان بتطور الحياة الفكرية للأدب، وتغيّرت نظرة العرب أنفسهم الى البيان، وأصبح للبيان دور غير دوره الأول ليشمل الهداية إلى صناعة الأدب وفنونه المختلفة. قلت أصبح البيان يخوض في تحليل عناصر الأدب، وكان هذا التحليل ممتزجاً بروح فلسفية عند قدامة بن جعفر في نقد الشعر، وكان تحليلا أدنى الى الذوق الأدبي عند أبي هلال العسكري في الصناعتين. بالإضافة الى الغرض السابق - تحليل عناصر الأدب - أصبح البيان يُدرس لغرض دينيّ هو فهم إعجاز القرآن، ولا يكون فهم إعجازه إلاّ بمعرفة مناحي القول

---

(١) ينظر مثلا: أ. اللسان مادة نقد، ب. طبقات فحول الشعر، محمد بن سلاّم الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، (القاهرة، ١٩٧٤)، ١: ٥ جـ نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، (القاهرة، ١٩٦٣): ١٣-١٤، د. النقد الأدبي، أحمد أمين، (بيروت، ١٩٦٧) ١ ١٧.

(٢) ينظر كتاب الصناعتين ٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عند العرب، والحسن من كلامهم. وبذلك لم يعد علم البيان هداية وإرشاداً، بل تحليلاً ونقداً[١]. وما فعله أبو هلال يفسر الغرضين معا إذ يذكر أبو هلال في مقدمة الصناعتين أنّه ألف كتابه لغرض ديني هو فهم إعجاز القرآن، كما أنّ نظرة سريعة في أبواب كتابه العشرة توضح جانب تحليل عناصر الأدب الذي أشرتُ إليه. لقد خطا النقد - في عصر أبي هلال - خطوات باتجاه تقنين كثير من المسائل. لذا نرى أبا هلال قد عني بالتقسيم والتقنين فجعل من النقد الذي يعتمد على الذوق فناً أقرب إلى علم منظم واضح المعالم[٢]. يتخذ من البلاغة سبيلاً لتقعيد القواعد وتعليم الصنعة أو الصناعتين كما أراد أبو هلال.

أما انجازات القرن الرابع فتكشف عن اتجاهين متباينين من اتجاهات الحركة النقدية يتعلق أولهما بالجانب النظري الذي يبحث في فن القول: شعراً ونثراً منها كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر[٣]، والصناعتين لأبي هلال العسكري. أما الاتجاه الآخر فيتعلق بالجانب التطبيقي الذي يتناول الشعر والشعراء بدراسة عملية شاملة وموسعة تستند على عدد من الأسس الموضوعية والمقاييس النقدية منها «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني[٤]، والموازنة للحسن بن بشر الآمدي[٥] والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني إضافة الى الكتب التي تبحث في مسألة السرقات الشعرية، الأمر الذي يدفع النقاد الى اعتبار النقد في هذا القرن قد اقرّت مبادئه وتوضحت مشكلاته وتحددت قضاياه ومصطلحاته واكتسب الصيغة المنهجية بمفهومها العلمي الدّقيق.

أما أبو هلال فقد تناولته مصادر النقد العربي في معرض تأريخها لحركة هذا النقد على نحو ما رأينا عند طه ابراهيم في كتابه «تاريخ النقد الأدبي عند العرب»، ومحمد زغلول سلام في كتابيه «أثر القرآن في

---

(١) ينظر في ذلك كله: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه أحمد ابراهيم (بيروت، بلا تاريخ): ١ وما بعدها، كذلك ينظر: البيان العربي، بدوي طبانه (القاهرة، ١٩٦٨) ط.١١ وما بعدها

(٢) ينظر، النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، هند حسين طه، العراق، ١٩٨٠، ٣٢٢.

(٣) هو ابو الفرج قدامة بن جعفر، ولد في بغداد سنة ٢٧٥هـ ونشأ فيها على النصرانية، ثم دخل الاسلام على يد المكتفي تعلم اللغة والأدب والمنطق والبلاغة وهو ما غلب عليه اشهر كتبه نقد الشعر، ينظر في ترجمته مثلا: الفهرست: ١٣٠، معجم الأدباء ١٧ ١٢ ـ ١٥، بروكلمان ١: ٢٦٢

(٤) هو ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد أحمد الأصفهاني (أو الأصبهاني) أموي قرشي ولد بأصبهان سنة ٢٨٤هـ واليها ينسب، أشهر كتبه الأغاني توفي بغداد سنة ٣٥٦هـ ترجمته في ينظر مثلا. معجم الأدباء ١٣: ٩٤ ـ ١٣٦، وفيات الأعيان: ٣: ١٠ ـ ١٢ ابناء الرواة ٣ ٢٥١ ـ ٢٥٣.

(٥) هو الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي. الكاتب النحوي من أهل البصرة. أخذ عن الأخفش الأصغر، وأبي اسحق الزّجاج، وأبي بكر بن دريد. مات بالبصرة سنة ٣٧١ هـ، أشهر كتبه الموازنة ترجمته في الفهرست. ١٥٥، بروكلمان ١: ١١٢، بغية الوعاة ٢١٨، معجم الأدباء ٢ ٧٥ ـ ٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تطور النقد العربي الى آخر القرن الرابع الهجري» و«تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري» والذي عمد فيه الى دراسة منهجية شاملة تضم شتات النقد العربي منذ أقدم عصوره الى نهاية القرن الرابع مختتما حديثه بكتاب نقد النثر الذي كان ينسب لقدامة بن جعفر. ومحمد مندور في كتابه «النقد المنهجي عند العرب».

وعند الغرب نجد محاولة فون جريتباوم في دراسة الاتجاهات النقدية في القرن الرابع الهجري عندما نشر كتاب الباقلاني[١] في الإعجاز مع دراسة له. وكذلك محاولة «هلموت ريتر» الذي نشر كتاب «أسرار البلاغة»، وضمنه مقدمة كتاريخ النقد، ومحاولة «كراتشكو فسكي» الذي نشر كتاب البديع لابن المعتز وعرض فيه لتاريخ النقد وعلم البديع.

وتكاد تجمع هذه الدراسات على أن أبا هلال العسكري ينتمي الى طبقة الأدباء الذين اهتموا بدراسة البيان العربي بما في ذلك الشعر والخطابة والنوادر والأمثال والرسائل، وهو ما فعله أبو هلال في «الصناعتين» مترسما خُطى أستاذه الجاحظ الذي يُعدُ رأس هذه الطبقة

أما العوامل التي كان لها تأثير مباشر في القرن الرابع فتعد امتدادا لتلك العوامل التي أثرت على هذا النقد في القرن الثالث وتتلخص في:

١. تطور الدراسات القرآنية وأهمها «إعجاز القرآن» للباقلاني و«النكت في مجاز القرآن» للرماني[٢].

٢. الثقافة الاجنبية إذ سيطرت في هذا القرن ثقافات اجنبية أثرت في الفكر وفي الثقافة في آن معا كما نشطت حركة الترجمة مما أثرّ في اختلاف الأمزجة وتباين مذاهب المؤلفين من لغويين ومتكلمين وأدباء.

٣. الصراع بين القديم والمحدث الذي يتمثل في الالتزام بطريقة العرب ومدرسة الصنعة التي بدأها قدامة ويتصل بهذه القضية الخلاف حول أبي تمام والبحتري ثم المتنبي بعدهما. إذ يمثل هذا الخلاف جانبا من الصراع حول القديم والجديد فالبحتري يمثل المدرسة التي التزمت طريقة العرب أو عمود الشعر كما يمثل أبو تمام وبعده المتنبي مدرسة الصنعة والغموض التي تحتاج الى إعمال الفكر ولا تلتزم عمود الشعر.

٤. ظهور المذهب البياني الذي يهدف الى التأنق ذلك ان الأدباء شغلوا بالتعبير الشعري من حيث

---

(١) هو ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني. ولد في البصرة بعد سنة ٣٣٠ هـ، ونشأ في بغداد، ويُعد من أعلام الأدب والبلاغة توفي في بغداد سنة ٤٠٣ هـ اشهر كتبه إعجاز القرآن. ينظر الوافي بالوفيات ٣:١٧٧.

(٢) هو أبو الحسن علي بن عيسى الرمانيّ الأخشيدي البغدادي وأصله من سامرا ولد في بغداد سنة ٢٧٦ هـ. كان إمامًا في عالم العربية. علامة في الأدب. له تصانيف أشهرها كتاب «إعجاز القران» ت ٣٨٤ هـ يُنظر في ترجمته بغية الوعاة: ٣٤٤، شذرات الذهب ٣: ١٠٩، بروكلمان ١: ١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ماهيته، ومهمته وأدواته وغذت النظرية الشعرية في ذاتها. وتخير الكلام موضوعاً محبباً الى رجال الأدب، وأهم كتاب يمثل تلك العناية «نقد الشعر» لقدامة ثم نقد النثر لاسحق بن وهب، ثم الصناعتين لأبي هلال .

٥. قضية الطبقات وأخصّ بالذكر جهود الأصمعي وابن سلام وابن المعتز.

قلت إن أبا هلال يعدُ امتدادا لمدرسة النقاد الأدباء الذين يقف الجاحظ على رأسهم. اولئك النقاد الذين عُرفوا بحسن الذوق، وشمولية النظرة في العمل الأدبي. إذ لم يكتفوا بالوقوف عند العمل الأدبي وحسب بل تجاوزا ذلك الى الأدب ومقوماته وتجاوزوا الشعر الى فنون أخرى كالخطابة والرسائل.. لذلك عُني به المحدثون في دراساتهم كما أشرت.

فأمّا أول دراسة خصصت لأبي هلال فهي دراسة د. بدوي طبانة تحت عنوان : «أبو هلال ومقاييسه البلاغية» والتي تقدم بها لنيل درجة «الماجستير» عام ١٩٥١ وله فضل الريادة والسّبق على قلة المصادر المطبوعة إذ كانت معظمها مخطوطات متفرقة في مكتبات العالم.

وأما الدراسة الثانية فكانت بعنوان «تقييم آراء ابي هلال العسكري في كتاب الصناعتين من خلال الأسلوبية الحديثة» قدمها الباحث «مراد بن عياد» للجامعة التونسية لنيل درجة الماجستير عام ١٩٨٠ وقد حصلت على ملخص لأبواب هذه الرسالة من الجامعة التونسية. وقد تناول فيها أنماط الخطاب وهياكله ومميزاته وعلاقاته من تعبيرية، وخطابية، وصوتية وجمالية وأسلوبية انشائية، وتركيبية توزيعية ودلالية منطقية وكلامية جدلية...الخ

وأما الدراسة الثالثة فكانت بعنوان «المصطلح البلاغي عند أبي هلال العسكري» قدمها الباحث «عبدالرحيم شهاب» لجامعة اليرموك عام ١٩٩٠م.

والملاحظ من خلال الرسائل الجامعية أو الأبحاث التي عكف عليها الدارسون أنهم تناولوا أبا هلال من خلال تأريخهم للأدب والنقد ولأن دراساتهم تشمل أبا هلال ونقاد عصره وسابقيه ولاحقيه من النقاد فإنها تلخص مضمون كتابه تلخيصاً مبتسراً لا توضح ما فيه من وقفات فنية ولفتات نقدية عميقة لا لقصور فيها وإنما لسعة الشريحة المختارة للدراسة وبالتالي لا يأخذ أبو هلال- أو غيره- من الدراسة إلاّ نصيباً قليلاً، والملاحظ أيضاً أن الكتب التي خصصت لأبي هلال قد تناولته بلاغياً أكثر منه ناقداً مما يجعل دارستي هذه جديدة في موضوعها من أجل ذلك كله جعلت دراستي في فصول خمسة.

أما الفصل الأول فقد تناولت فيه سيرة أبي هلال ، وثقافته واثاره وأما الفصل الثاني فخصصته للنقد النظري عند أبي هلال وقد اخترت أربع قضايا محورية هي:

١. اللفظ والمعنى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ـ السرقات الأدبية.

٣ـ ثقافة الكاتب والشاعر والناقد.

٤ـ البديع.

فأمّا اللفظ والمعنى فكان قضية شغلت النقاد من العصر الجاهلي الذي شهد بدايات لهذه القضية حتى عصرنا الرّاهن الذي يكثر فيه الحديث عن الشكل والمضمون.

والسرقات الأدبية قضية عالمية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقضية اللفظ والمعنى ولها أسبابها وأصولها وتقسيماتها عند النقاد.

وأما ثقافة الكاتب والشاعر والناقد فقضية تناولها القدماء عندما تحدثوا عن العلوم التي ينبغي ان يتعلمها والصفات التي ينبغي أن يتجنبها على نحو ما نرى في رسالة عبدالحميد الكاتب الى الكتاب مثلا[1].

وما زالت هذه القضية موضوعا يتناوله النقاد عندما يتحدثون عن الأدوات الإبداعية التي تلزم الأديب والمثقف في الفنون الأدبية المختلفة على نحو ما سنرى في الفصل الآخير من هذه الدراسة.

والبديع قضية نقدية على الرغم من مساسها بالبلاغة أكثر من النقد، ذلك لأن أبا هلال كمعظم نقاد عصره جعل البديع قاعدة ينطلق منها لإثبات مسألة الإعجاز.

وأما الفصل الثالث فجعلته للمصطلح النقدي عند أبي هلال تناولت فيه عشرين مصطلحا نقديا تكررت في كتاب «الصناعتين» وقد تتبعت هذه المصطلحات عند النقاد الأوائل الى أن وصلت أبا هلال لأرى مدى التوافق أو الاختلاف في معنى المصطلح عند أبي هلال ومن سبقه.

وجعلت الفصل الرابع لمقاييس الذوق عند أبي هلال من خلال مختاراته الشعرية أولاً ثم مختاراته النثرية.

فأما المختارات الشعرية فشملت البيت الواحد والبيتين ومجموعة الأبيات والقصائد وشعر الشاعر والمجموعات الشعرية وأما النثر فقد شمل القرآن الكريم والحديث الشريف، والرسائل والخطب والكتب الرسمية.. الخ. موضحة ذلك كلّه بفيض من الأمثلة.

وجعلت الفصل الخامس ـ الأخير ـ لأثر أبي هلال فيمن جاء بعده من النقاد مع قدر من الموازنة مع النقاد المحدثين من عرب وأجانب.

والشكر لأستاذي المفضال «محمد علي أبو حمده» الذي لم يضن بخبرته أو معرفته حتى خرج هذا

---

(١) ينظر نص الرسالة في «الوزراء والكتاب» للجهشياري (محمد بن عبدوس الكوفي ت ٣٣١هـ)ط مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٨، تحقيق مصطفى السقا. وابراهيم الابياري. وعبدالحفيظ شلبي. ٧٣ و«صبح الأعشى في صناعة الإنشا لأبي العباس احمد بن علي القلقشندي ت(٨٢١هـ) المؤسسة المصرية العامة (بلا تاريخ) ١: ٨٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع بحثاً الى حيّز الوجود.

وكل العرفان لأستاذي الكريم د. نصرت عبدالرحمن المشرف السابق على هذا البحث الذي وجهني خير توجيه الى مصادر هذه الدراسة بعلم الأستاذ، وحنان الآب.

والشكر والامتنان لأستاذي الفاضل د. محمد بركات ابو علي وأستاذي الكريم عبدالكريم الحياري والأستاذ الفاضل د. جاسر ابو صفية والعالم الجليل د. إحسان عباس الذين لم يبخلوا بما يمتلكون من رسائل ومخطوطات وتوجيهات في مجال النقد والبلاغة.

والشكر للعاملين في مكتبة الجامعة الاردنية ومكتبة آل البيت لبحوث الحضارة الاسلامية لجليل مساعدتهم في الحصول على المصادر والمراجع والرسائل والمخطوطات.

والشكر للجامعة التونسية بما زودتني به من ملخص لبعض الرسائل التي تخص الموضوع.

والشكر لكل من نسيت أو أغفلت وكان له فضل في إنجاز هذه الدراسة وان كان يسيرا.

راجية أن أكون قد حققت بعض الغاية وأصبت شيئاً من الهدف. وما توفيقي إلاّ بالله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

أبو هلال العسكري وثقافته وعصره

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبو هلال العسكري وثقافته وعصره

أبو هلال العسكري علم من أعلام القرن الرّابع الهجري الذي يمثل عصر النهضة في تاريخ المسلمين. كما أشرت في مقدمة هذه الدراسة. وقبل الخوض في حياة أبي هلال لا بدّ من التوقف هنيهة عند عصره إيماناً منا بأن الأديب ابن بيئته ليس معزولاً عنها تأثرا وتأثيراً.

٤٧٠١٣٤

١. عصره:

العصر البويهي هو العصر العباسي الثالث، ويوصف بأنه عصر نفوذ الفرس في بلاد فارس، والعراق، وكان مناهضا للنفوذ التركي الذي سيطر على الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري «العصر العباسي الثاني»[١].

أحتلّ علي بن بويه مدينة شيراز واتخذها مقراً لحكمه، واتّجه أخوه الحسن الى بلاد الجبال أو عراق العجم، فاحتلها واستقر فيها.

واتّجه احمد بن بويه جنوبا نحو بلاد كرمان والأهواز (حوزستان) فاحتلها وصار بذلك مطلاً على العراق مترقباً الفرصة المناسبة للتدخل في شؤونه، وقد شهد العراق اضطراباً سياسياً واقتصادياً بسبب تنازع الاتراك على منصب إمرة الأمراء، وعجزهم عن دفع أرزاق الجند وحفظ الأمن في البلاد.

أماّ اهل العراق فأخذوا يتطلعون الى أحمد بن بويه على أنّه المخلص لهم من ظلم الاتراك، فطلبوا قدومه ووعدوه بالتأييد، وقد استغلّ أحمد بن بويه هذه الفرصة، وزحف بجنوده نحو بغداد سنة ٣٣٤ هـ، وبايع الخليفة المستكفي الذي قلدّه منصب أمير، ومنحه لقب معز الدولة. كما منح أخاه علياً لقب عماد الدولة، وأخاه الحسن لقب ركن الدولة.

لكنّ علاقة البوبهيين بالخليفة المستكفي سرعان ما ساءت بسبب غياب الثقة إذ اتهمه معزّ الدّولة انه يعمل في الخفاء لإزالته وإعادة الأتراك الى الحكم، ثم خلعه وبايع ابن عمه المطيع بالخلافة عام ٣٣٤-٣٦٣ هـ، ظلّ الخلفاء في عهد النفوذ البويهي. كما كانوا في عهد النفوذ التركي. خلفاء بلا نفوذ إلاّ في بعض المظاهر الدينية بالحكم، واتخذ لقب ملك أو شاهنشاه بدلاً من لقب أمير الامراء الذي كان سائداً في العصر التركيّ ومع ذلك فقد حرص البويهيون على إظهار الولاء لمقام الخليفة العباسي أمام الناس نظراً للنفوذ الدينيّ

---

(١) ينظر ابن طباطبا (صفي الدين محمد بن علي ت ٦٦٠هـ). الفخري في الآداب السلطانية. بيروت. ١٩٦٦: ٢٠٤ وما بعدها والدولة البويهية هي احدى ثلاث دول تساقطت من الخلافة العباسية، ثم كان لها أثر كبير في الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية وهي الأخشيدية والحمدانية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

أبو هلال العسكري وثقافته وعصره

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي كان يتمتع به بين المسلمين[١] .

ومما يلاحظ ان الخلافة العباسية كانت سنيّة المذهب ، بينما كان بنو بويه شيعة على مذهب الزيدية وقد كان هذا المذهب قد انتشر في بلادهم «الديلم جنوبي بحر قزوين على يد الحسن بن علي الزيديّ الملقب بالأطروش ، كما يلاحظ أن السياسية البويهية كانت سياسة مرنة حرص البويهيون فيها على إظهار الولاء للخلافة العباسية السنيّة، كما حرصوا في الوقت نفسه على توثيق علاقاتهم بالخلافة الفاطمية الشيعية في مصر.

أما الخلفاء العباسيون فقد تولى منهم الخلافة زمن البويهيين أربع : أولهم المستكفي الذي عزلوه في بداية حكمهم سنة ٣٣٤ هـ ثم المطيع الذي تولىّ الخلافة من ٣٣٤-٣٦٣هـ، ثم الطائع الذي تولىّ الخلافة من ٣٦٣هـ ٣٨١ هـ ، ثم القادر من ٣٨١ هـ-٤٢٢ هـ والذي انتهت دولة بني بويه في عهده[٢]

قام بنو بويه بعدة إصلاحات داخلية في البلاد التي خضعت لنفوذهم مثل العراق ، وفارس ، وكرمان والرّيّ وهمذان، وأصفهان واهتموا بصفة خاصة بإصلاح أنظمة الريّ، وعمل السدود لا سيما المشروعات العمرانية التي قام بها عضد الدولة الذي حكم خمساً وثلاثين سنة ازدهرت الحياة العلمية والأدبية على عهد بني بويه ازدهاراً كبيراً وذلك ما أحراد عضد الدولة على الفقهاء والمحدّثين ، والمتكلمين والمفسّرين ، والنّحاة، والشعراء، والنسّابين، والأطباء ، والحسّاب والمهندسين[٣]. وقد صنفت في أيامه المصنّفات الرّائعة في أجناس العلوم المتفرقة منها كتاب الإيضاح في النحو وكتاب الحجة في القراءات السبع لأبي علي الفارسي[٤] وكان عضد الدولة شاعراً يحبّ الشعراء . وكان المتنبي أحد الذين اتصّلوا به ومدحوه[٥] وقد جمع شعراء بني بويه بين الرّياسة والعلم ، وينتمي معظمهم الى الفرس، ومن أشهرهم أبو الفضل بن

---

(١) ينظر ابن مسكويه، تجارب الامم، (القاهرة ،١٩١٤) ٢ : ٤١٧

(٢) في تفاصيل أخبار هذه الدولة ينظر ابو المحاسن بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، (القاهرة، ١٩٣٢)، ٤ ، ١٢٤

(٣) ينظر ابن الاثير عز الدين ابو الحسين الشيباني الكامل في التاريخ (بيروت ،١٩٦٧) : ٨ ٧٠٤ وما بعدها

(٤) ابن الوردي ، تتمة المختصر في اخبار البشر ، إشراف وتحقيق أحمد البدراوي. بيروت، ١٩٧٠ ١: ٣٠٥

(٥) هو الحسن بن علي الشيرازي، ولد سنة ٢٨٨ هـ في مدينة فسا (أوبسا) الاب فارسي وأم عربية ، قدم بغداد سنة ٣٠٧ هـ له الايضاح والتكملة ، برع في النحو له كتب تعرف بالمسائل كالبغدادية والحلبية توفي في بغداد سنة ٣٧٧ هـ ينظر في ترجمته الفهرست ٦٤٠، طبقات الزبيدي ٨٦، تاريخ بغداد : ٧ ٣٤١ ، ٣٤٢ معجم الادباء ٧ ٢٣٢ ، ٢٦١.

(٦) ينظر تتمة المختصر : ١ : ٣٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العميد [١](ت. ٣٦٠ هـ) وكان وزيرا للملك ركن الدولة صاحب الريّ وهمذان وأصفهان، وكان له أثر كبير في تنشئته ولده عضد الدولة وتعليمه أصلحَ الطرق لتدبير ملكه في العراق وفارس ولذلك كان عضد الدولة يسميه الأستاذ الرئيس[٢].

وكان من أتباع الوزير ابن العميد الصاحب بن عباد الذي خلفه في الوزارة بعد ذلك (ت ٣٨٥ هـ) وهو فارسي أيضاً[٣]. وذكر أنه قد أنشأ في بغداد داراً للعلم وألحق بها مكتبة ضخمة بلغ عدد مجلداتها عشرة آلاف كتاب[٤].

بعد مئة عام من قيام الدولة البويهية أخذت في الضعف والانتقاص نتيجة للانقسامات والحروب التي كثرت بين أفراد الاسرة البويهية، ثم لم تلبث هذه الخلافات ان انتقلت عدواها الى الطوائف الاخرى كالسّنة، والشّيعة والترك والديلم.

ولقد كانت نهاية دولة بني بويه على يد الاتراك السّلاجقة حينما دخل زعيمهم طغر لبك مدينة بغداد سنة ٤٤٧ هـ وقضى على دولة الملك الرّحيم آخر ملوك البويهيين[٥] أما ظروف العصر الاقتصادية فأورد صورة منها وهي ما ذكره أبن مسكويه وهو يؤرخ لحوادث سنة ٣٣٤ هـ اذ يقول :«في هذه السنة أفرط الغلاء حتي عدم النّاس الخبز البتة، وأكل النّاس الموتي والحشيش والميتة والجيف ...»

فهذه هي الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي نشأ فيها ابو هلال العسكري ولئن كانت هذه الظروف صعبة عصيبة على ما ذكره الرّواة والمحدثون فكيف نشأ ابو هلال في ظل هذا العصر الذي شهد تناقضاً بين تقدّم علمي وادبي وتردّ اقتصادي سياسي؟

---

(١) هو ابو الفضل محمد بن العميد ابي عبدالله الحسن، والعميد لقب والده. وُلد نحو سنة ٣٠٠ هـ ونشأ في بيئة علم وفضيلة، لا يعرف له أشياخ على وجه التحديد، لكنه كان عارفا بالفلسفة والادب والتاريخ، ولي الوزارة لركن الدولة بن بويه سنة ٣٢٨ هـ، كان يسمى الجاحظ الثاني لفضله في الكتابة توفي سنة ٣٦٠ هـ ينظر في ترجمته وفيات الاعيان: ٢:٤٦٣-٤٧، شذرات الذهب ٣ ١٢-١٤

(٢) تجارب الامم :٢: ٢٨١ وما بعدها.

(٣) هو كافي الكفاة ابو القاسم اسماعيل بن أبي الحسن عبّاد ولد في الطالقان من أعمال بحر قزوين في بيت علم وجاه، بدأ حياته في خدمة ابن العميد وكثرة ملازمته له حتى لقب بـ (الصاحب). وكان أديبا مترسلاً تتخير ألفاظه، له كتاب الوقف والابتداء، والكشف عن مساوي المتنبي، وديوان الشعر ديوان رسائل ت ٣٧٥ هـ ينظر في ترجمته الفهرست : ١٣٥ وفيات الاعيان، ١٣١-١٣٤، أنباه الرواة ١ ٢٠١-٢٠٣

(٤) ينظر الكامل في التاريخ :٩: ٣٧. ينظر المقريزي (تقي الدين ابو العبّاس احمد بن علي ت ٨٤٥ هـ. اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الخلفا تحقيق جمال الدين الشيّال. دار الفكر العربي. ١٩٤٨ :٣٨ وما بعدها

(٥) ياقوت الحموي، معجم الادباء، (مصر، بلا تاريخ) ٨: ٢٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ـ اسمه :

هو أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري هذا اسمه الذي اورده ياقوت الحموي، وقد تبعه المؤرّخون في هذا إلاّ صاحب أنباه الرواة[٣]، وصاحب دمية القصر[٢] اللذين اكتفيا بالاسماء الثلاثة الاولى «الحسن بن عبد الله بن سهل» وصاحب هدية العارفين الذي يُضيق بعد «مهران» ـ جد أبي هلال ـ جداً سادساً هو «احمد البغدادي»[٣] وهذا الاسم انفرد به «اسماعيل باشا البغدادي» (ت ١٣٣٩هـ) صاحب هدية العارفين ـ ولم يذكره احد قبله .

ويختلط اسم أبي هلال باسم شيخه أبي أحمد العسكريّ[٤] قال ياقوت : قال أبو طاهر السّلفي :« وكان لابي أحمد تلميذ وافق اسمه اسمه ، واسمُ أبيه اسم ابيه ، وهو عسكري ايضاً»[٥] يقول بدوي طبانة « وهذه الصِّلة الوثقى بين الرّجلين . اتحاد في المكان ، واتحاد في الزّمان وتقارب في الفكر، وأستاذية وتلمذة ، ثم قرابة وتربية ، هي التي جعلت القدامى يخلطون بين الرّجلين ، ويتحشمون كثيراً من الجهد في تمييز احدهما من الآخر »[٦] ويقول « ولم يسلم المحدثون من الخلط بين الرّجلين ، فوقعوا في اخطاء علمية ، فنسبوا لهذا بعض آثار ذلك ..

وكأنهم يرون الرّجلين واحداً ، اتحدّ اسمه، وتعددت كناه[٧] على اننا نلاحظ ان ابا احمد العسكري اكثر شهرة، وأرفع مكانة من ابي هلال العسكري ، يدلنا على ذلك قلة المصادر[٨] التي ترجمت لابي هلال قياساً

---

(٣) ينظر أنباه الرّواة على أنباه النحاة، جمال الدين ابو الحسن القفطي. تحقيق محمدّ ابي الفضل إبراهيم القاهرة، ١٩٥٠، :٣٤٧.

(٢) ينظر دمية القصر أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلوج (بلا تاريخ) : ٥٢٥ .

(٣) ينظر هدية العارفين ، وأسماء المؤلفين وآثار المصنّفين . اسماعيل البغدادي (استانبول ، ١٩٥١)، م. :٢٧٣.

(٤) هو أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد بن زيد بن حكيم العسكري اللغوي وقيل أنه خال أبي هلال. ولد في عسكر مكرم سنة ٢٩٣هـ اخذ العلم عن مشايخ كثار منهم ابو بكر بن دريد، وابو بكر الصّولي، وابو حاتم السجستاني. ذاع صيته حتى وصل الصاحب بن عبّاد ، ومعز الدولة بن بويه في عسكر مكرم سنة ٣٧٩هـ . كان راوية للأدب ، متصرّفا في انواع الفنون . ذوّاقة للشعر عارفا بالنقد . له من الكتب : المؤلف والمختلف ، وما لحن فيه الخواصّ من العلماء ، المصون في الادب. ت ٣٨٢ هـ ينظر ترجمته في معجم الادباء ٨ :٢٣٣، وفيات الاعيان ٢:٨٣ شذرات الذّهب ٣:٢٠١ وغيرها

(٥) معجم الادباء ٨: ٢٥٨

(٦) بدوي طبانة ، ابو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية القاهرة ١٩٥٢،٢ ٢٢

(٧) نفسه :٢٤

(٨) من المصادر التي ترجمت لأبي أحمد ولم تترجم لابي هلال وفيات الاعيان. العبر، شذرات الذهب ، مرآة الجنان. اللباب في تهذيب الأنساب ، المنتظم في أخبار الملوك والأمم. النجوم الزاهرة. البداية والنهاية ..الخ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لابي احمد وضحالة ما ورد عن ابي هلال من معلومات متعلقة بمولده ونشأته ووفاته بينما تسهب المصادر في اخبار ابي احمد وتحدد يوم وفاته [١] ولا نرى مثل هذا الضبط في اخبار ابي هلال ، ولعل سبب خمول ذكر ابي هلال يعود الي كونه لم يبرح بلده عسكر مكرم مما لم يتْح له فرصة الوفاده الى العلماء او وفادتهم اليه، كما انه ليس من اسرة لها شأن في سياسة او وزارة [٢]

٣- كنيته :

إنّ كنية «ابو هلال» هي التي اشتهر بها الحسن بن عبد الله بن سهل، ولم يذكر المؤرِّخون شيئاً عن زواج ابي هلال او اولاده لنعرف هل كان «هلال» نجلاً حقيقياً له ام هي كنية اشتهر بها وحسب.

٤- نسبته : (العسكريّ)[٣]

يُنسب آبر هلال الي مدينة «عسكر مكرم [٤] » وهي مدينة من كور الآهواز [٥] بناها مكرم الباهلي [٦] وهو أوّل من اختطها ونسبت اليه. وعسكر مكرم بُنيت بالقرب من مدينة رستقباذ، وهي إحدى مدن خوزستان خربها العرب في صدر الإسلام [٧] .

---

(١) انظر معجم الادباء ٨: ١

(٢) ابو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية ٢٥ وما بعدها . وانظر مقدمة كتاب التلخيص في معرفة اسماء الاشياء، تحقيق عزة حسن، دمشق ،١٩٦٩، ٨ وانظر : النثر الفني في القرن الرابع . زكي مبارك، بيروت ، (بلا تاريخ) ،ج ٢ :١١٧.

(٣) العسكري: هذه نسبة إلى مواضع أشهرُها عسكر مُكرم التي يُنسب اليها أبو هلال وأستاذه أبو أحمد. وعسكرُ مصر، التي يُنسب اليها محمد بن علي العسكري، مفتي أهل العسكر بمصر. وعسكر سُرَّ من رأى التي بناها المعتصم، وينسب إليها الإمامُ ابو الحسن علي بن محمد العسكري. وعسكر المهدي التي ينسبُ إليها ابو بكر محمد بن عبدالله العسكري، الفقيه الحنفي، المعتزليّ. انظر الأنساب، أبو سعد السمعاني. تحقيق محمد عوّامة، بيروت، (بلا تاريخ)، ج: ٤٥٢ . ٤٥٨ ، وانظر اللباب في تبذيب الأنساب، ابن الأثير، القاهرة، ١٣٥٦هـ، ١٣٦ وما بعده.

(٤) يقدر بعض الدارسين ان أبا هلال كان من أصل فارسي، وأنه كان يجيد الفارسية، واستدلوا على ذلك بشرحه بعض الألفاظ العربية بما يقابلها في الفارسية. وكان يوردُ عدداً كبيرا من الألفاظ المعربّة مع أصولها الفارسية ايضا. انظر مقدمة كتاب التلخيص: ١١

(٥) الاهواز: اقليم بين البصرة وايران (فارس) لمعرفة المزيد عن تاريخ اقليم الاهواز عبر العصور انظر مثلا: الكامل لابن الاثير: ١٣٩، النجوم الزاهرة ٢: ٢٤٣، ١ ٢٤٥، ٥ ٣٤٦، ٥ تجارب الأمم ابن مسكويه جـ١: ٣١٦ . ٣٣٩ وما بعدها، الحضارة الاسلامية، آدم متز جـ٢

(٦) وقيل هو مكرم بن معزاء الحارث، انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت، (بلا تاريخ) جـ٤، ١٤٣.

(٧) معجم البلدان، جـ٤: ١٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥. ميلاده ووفاته:

لم تذكر المصادر تاريخاً لميلاد أبي هلال، كما لم تحدد سنة بعينها لوفاته، ومعظم من أرّخ لوفاة أبي هلال استند الى ما ذكره ياقوت: «أما وفاته فلم يبلغني فيها شيءٌ أنّى وجدتُ في آخرِ كتاب الاوائل من تصنيفه: وفرغنا من املاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة»[٢].

فبعضهم استنتج انه توفي في هذه السنة، إذ فهموا انّ كتاب الأوائل هو آخر ما أملى أبو هلال[٣] وبعضهم تحرز من ذكر سنة الوفاة لعدم وجود الدليل، فاكتفى بالقول إنّه كان حيّاً سنة ٣٩٥هـ[٤]

وعلى أية حال فإنّ القرائن الواردة في شعره، التي فيها إشارات الى الشيّب والتشوّق الى الشباب تؤكّد وصول أبي هلال إلى سن متقدمة، وتشير إشارة إلى أنّه وُلد في العقد الأول للقرن الرابع، وتوفي في نهاية هذا القرن أو بعد نهايته بقليل، لكنها ليست وثيقة تعيننا على تحديد سنة ميلاده أو وفاته[٥].

٦- منصبه:

ذكرت كتب التراجم أنّ أبا أحمد العسكريّ استاذ أبي هلال انتهت اليه رياسة التحديث والاملاء في اقليم خوزستان[٦]، كما ذكرت هذه الكتب صلته بالصّاحب بن عباد الكاتب والوزير البويهي، ولكنّ هذه الكتب لم تذكرشيئاً عما شغله أبو هلال من مناصب، بل نرى معظم من ترجم لأبي هلال يعرضُ لأبياته التي تحدث فيها عن فقره:

إذا كانَ مالي مالَ من يلقطُ العجم ... وحاليَ فيكم حالُ من حاك أو حجم

فأين انتفاعي بالإصالةِ والحجى ... وما ربحت كفي من العلم والحكم

وَمَن ذا الذي في الناس يبصر حالتي ... فلا يلعنُ القرطاس والحبر والقلمَ

وأبياته:

جلوسي في سوق أبيع وأشتري ... دليلٌ على أنّ الانام قرودُ

---

(٢) انظر معجم الأدباء ج٨: ٢٦٤

(٣) القفطي: انباه الرواة ٤: ١٨٩

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات: ١: ٣٥ العاملي، أعيان الشيعة، بيروت، ١٩٨٣، ٢٢: ١٥٤

(٥) ينظر جورج قنازع، مقدمة ديوان أبي هلال، دمشق، ١٩٧٩: ٩ وما بعدها. وينظر: بدوي طبانة. أبو هلال العسكري، ومقاييسه البلاغية ٢١. وينظر ابراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، مقدمة في كتاب المعجم في بقية الأشياء، القاهرة ١٩٣٤، ٨، وينظر مقدمة كتاب الفروق في اللغة. تحقيق عادل نويهض، بيروت، ١٩٧٧: ٥

(٦) معجم الأدباء ٨: ٢٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا خيرَ في قومٍ تذلُّ كرامهم ويعظمُ فيهم نذلهم ويسودُ

ويهجوهمُ عني رثاثةُ كسوتي هجاءً قبيحاً ما عليه مزيدُ[١]

وهي أبيات استدلَّ المؤرخون والدّارسون من خلالها، ومن خلال أبيات سوّاها[٢] على فقر أبي هلال وفاقته، كما ذكرت المصادر أنّه كان يبيعُ الحرير خوفاً من الطمع والدناءة[٣]. ولكنّ جورج قنازع لم يقف عند هذه الأبيات وحسب، بل استدل من أبيات ومقطوعات نثرية[٤] على أنّ الرجل شغل منصباً مرموقاً عند أحد الولاة[٥] وانّ الفاقة والجلوس في السوق لم تكن في حياة أبي هلال إلا مرحلة أنّه كان يعيش حياةً أقرب الى الغنى منها الى الفقر[٦]، أما الوالي الذي اتصل به أبو هلال فقد رأى زكي مبارك انّه الصاحب بن عبّاد[٧] وتبقى هذه النظرية صحيحة طالما أنّ أبا هلال ردّد في شعره أسم الصاحب ولقبه[٨].

يقول أبو هلال:

تشكو الزمان وذاكَ من لذّاته وبقاءُ اسماعيلَ من حسناته

كافي الكفاةِ برزيه وعزيمةٍ كزمانه بخطوبه وهباته[٩]

والمعروف ان الصاحب بن عبّاد اسمه اسماعيل، ولقبه كافي الكفاة.

والثابتُ انّ الصاحب بن عباد اتصل بأبي احمد العسكري بعد طول تشوق لرؤيته، كما زسلفت في موضع آخر، من هذا البحث، وليس ثمة ما يمنعُ ان يكون أبو هلال قد التقى بالصاحب بن عبّاد عندما كان في صحبة استاذه أبي أحمد، أما القول بأن أبا هلال قد عمل عند الصاحب فهو مما لا نملك عليه دليلا، وان كانت بعض أبياته تشير بشيء من الوضوح أنّه عمل عند أحد الولاة، والغالب أنّه كان يشغل منصب كاتب يعزز ذلك معرفته لأصول الكتابة، ووضعُ قواعدها في كتاب الصناعتين[١٠].

---

(١) الأبيات في معجم الأدباء: ٨: ٢٦٢

(٢) انظر ديوان المعاني لأبي هلال العسكري. القاهرة ١٣٥، ١: ١٤٢، ٢: ٤٠٢

(٣) انظر معجم الأدباء: ٨: ٢٥٩

(٤) انظر ديوان المعاني ٢: ٩٨، ١٠٢

(٥) انظر ديوان المعاني ٢: ٩٨، ١٠٢

(٦) مقدمة ديوان العسكري: ١٩

(٧) انظر النثر الفني، ٢: ٩٦، ٩٩ استند مبارك في رأيه على إشادة أبي هلال بأدب الصاحب، وتحامله على شعر المتنبي.

(٨) مقدمة ديوان العسكري: ٢١.

(٩) الأبيات في ديوان المعاني: ١: ٤٣

(١٠) انظر مقدمة ديوان العسكري: ٢٠، ٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول أبو هلال:

يا لهف نفسي على زمانٍ ضيعتــهُ حيــرة وجــهلا
لزمــتُ فيه اللئيم حتــى مللــتُ مــن قــربــه ومــلاّ
خَدَمتــه فاستفــادَ عــزاً وخدمنــي واســتــفــدت ذُلا
وليس ما قد لقيتُ بدعاً من صاحب النذل صار نذلا[١]

٧ـ أشياخه:

١ـ أبو أحمد العسكري: يتردد اسم أبي أحمد العسكريّ في كتب أبي هلال تردّداً ملحوظاً[٢]، ومن الواضح ان أبا هلال قد لازم أبا أحمد ملازمة دفعت بعض الدّارسين إلى الاعتقاد بوجود صلة قرابة وثيقة بينهما[٣] ومن الواضح ايضاً أن أبا أحمد كان ذا تأثير عميق في شخصية ابي هلال، فأبو هلال ألف كتاب الصناعتين في الشعر والنثر كما سبق أن ألفّ ابو احمد كتاب صناعة الشعر[٤]، وإن كان كتاب أبي أحمد لم يصلْ إلينا. وأبو هلال لغوي، أديب محدّث، فقيه وكأنّه قد ترسم خطى استاذه في ذلك كلّه.

٢ـ والده «عبد الله بن سهل»:

يذكر أبو هلال أنه أخذ عن والده في سنيّ عمره المبكرة، واستعمل أوراقه بعد وفاته[٥].

٣ـ عم والده ـ الحسن بن سعيد[٦].

٤ـ ابو بكر ولسنا نعرفه عنه اكثر من ذلك[٧].

٥ـ أبو حامد[٨]

٦ـ ابو خليفة.[٩] وهذان الاخيران كسابقيهما، لا نعرف عنها إلاّ كنيتيهما.

---

(١) الأبيات عثر عليها د. جورج قنازع في مخطوطة حميدية: الورقة ١٠٠ ب، وأوردها في ديوان العسكري الذي جمعه: ٢٠، ١٨٤

(٢) انظر مثلا الصناعتين: ١٢، ٢٣، ٤٥، ٨٦، ١٢١، ١٢٦، ١٤١، ٢١٣، ٢٣٧، ٣٢٤ ...

(٣) انظر في ترجمته صفحة سابقة من هذا البحث

(٤) انظر معجم الأدباء ٨: ٣

(٥) ديوان المعاني ١: ٢٢٣

(٦) المرجع السابق ١٠: ١٢٦، ١٢٨، ٢، ١٣٢ ٩٢، ٢٠٣، ٢٠٧

(٧) انظر المعجم في بقية الأشياء: ٤٠، ٤١

(٨) ديوان المعاني ١: ٢٧

(٩) ذاته ١: ٢٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧. أبو علي الحسن بن أبي حفص[١]

٨. عبدالحميد بن محمد بن يحيى بن ضرار[٢]

٩. أبو طاهر محمد بن يوسف[٣].

١٠. يوسف الإمام[٤].

١١. أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الكاعذي: ذكره أبو هلال في كتاب الأوائل وديوان المعاني[٥]

٨. تلاميذه[٦]

١. أبو سعد السمان[٧]

٢. أبو الغنائم بن حمّاد المقرىء.

٣. أبو حكيم: أحمد بن اسماعيل العسكري.

٤. المظفر بن طاهر الجرّاح الاسترابادي.

٥. أبو اسحق ابراهيم بن علي[٨].

٩. مؤلفاته:

يعدُّ أبو هلال العسكري ممثلاً لعصره أصدق تمثيل إذ ألف في معارف إنسانية شتى: في اللغة والأدب والتاريخ والطرائف... الخ

وفيما يلي أسماء كتبه مرتبة كما أوردها ياقوت الحموي الذي يعدُّ أوّل من ترجم له.

---

(١) ديوان المعاني ٢: ١٨١

(٢) المعجم في بقية الأشياء: ٣٠

(٣) ديوان المعاني ٢: ١٨٤

(٤) كتاب الصناعتين: ٢٦٧

(٥) حول اختلاط اسم (ابو القاسم الكاعذي) بغيره من الأشياخ في كتب أبي هلال انظر مقدمة ديوان العسكري ١٤

(٦) انظر معجم الأدباء ٨: ٢٦٠ ـ ٢٦٢

(٧) هو اسماعيل بن علي الرّازي، سمع في العراق، ومكة، ومصر، والشام تتلمذ على القاضي عبدالجبار، جعله ابن المرتضى في الطبقة الثانية عشرة من رجال المعتزلة (انظر. فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للبلخي وعبدالجبار والجشيمي ٣٨٩)، (وانظر المنية والأمل للقاضي عبدالجبار، جمع أحمد بن يحيى المرتضى: ٩٤) ذكره الذهبي في وفيات عام ٤٤٥ هـ (ينظر تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي ت٧٤٨ هـ ١١١٠٣٠)

(٨) انظر ترجمته في معجم الأدباء ١ ٢٠٤ ـ ٢٠٥، يتيمة الدهر ٤ ١٥١، بغية الوعاة ٢: ٤٢٠، أنباه الرواة ١: ١٧٠ ـ ١٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ـ كتاب التلخيص[١]: وقد نشره الدكتور عزة حسن بدمشق سنة ١٩٦٩ تحت عنوان: «كتاب التلخيص في اللغة».

٢ـ كتاب صناعتي النظم والنثر[٢]: وقد طُبع أربع طبعات تحت عنوان: كتاب الصناعتين وصدرت الأولى في استنبول عام ١٣٢٠هـ بتحقيق محمد أمين الخانجي، والثانية في القاهرة، والثالثة في القاهرة سنة ١٩٥٢ بتحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل ابراهيم، والرابعة في القاهرة سنة ١٩٧١م.

٣ـ كتاب جمهرة الأمثال[٣]: نُشر على هامش مجمع الأمثال للميداني سنة ١٣١٠هـ ثم نشره محمد أبو الفضل ابراهيم، وعبدالمجيد قطامش بالقاهرة سنة ١٩٦٤م وكان أوّلا قد طُبع في بومبي سنة ١٨٨٩م.

٤ـ ديوان المعاني[٤] نُشر بالقاهرة سنة ١٩٣٤ دون تحقيق.

٥ـ من احتكم من الخلفاء الى القضاة[٥].

٦ـ كتاب التبصرة: وهو من كتب أبي هلال التي لا تزال مفقودة.

٧ـ كتاب شرح الحماسة: وهو شرح لحماسة أبي تمام، وقد ذكره أبو هلال في كتابه «جمهرة الأمثال»[٦].

٨ـ كتاب الدرهم والدينار: ذكره أبو هلال في كتاب الكرماء، وقد ذكره معظم من ترجم لأبي هلال وهو من كتبه التي لا نعرف منها إلاّ اسمها.

٩ـ كتاب المحاسن في تفسير القرآن ذكر ياقوت أنّه في خمس مجلدات، وهو من الكتب المفقودة إلى

---

(١) يسميه «بروكلمان»: «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء»: انظر تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم النجار، مصر، ١٩٦١.

(٢) كذا يسميه ياقوت، انظر معجم الأدباء ج٨: ٢١٨ والسيوطي، انظر بغية الوعاة ١: ٥٠٦ ومحمد باقر الموسوي، انظر روضات الجنات: ٣: ٦٢. ويسميه السيوطي في طبقات المفسرين: «الصناعتين في النظم والنثر» وقد نُشر بهذا العنوان بالقاهرة سنة ١٩٥٢م

(٣) بعض المصادر تسميه «الأمثال» انظر مثلا طبقات المفسرين للسيوطي: ١٠

(٤) كذا يسميه القفطي انظر: أنباه الرواة ١٥٠. ويسميه ياقوت. معاني الأدب، انظر معجم الأدباء ٨ ٢٦٣، وكذا يسميه الصفدي: انظر الوافي بالوفيات ١: ٣٥٠. وكذا يسميه عبدالقادر البغدادي. الذي نقل عن ياقوت. انظر خزانة الأدب ١: ٢٢٠ ويسميه اسماعيل باشا البغدادي. كتاب المعاني. انظر هدية العارفين ١: ٢٧٣

(٥) عثرتُ على صورة لمخطوط له، توجد في المكتبة البولديانية باكسفورد. وذكر بروكلمان ان اسمه: «ما احتكم به الخلفاء الى القضاة» وذكر أنّ منه مخطوطا في مكتبة عاشر افندي رقم ٢ ٤٣٣.

(٦) جمهرة الأمثال ١: ٤٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآن[١].

١٠. كتاب العمدة.

١١. كتاب فضل العطاء على العسر[٢] وقد طُبع في القاهرة مرّتين. الأولى بعنوان «كتاب الكرماء» وقد صدر عام ١٩٠٨م بتحقيق محمود الجبالي، والثانية بتحقيق محمود شاكر عام ١٩٣٤ بعنوان: فضل العطاء على العسر.

١٢. كتاب ما تلحن فيه الخاصة[٣] وهو كتاب مفقود، ويتضح من العنوان أنهّ كتاب في اللغة ضبط فيه أبو هلال ألواناً من الأخطاء اللغويّة والنحويّة، التي يقع فيها الخاصّة من الأدباء.

١٣. كتاب الأوائل، وقد طُبع مرتين: الأولى عام ١٩٦٦ في المدينة بتحقيق محمد السيد الوكيل، والثانية عام ١٩٧٥ بدمشق، بتحقيق محمد المصري، ووليد قصاب[٤].

١٤. ديوان العسكري: وقد ضاع الديوان. وقام د. جورج قنازع بجمع ما بقي منه معتمدا على المصادر[٥] التي أوردت بعضاً من شعره، وقد صدر ديوان العسكري بدمشق عام ١٩٧٩.

١٥. كتاب نوادر الواحد والجمع وهو جوابات على مسائل كثيرة في اللغة والأدب كما يذكر بروكلمان الذي أشار الى وجود مخطوط منه في مكتبة الاسكوريال[٦] هذا ما ذكره ياقوت الحموي من مؤلفات أبي هلال وذكر غيره:

١٦. رسالة في العُزلة والاستئناس بالوحدة كما ذكرها السيوطي[٧].

١٧. الحماسة العسكرية: ذكرها جورج قنازع، في مقدمة ديوان العسكريّ. وقال: «وهي مجموعة شعرية على غرار الحماسات الأخرى، أشار إليها بعض الأدباء في مؤلفاتهم[٨] إلاّ أنّ قنازع لم يُشر الى أيّ

---

(١) انظرمقدمة ديوان العسكري ٣٠

(٢) يسمّيه عبدالقادر البغدادي: «فضل الغنى على العسر»، انظر خزانة الأدب ١: ٢٣١.

(٣) يسميه بعض المتأخرين «لحن الخاصة». انظر طبقات المفسرين للداوودي. تحقيق علي محمد عمر ١٠٠، وانظر هدية العارفين: ٢٧٣، وانظر روضات الجنات ٣. ٦٢.

(٤) يذكر حاجي خليفة أنّ أبا هلال اولّ من صنف في علم الأوائل، انظر كشف الظنون، م١/ ١٩٩، وقد اختصره السيوطي في كتاب: الوسائل في الأوائل.

(٥) انظرمثلا: نهاية الإرب للنويري ٢. ٢٢٢. ٢٢٣. دمية القصر ١ ٥٢٨ وما بعدها.

(٦) يسميه «بروكلمان» النوادر في العربية. انظر تاريخ الأدب العربي. ٢٥٤. ذكر حاجي خليفة أنّ أبا هلال ممّن ألفّ في النوادر، انظر. كشف الظنون. ١٩٨٠.

(٧) انظر بغية الوعاة ٥٠٦ ١. وانظر مقدمة ديوان العسكري ٢٩

(٨) مقدمة ديوان العسكري: ٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من هذه المولفات، والملاحظ انّ احداً من الذين ترجموا لأبي هلال لم يذكر هذا الكتاب.

١٨.المعجم في بقية الأشياء: وقد نُشر مرتين: الأولى في برلين سنة ١٩١٥م والثانية في القاهرة سنة ١٩٣٤م بتحقيق إبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي.

١٩.كتاب الفروق في اللغة وقد طُبع في القاهرة عام ١٩٣٥م.

٢٠.شرح ديوان أبي محجن الثقفيّ. وقد طُبع ثلاث مرات لأولى في ليدن إذ طبعه المستشرق لاندبرغ في مجموعته طُرف عربية عام ١٨٨٦م، ثم في القاهرة ثم في بيروت سنة ١٩٧٠م بتحقيق صلاح الدين المنجد[١].

٢١.الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه[٢] وقد عثرتْ على صورة من مخطوط له.

٢٢.مجموعة رسائل العسكريّ: ذكرها بروكلمان[٣].

٢٣.كتاب الوتر: ذكره اسماعيل البغدادي، ولستُ أعلم المصدر الذي اعتمده البغدادي في ذكر هذا الكتاب الذي لم يذكره غيره[٤].

٢٤.المُعرب عن المغرب: وهو رسالة مفقودة أشار اليها بروكلمان في تاريخه ويذكر ان معه رسالة ما يشق على الإنسان ثم إذا أعتاده سهل[٥].

٢٥.كتاب الوجوه والنّظائر: ذكره ابو هلال في الفروق اللغوية[٦]

٢٦.شرح الفصيح [٧]: أشار إليه أبو هلال في كتاب جمهرة الامثال

بعد هذا الحشد الكبير من كتبه: ما كان منها مطبوعا او مخطوطاً وما وصلنا منها وما لم يصل نتبيّن

---

(١) انظر مقدمة ديوان العسكري ٢٨

(٢) انظر بروكلمان: ٢٥٤ لمعرفة أماكن المخطوطات

(٣) انظر بروكلمان. ٢٥٤

(٤) هدية العارفين ٢٧٣

(٥) انظر بروكلمان: ٢٥٤.

(٦) انظر الفروق اللغوية. القاهرة. ١٩٣٥. ١١١

(٧) يرى جورج قنازع أن المقصود «بالفصيح» الذي شرحه أبو هلال هو فصيح ثعلب في اللغة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنّ أبا هلال كان لغوياً ، وأديباً ، وشاعراً[١] ، ونحويّا[٢] ،ومفسراً[٣] وتذكر المصادر انه كان فقيهاً[٤] ومحدثاً[٥] مع أن الغالب عليه الادب والشّعر ولعل الدين أدرجوا أبا هلال في عداد الفقهاء والمحدّثين قد استندوا الى أبيات من قصيدة له في تفضيل الشّتاء على غيره من الازمنة :

وليـــالٍ أطلـن مـدة درسـي	مثلما قد مددن في عمر لهوي
سرّ لي بعضها بفقه وبعـــضٌ	بـــين شعرٍ أخذتُ فيه ونحـوِ
وحديـثٍ كأنّـه عِقـدُ ريـّا	بـتُّ أرويـه للرجـال وتـــروي
في حديثِ الرّجال روضة أنـسٍ	بات يُرعـى بأهـل نبـل وسروِ[٦]

(١) انظر الوافي بالوفيات ٧٩. وانظر الاعلام للزركلي ، م ١٩٦:، وانظر اعيان الشيعة ج ١٤٨.

(٢) ترجم له جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف القفطي في انباه الرواة على انباه النحاة، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ، القاهرة، ١٩٨٦. ج. ١٨٩.

(٣) ترجم له السّيوطي في طبقات المفسّرين ، تحقيق علي محمد عمر ، ١٩٧٢ ١٢٤

(٤) لم اجد له ترجمة في كتب طبقات الفقه

(٥) لم اجد له ترجمة في كتب رجال الحديث.

(٦) الأبيات في معجم الأدباء ٨ ٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

«النقد النظري»

أبو هلال العسكري الناقد من خلال القضايا التالية:

١. اللفظ والمعنى

٢. السّرقات الشعرية

٣. ثقافة الكاتب والناقد والشاعر

٤. البديع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ناقش أبو هلال العسكري عدداً من القضايا النقدية، هذه القضايا وجدناها مبثوثة في ثنايا كتاب «الصناعتين» ويمكن أن نجملها بما يلي

١. اللفظ والمعنى

٢. السرقات الشعرية

٣. ثقافة الكاتب والشاعر والناقد.

٤. البديع.

وسأناقش في هذا الفصل كلا من هذه القضايا بشيء من التفصيل، إذ سأوضح نص النظرية النقدية عند أبي هلال في هذه القضايا موضحة تأثره بمن سبقه من النقاد، وماذا أضاف أبو هلال إليهم.

١. اللفظ والمعنى:

تعد هذه القضية من أهم القضايا المتصلة بالدرس البياني إذ نشأت هذه القضية بعد تساؤل العرب عن إعجاز القرآن : هل هو في لفظه أم في معناه، ثم انتقلت هذه القضية من الدراسات القرآنية إلى الأدب[١]

لقد اهتم النقاد باللفظ والمعنى بوصفهما عنصرين من عناصر العمل الأدبي منذ العصر الجاهلي على نحو ما نقرأ من شذرات نقدية في أسواق العرب تتناول لفظا أو معنى إلاّ أن هذه القضية لم تأخذ بعدا عميقا إلاّ في القرن الثالث وما بعده على يد نقاد أمثال ابن قتيبة، وقدامة بن جعفر، وابن طباطبا العلوي، والآمدي، والجرجاني، وأبي هلال.

والملاحظ أن النقاد من قضية اللفظ والمعنى ينقسمون ثلاث فرق: فرقة تؤثر اللفظ، وأخرى توثر المعنى، وثالثة تساوي بينهما: فأمّا الذين فضلوا اللفظ فلم ينكروا فضل المعنى، والذين فضّلوا المعنى لم يجحدوا قيمة اللفظ، بل أكد أكثرهم أنّ العلاقة بين اللفظ والمعنى كالعلاقة بين الروح والجسد، وإنما كان الفصل بينهما لغايات تعليمية تهدف الى شرح الأدب وتحليله، والمعاني بعد ذلك أرواح للألفاظ وغايتها التي لأجلها وضعت، وعليها بنيت[٢] وصاحب البلاغة بحاجة إلى إصابة المعنى وتحسين اللفظ، ذلك أن المعنى إذا كان صواباً، واللفظ ساقطاً عن أسلوب الفصاحة كان الكلام كالانسان المشوّه الصورة مع وجود الرّوح فيه. فإذا كان المعنى خطأ كان الكلام بمنزلة الإنسان الميت الذي لا روح فيه، وإن كان على أجمل

---

(١) ينظر في ذلك: كتاب الصناعتين: ١ ثم مشكلة السرقات في النقد الأدبي . محمد مصطفى هدارة (بيروت، ١٩٨١) : ٢٢ وما بعدها.

(٢) يُنظر صبح الأعشى: ٢: ١٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورة[١] .

وأمّا حدّ المساواة - عند من يساوي بينهما - فنستشفه من قول قدامة بن جعفر على لسان بعض الكتاب في وصف بلاغة أحدهم «كانت ألفاظه قوالب لمعانيه أي مساوية لها لا يفصّل أحدهما على الآخر»[٢]

أمّا أبو هلال العسكري فيمثّل الفريق الذي يساوي بين اللفظ والمعنى[٣] ، ويضرب على ذلك مثالاً قوله تعالى ﴿ود ما لو تدهنُ فيدهنون﴾[٤] .

يضع أبو هلال شروطاً لحسن الكلام - وهي شروط تشمل اللفظ والمعنى كليهما - وهي :

١- السلاسة

٢- السهولة

٣- النصاعة

٤- تخيّر اللفظ

٥- إصابة المعنى

٦- جودة المطالع

٧- لين المقاطع

٨- استواء التقاسيم

٩- تشابه مباديه لمآخيره

١٠- قلة الضرورات بل عدمها.

يرى أبو هلال أنّ الكلام إذا جمع العذوبة والجزالة والسهولة والرصانة الى غيرها من شروط الكلام الحسن فإنه يكون مقبولا للفهم والسمع، وسائر الجوارح، لأن الجوارح لا تقبل إلاّ ما هو جميل ولطيف كما يقول «ولا يقبل الكلام المضطرب إلاّ الفهم المضطرب والرويّة الفاسدة»[٥] .

أما الشأن في رأي أبي هلال فليس بإيراد المعاني وذلك لأن المعاني يعرفها العربيّ والعجميّ والقرويّ والبدويّ كما يقول وإنما هو في جودة اللّفظ وصفائه ، وحسنه وبهائه ...الخ ويقول :-«وليس يُطلب من المعنى إلاّ أن يكون صواباً ، ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدّمت

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٩٢.

(٢) نقد الشعر: ١٧١.

(٣) كتاب الصناعتين: ١٨٥

(٤) القلم : ٩

(٥) كتاب الصناعتين: ٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقدّم أبو هلال أدلة على صحة رأيه هذا منها .

١ـ قول أبي داؤاد : « رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدّربة، وجناحها رواية الكلام ، وحلْيها الاعراب، وبهاؤها تخيّر الالفاظ ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه».

٢ـ أن الخطب الرّائعة والأشعار الرائقة ما عملت لإفهام المعاني فقط، لأنّ الرديء من الألفاظ يقوم مَقام الجيد منها في الإفهام ، وإنما يدلُّ حسن الكلام، وإحكام صفته، ورونق الفاظه ... على فضل قائله ،وفهم منشئه، فالكاتب يتأنق في الرسالة ، والخطيب في الخطبة ، والشّاعر في القصيدة. يبالغون في تجويدها ولو كان الامر في المعاني لطرحوا أكثر ذلك فربحوا كداً كثيراً وأسقطوا عن أنفسهم تعباً طويلاً [١] .

٣ـ إنّ الكلام إذا كان لفظه حلواً عذباً، وسلساً سهلاً ،ومعناهُ وسطاً ، دخل في جملة الجيد وجرى مع الرائع النادر[٢] ويضرب أمثلة على ذلك كلّه، مما سأتناوله في باب الذوق.

ومن خواصّ العبارة الجميلة جزالة الكلمة. وهو أمر متعلق باللفظ ـ وسلامتها من العيوب البلاغية والنحوية ، وكذلك نظم الكلام وحسن تأليفه ينبغي أن يكون مطابقاً للمعاني[٣] وفي ذلك يقول أبو هلال : «الألفاظ تشتمل على معانٍ تدلُّ عليها ويعبر عنها[٤] ويتلاءم قوله هذا مع تعريفه للبلاغة بأنها «كل ما تبلّغ به قلب السّامع فتمكنه في لغة مع صورة مقبولة ،ومعرض حسن[٥] ولم يكن ذلك على صعيد الدّراسة النظرية، بل إنّ النّقاد العرب قد دعوْا إلى استحضار المعاني في الذهن قبل نظمها ثم يُتخير لها اللفظ المناسب [٦] ويلوح لي ان أبا هلال متأثر بهم إذ يقول «إذا احب الشاعر أن ينظم قصيدة،فإنّ عليه أن يخطر المعاني التي يريد نظمها في فكره ، ويخطرّها على قلبه، ثم يطلب لها وزناً يتأتى فيه إبرازها، وقافية يحملها»[٧] .

لا يكمل لصناعة الكلام إلاّ من يكمل لإصابة المعنى، ويصحح اللفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال [٨] .

---

(١) كتاب الصناعتين ٥٨ـ ٥٩

(٢) السابق : ٥٩ .

(٣) أحمد الشايب، أصول النقد الادبي ط ٨ (القاهرة،بلا تاريخ) ٢٥٠

(٤) كتاب الصناعتين :٦٩

(٥) السابق:١٠

(٦) البيان والتبيين، ت عبد السلام هارون، بيروت ،(بلا تاريخ) ١/ ١٣٩ ابن وهب (اسحق بن ابراهيم): البرهان في وجوه البيان ، ت أحمد مطلوب ، وخديجة الحديثي، (مطبعة العاني ، بغداد،١٩٦٧ م):١٨٦ .

ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر ، ت د.محمد زغلول سلام (القاهرة،١٩٥٦) :٥ .

(٧) كتاب الصناعتين: ١٣٩ .

(٨) السابق: ٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتضح من رأيه هذا أنّه يشايع الجاحظ في نظرته للفظ إلاّ أنه لا ينسى المعنى وما يحتاجه من أدوات ودربة ومراس.

أما المعاني عند أبي هلال فهي على ضربين:

١. ضرب يبتدعه صاحب الصناعة من غير أن يفيد من أمثلة سبقته أو إمام يقتدي به، ويستخدم هذا النوع في الأمور الطارئة.

٢. ضرب يحتذي فيه صاحب الصناعة من سبقه ويشترط أبو هلال في هذين النوعين من صاحب الكتابة:

أ. الصورة المقبولة. ب. العبارة المستحسنة[١].

ولا يعفيه من الذم كونه مبتدعاً لهذا النوع أذاك إن هو أساء التشبيه، وساهل نفسه، ويخيل إليّ أن نقسم المعاني على هذا النحو من الجديد الذي جاء به أبو هلال غير مسبوق إليه.

وكعادته في التقسيم نراه يقسم المعاني على وجوه هي:

١. مستقيم حسن.

٢. مستقيم قبيح

٣. مستقيم النظم وهو كذب.

٤. محال.

٥. كذب محال.

٦. الغلط.

ويضرب أمثلة تعليمية لذلك كله.

يؤكد أبو هلال قضية تواؤم الألفاظ، وذلك أن يكون الكلام أوّله مشبهًا بآخره، وتكون كل لفظة منه موضوعة مع أختها، ولا يكون ما بين ذلك حشو يستغني عنه ويتم الكلام دونه.

واللفظ عند أبي هلال ينبغي ألا يكون وحشيا بدوياً، ولا مبتذلاً سوقياً، ولا يشوبه شيء و من كلام العامة ولا يُخالف فيه وجه الاستعمال[٢] ثم يعود أبو هلال لبسط الحديث في قضية اللفظ وما يستخدم فيه الرباعي والخماسي دون الثلاثي، والمعرفة دون النكرة[٣] ثم ينقل أبو هلال رأي العتابي إذ يقول

---

(١) كتاب الصناعتين: ٦٩

(٢) ذاته والصفحة ذاتها.

(٣) ذاته: ١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرا أو أخرت منها مقدماً، أفسدت الصورة، وغيّرت المعنى، كما لو حُول رأسٌ الى موضع يد، أو يدٌ إلى موضع رجل، لتحوّلت الخلقة، وتغيّرت الحلية»[١].

ويبدو أن أبا هلال معجب برأي العتابي[٢]، إذ يعلق قائلا: «وقد أحسن في هذا التمثيل وأعلم به على أنّ الذي ينبغي في صنعة الكلام وضع كل شيء منه في موضعه ليخرج بذلك عن سوء النظم»[٣].

وفي مسألة حسن التأليف والمثل الأعلى للجمال يفصّل أبو هلال ما جاء به نقاد عصره مبتسرا إذ يقول: «فإذا كان الكلام قد جمع العذوبة والجزالة والسهولة، والرصانة مع السلاسة، والنصاعة واشتمل على الرّونق والطلاوة، وسلم من حيف التأليف، وبعد عن سماجة التركيب، وورد على الفهم الثاقب قبله ولم يردّه، وعلى السمع المصيب أستوعبه ولم يمجّه، والنفس تقبل اللطيف، وتنبو عن الغليظ، وتقلق من الجاسي البشع، وجميع جوارح البدن تسكن إلى ما يوافقه، وتنفر عمّا يضاده ويخالفه، والعين تألف الحسن، وتقذى بالقبيح، والأنف يرتاح للطيب، وينفر للمنتن، والفهم يلتذ بالحلو، ويمجّ المرّ، والسمع يتشوّف للصواب الرّائع، وينزوي عن الجهير الهائل، واليد تنعم باللين، وتتأذى بالخشن والفهم يأنس من الكلام بالمعروف، ويسكن إلى المألوف، ويصغي إلى الصواب، ويهرب من المحال، وينقبض عن الوخم، ويتأخر عن الجافي الغليظ، ولا يقبل الكلام المضطرب إلاّ الفهم المضطرب والروّية الفاسدة»[٤].

ويرى العسكري كذلك أن حسن التأليف «يزيد المعنى وضوحاً، وشرحاً ومع سوء التأليف ورداءة النسج شعبة من التعمية»[٥].

يستنتج من أقوال العلماء - ومنهم أبو هلال - أنّ دور اللغة لإفهام وهو معنى فيه قصور إذ لا نلحظ تفريقاً ها هنا بين لغة الشعر ولغة الخطابة مثلا، ذلك أن اللغة الشعرية تختلف عن غيرها إذ إن كلماتها ترقى إلى المستوى الجمالي الذي لا يرقى إليه سواها، وبالتالي يصبح التفريق بين الدلالة الشعرية والدلالة التي

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٦١

(٢) هو كلثوم بن عمرو العتابي التغلبي نسبه الى عمرو بن كلثوم وهو من شعراء الدولة العباسية المطبوعين، ومن متقدميهم، كان كاتبا بليغاً وخطيبا فصيحاً، وكان أول أمره منقطعا الى البرامكة، ثم وصلوه بالرشيد فبلغ عنده كل مبلغ.

(٣) كتاب الصناعتين: ١٦٢

(٤) ينظر مثلا: نقد الشعر: ٩٠، الموازنة بين الطائيين الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، ١٩٦١، ١: ٤٠

(٥) كتاب الصناعتين: ٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غايتها الإشارة أمراً واجبا[١] ولأن الناقد في هذا القرن نظر للشعر على أنه صناعة أو تخيل عقلي فإننا نراه يطالب بسلامة التركيب، وذلك بوضع الألفاظ في مواضعها وضم كل لفظه إلى شكلها، وعدم استخدام التقديم والتأخير والحذف والزّيادة كما يرى أبو هلال[٢].

وإذا كان لكل فن أداة: الألوان للرسم والحجر للنحت، فإنّ اللغة هي أداة الشعر والنثر الفني بل هي «أعظم أدوات الإنسان في تعامله مع عالمه، وفي السيطرة عليه، لكنها ليست أداة عمل كأدوات الإنتاج، وإنما هي أداة أعم، تقف وراء العمل الاجتماعي كله»[٣] وبالتالي بوسعنا أن نستنتج أنه «ليس للشاعر شخصية يعبر عنها، بل لديه أداة خاصة[٤] ويفهم من ذلك أنّ العدة باللفظ وليس بالمعنى بل ان بعض النقاد يقول: إنّ أي عمل أدبي هو مجرد انتقاء من لغة معينة[٥] ولأن النقاد القدماء يؤمنون بأن الشعر صنعة كما أسلفت فإنهم يؤكدون على دور الكلمة ـ اللفظ ـ في الاداء اللغوي عامة ولذلك نرى الناقد في هذا القرن يدعو الى ترك الوحشي والسوقي من اللفظ[٦].

ولعلنا نستنتج من ازدواجية اللفظ والمعنى التي تصل الى درجة الاشكالية أن اللغة ليست واسطة من وسائط التعبير عن الافكار والعواطف فحسب ـ وهو الجانب المتعلق بالمعنى ـ بل هي إلى جانب ذلك تكون غاية في ذاتها تطيب بها النفس وتقع على الآذان موقعا جميلا يجعل اللغة لا تقل عن الفنون الجميلة الأخرى فهي مظهر من مظاهر الجمال، كالرسم والنقش والتصوير والموسيقى والنحت[٧]. وإذا كان لكل عصر أدواته الشعرية فإن الصورة الشعرية هي من أهم هذه الأدوات التي عني بها النقاد العرب لا سيما في فترة أبي هلال ـ هذه العناية جعلت أبا هلال يضع فصلا خاصا للتشبيه كما مرّ الحديث وقد ساعد على اشتداد هذه القضية اللفظ والمعنى ـ عاملان يفسّران اتجاه النقاد العرب إلى جعل الشعر ـ بل الأدب عامة كما هو الحال عند أبي هلال صنعة تهتم بالصياغة وتقيّد الشاعر والكاتب بقوانين تحد من حريته لا في أغراضه

---

(١) الشعر واللغة، لطفي عبدالبديع (القاهرة، ١٩٦٩): ٥

(٢) الصناعتين: ١٦٧، ينظر أيضا عيار الشعر: ٥، الموازنة ١/ ٤٠٠، بيان إعجاز القرآن، الخطابي (طبع في كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ت محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، (القاهرة، بلا تاريخ) : ٢٩

(٣) مقدمة في نظرية الأدب، عبدالمنعم تليمة، (القاهرة، ١٩٧٣): ١١ ثم ينظر نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، قاسم المومني، القاهرة: ٢٣٥

(٤) مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ديفيد ديتش، ترجمة محمد يوسف نجم، بيروت ١٩٦٥، ثم يقارن بما ورد في نقد الشعر في القرن الرابع الهجري: ٢٣١.

(٥) رينيه ويليك، أوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي (بيروت). ١٩٨١:١٧٩.

(٦) ينظر عيار الشعر: ٢٦، نقد الشعر ٢١، البرهان في وجوه البيان: ٢٤٣، ٣٥١.

(٧) نقد الشعر في القرن الرابع الهجري : ٣٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحسب بل في التعبير عنها، فقد تحدثوا في المدح والهجاء والرّثاء والغزل، وفي النثر تناولوا الخطبة والرسالة على اختلاف فيما بينهم ليس في تناول هذه الأغراض كما ذكرت، بل في الشروط التي ينبغي تناولها لكل منها على ما سأوضح في صفحات قادمة من هذا البحث. هذان العاملان هما سلطان الشعر القديم والذي يتعلق بنهج القصيدة القديم، وما هو مختار في المعاني والتشبيه وما هو قبيح وليس مختارا فيها.

والعامل الثاني هو ظهور أبي تمام الذي تظهر الصنعة في ألفاظه والإغراب في معانيه بما في ذلك بعيد التشبيه وغريب الإستعارة: جعلت أنصار القديم يتعصبون ضده مترصدين لهذا الخروج عن نهج القصيدة العربية بهدف الطعن به واقفين إلى جانب البحتري الذي عدوه أنموذجا يحتذي به، وقد بلغ هذا الخلاف ذروته عندما وضع الآمدي موازنته بين الطائيين: البحتري وأبي تمّام متناولا ما لهما وما عليها. هذا العاملان أدّيا الى الفصل بين اللفظ والمعنى.

لقد تمسك النقاد والبلاغيون باتجاه المناطقة، وآمنوا بأن الشعر لفظ ومعنى، وظلّ النقاد يعالجون الشعر فترة غير قصيرة تبدأ بالجاحظ وتستمر قرونا طويلة من بعده، والذي زاد من التمسّك، بهذه النظرة (العقلية) في التفكير النقدي طائفتان قامت على أكتافهم الدراسات النقدية والبلاغية: طائفة النقاد اللغويين، وطائفة النقاد المتأثرين بالمنطق والفلسفة من أمثال قدامة بن جعفر، وكلتا الطائفتين تدين بمبدأ المحافظة، وتستمد مناهجها من طبيعة المذهب العلمي وتؤمن بالمنطق[١] ولعلّ من أخطر النتائج التي ترتبت على تأثر النقاد والبلغاء بكتاب «البيان والتبيين» ان ظلت نظرتهم للشعر لا تفترق كثيرا عن نظرتهم للخطابة، أقول من الخطر لأن مثل هذا الاتجاه سوف يؤدي بالضرورة إلى طغيان النظرة المنطقية للغة. هذه النظرة تدعو البلاغيين والنقاد ألى العناية بالشكل الخارجيّ أي للفظ دون المعنى ولو نظروا للمعنى لم يعنهم إلاّ ما يتصل بالجوانب الشكلية التي تعلق بالفلسفة أو المنطق أو الأخلاق[٢].

إنّ نظرة في كتب النقد القديمة تكشف توحد النظرة للشعر والخطابة عند النقاد القدامى بحيث لا نكاد نميز بين الشروط المطلوبة لكل من هذين الفنين لدى النقاد[٣].

وإذ يتنبه أبو هلال إلى انصباب اهتمامه على اللفظ نراه يعود ليوازن بين اللفظ والمعنى فيقول: «ولا خير في المعاني إذا استكرهت قهراً، والألفاظ إذا اجتّرت قسراً، ولا خير فيما أجيد لفظه إذا سخف معناه،

---

(١) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي، (بيروت، ١٩٨٤، ٢٦٦ وما بعدهما.

(٢) ذاته والصفحات ذاتها.

(٣) من ذلك ما قاله القاضي الجرجاني: «إن الشعر يعتمد على الطبع والذكاء والرواية والروّية» وقول أبي داؤد في الخطابة: «رأس الخطابة وعمودها الدربة، وجناحها رواية الكلام، ينظر كتاب الصناعتين: ٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا في غرابة المعنى إلاّ إذا شرف لفظه مع وضوح المغزى، وظهور المقصد»[١].

ثم ينعى أبو هلال على اولئك الذين يستملحون الكلام إذا صعب لفظه ويستحقرونه إذ سلس. ينعى عليهم رداءة ذوقهم، ويؤكد أبو هلال ان الكلام السهّل أمنعُ جانبا وأعز مطلبا، واحسنُ موقعاً، وأعذب مستمعاً[٢] ثم يورد القول المأثور : «أجود الكلام السهّل الممتنع»[٣].

وإذا كان أبو هلال يؤيد السّهل من اللفظ، ويرفض الغريب فإنه يعد ما كان لفظه سهلا، ومعناه مكشوفا من جملة الردىء المردود[٤].

أما منزلة الألفاظ من المعاني فيبيّنها أبو هلال إذ يقول: «إنّ الكلام ألفاظ تشتمل على معانٍ تدلُ عليها ويعبرُ عنها فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته الى تحسير اللفظ، لأن المدار بعدُ على إصابة المعنى، ولأنّ المعاني تحل من الكلام محلّ الأبدان، والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة، ومرتبة إحداها من الأخرى معروفة»[٥].

ينبغي ألا ننسى أن هذا الفصل بين اللفظ والمعنى كان لغايات درسية إذ لم يجحد أنصار اللفظ فضل المعنى أو أنصار المعنى قيمة اللفظ على ما أسلفت في صفحات سابقة من هذا البحث فهما في العمل الأدبي صنوان، بيد أن هذا الخلاف - أيهما اكثر أهمية - كان مجديا، إذ أثرى الدراسات الأدبية ، وفتح الآفاق لقضايا أدبية أخرى لها مساس بقضية اللفظ والمعنى[٦] كقضية السّرقات الأدبية على ما سيأتي في صفحات قادمة، وقضية الصدق والكذب إذ نطرح السؤال الكبير: أيجب أن يقاس الأدب بمقياس خلقي فلا يعدساميا إلا اذا كان ذا غاية تهذيبية تتفق والفضائل الأخلاقية؟

يرى أبو هلال أن حسن اللفظ وجودة المعنى يسوّغان الكذب من ذلك «أن النعوت الخارجة عن العادات والألفاظ الكاذبة من قذف المحصنات، وشهادة الزور ، وقول البهتان ولا سيّما الشعر الجاهلي، الذي هو أقوى الشعر وأفحله، وليس يُراد منه إلاّ حسن اللفظ وجودة المعنى.»[٧]

وينبّه أبو هلال إلى خطأ المعاني - في مجال حديثه عن الصدق والكذب - وتقسيمها إلى عدة وجوه منها

---

(١) كتاب الصناعتين: ٦٠

(٢) السابق: ٦٠

(٣) ذاته : ٦١

(٤) ذاته: ٦٤

(٥) ذاته : ٦٩.

(٦) النظرية النقدية عند العرب :١٦٣.

(٧) كتاب الصناعتين: ١٢٦-١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما هو حسن ومنها ما هو مستقيم قبيح، ومنها ما هو مستقيم النظم وهو كذب كقولك: «حملت الجبل» ، و«شربت ماء البحر» ومنها ما هو محال كقولك «أتيتك أمس، وأتيتك غدا، وكل محال فاسد، وليس كل فاسد محالاً[١] والأدب ـ عنده ـ صنعة جيدة لا متكلفة يقول: «ولا يكون الكلام بليغاً حتى يُعرى من العيب، ويتضمن الجزالة والسهولة وجودة الصنعة[٢] .

لقد كان للقرآن الكريم تأثير واضح في وضع الأسس النقدية التي تتناول الألفاظ وسهولتها، وفصاحتها، وأسس الصدق والكذب وموافقة المعاني لأصول العقيدة، فاللفظ والمعنى من أهم القضايا التي تتصل بالدرس البياني كما أسلفت.

وثمة إشارة مهمة الى المقابلة والمقارنة بين اللفظ والمعنى عند أبي هلال إذ يقول: «ومن الكلام الفاضل لفظه عن معناه قول أبي العيال الهذلي:

ذكرتُ أخي فعاودني صداعُ الرأس والوصبُ[٣]

والنص الأدبي شكل ومضمون، والنص نظام متحد لا متعدد، فإذا كان المضمون هو الفكرة، فإن الأسلوب هو صياغة الألفاظ والتراكيب المعبّرة عن الفكرة على نسق تقتضيه طبيعة النص الأدبي ، فمن هنا يكون الأسلوب طريقة الأديب الخاصة في إنشاء الفكرة، وتوليدها، وإبرازها في الصورة اللفظية المناسبة، وتتمثل هذه الطريقة في العناية الدقيقة بالعبارة، وصوغها على نحو يعكس إجادة التفكير، وإحسان التحليل، وعليه تتحد الصلة بين المعاني والألفاظ.

لقد قال أبو هلال بضرورة تخيّر السّهل من اللفظ، وتجنب الوعورة في الكلام، وقال بضرورة المواءمة بين الكلام، والمتلقين أي صلة الحال بالمقال، إذ بسط أبو هلال القول في هذه المسائل عندما تناول شروط اللفظ ـ التي مرّ ذكرها ـ من سهولة وتواؤم وبُعد عن الحشو والغرابة دون أن يشوبه شيء من كلام العامة، شافعاً ذلك كله بفيض من الأمثلة[٤] .

وإذا أردنا ان نتتبع المصادر التي استقى منها أبو هلال نظريته في اللفظ والمعنى لرأينا أنّه أفاد من تجربة بشر بن المعتمر الذي حوّل النقد من مجال الحكم الضيق السّريع إلى التحليل الشامل العميق.

لقد بحث أبو هلال في اللفظ والقوالب الفنية بحثا نقدياً عميقا مركزاً فقام بربطه بأصوله النفسية العميقة وبواعثه وحلله إلى عناصره الأولية، ووجّه حديثه إلى الأدباء.. الأمر الذي يؤكد دور الناقد في

---

(١) كتاب الصناعتين: ٧

(٢) ذاته : ٤٨

(٣) ذاته: ٣٥

(٤) ذاته: ٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توجيه الأدب كما فعل بشر من قبل[١]، كما أفاد أبو هلال من الجاحظ وقدامه اللذين كانا متنبهين إلى قضية اللفظ الذي يكسو المعنى على أنه الصورة الشعرية التي عقد لها أبو هلال فصلين من كتابه، وهذا يفضي إلى ان المعاني مشتركة، ويمكن للشعراء استخدامها دون تخوّف، ذلك أن أنصار اللفظ يشترطون التجديد في الصورة الشعرية، ونرى أنّ الجاحظ جمع بين التصوير والصياغة مما جعل كلمة اللفظ تشمل الصورة البيانية عند من جاء بعده من النقاد إذ نرى أبا هلال ـ موضوع الدراسة ـ لم يسقط من حسابه الصورة الشعرية عند حديثه عن اللفظ والمعنى، وليس أدل على ذلك من باب التشبيه الذي أخذ من «الصناعتين» مساحة واسعة كما أسلفت.

إن التشبيه الذي عقد له أبو هلال فصلين من كتابه نرى أنّه جاء موسّعاً عما هو عند ابن طباطبا ـ مثلا ـ الذي يرى أن التشبيه الشعري يبدأ بعملية الادراك الخارجي عن طريق الحواس ثم يضاف إلى طبائع العرب وأنفسهم من محمود الأخلاق ومذمومها أي نقل التشبيه من العالم الخارجي إلى داخل اللغة[٢].

من ذلك نتبين أن أبا هلال قد أدرك أنّ المعنى منبثق من الصورة الشعرية، إذ يجعل من أقسام التشبيه : تشبيه الشيء بالشيء صوره ولونا وحسنا.. الخ إننا نلاحظ قرب هذا التقسيم من تقسيمات المحاكاة عند الفلاسفة والبلاغيين العرب كالفارابي (ت ٣٣٩) وابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) فالتشبيه عند أبي هلال هو المحاكاة الشعرية أو يقترب منها، وهذه إضافة جديدة للمعنى الشعري عند أبي هلال[٣] وتؤكد اتحاد اللفظ والمعنى في جسد العمل الأدبي.

٢ـ السرقات الشعرية:

لقد شُغل النقاد قبل أبي هلال بقضية السرقات وتتبعها إذ نجد بدايات لها عند الجاحظ الذي يسميها «أخذ الشعراء بعضهم معاني بعض» وفي عصر الجاحظ ـ القرنين الثاني والثالث نجد أن هذه القضية قد درسها النقاد على شكل سرقات شاعر معين أو السرّقات بشكل عام مثل سرقات البحتري من أبي تمام لأبي الضياء[٤] وكتاب سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه لابن السّكيت[٥].

---

(١) ينظر نص صحيفة بشر بن المعتمر في الصناعتين ١٣٥ـ ١٣٩ والبيان والتبيين ١/ ١٣٥ـ ١٣٩.

(٢) ينظر عيار الشعر: ٢٤

(٣) ينظر كتاب الصناعتين: ٥٨

(٤) الكتاب لم يصل إلينا، ولكن وردت بعض الآراء فيه في كتاب الموازنة للآمدي، وله كتاب آخر هو كتاب السرقات الكبير ذكره ابن النديم في الفهرست : ١٢٩ وذكره ياقوت في معجم الأدباء ٧/ ٥٧ ولم يصل إلينا أيضا.

(٥) ترجمته ـ انباه الرواة للقفطي ٤/ ٥٠ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما القرن الرابع الهجري، - عصر أبي هلال. فنجد فيه أخصب ما كتب في السّرقات، وأذكر من هذه الدراسات على سبيل المثال:

١. عيار الشعر لابن طباطبا العلوي «ت ٣٣٢هـ».

٢. الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي أبي الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني «ت ٣٦٦هـ».

٣. الموازنة بين الطائيين لحسن بن بشر الآمدي «ت ٣٧١هـ»

٤. الكشف عن مساوىء المتنبي لاسماعيل بن القاسم المعروف بالصاحب بن عباد «ت ٣٨٥هـ».

٥. كتاب الصناعتين. موضوع البحث. لأبي هلال العسكري «كان حيا عام «ت٣٩٥هـ».

ولعله من الملاحظ أن السرقات في العصر العباسي لم تقتصر على الشعر وحده، بل على النثر أيضا. كما نجد عند أبي هلال.

ولو أردنا أن نتتبع قضية السرقات من بداياتها فإنه يلوح لي أن هذه القضية قد انبثقت من قضية اللفظ والمعنى إذ يقصد بالسرقة سرقة المعنى حينا، وسرقة اللفظ حينا وكلاهما معا أحيانا أخرى، ونرى أبا هلال من الأوائل الذين أكثروا من تتبع المعاني التي أفاد منها من جاء بعده ممن كتب في النقد والبلاغة.

ومما يتصل بهذه القضية أيضا مسألة الرواية والرواة ذلك أن كلّ فريق ينسب البيت لشاعر ويتهم الآخر بالسّرق الأمر الذي أدى إلى تسرب شعر الاقدمين إلى المحدثين ، وكان من نتيجة ذلك حدوث الوضع في الشعر إضافة الى أن الكثرة الهائلة من الشعر الذي لم يتم تدوينه أغرت الشعراء بالسرقة وأغرت الرواة بإظهار مهارتهم في كشف السّرقات[١] .

والملاحظ ان هناك ثلاث حركات في تاريخ نقدنا العربي نشط بها الحديث عن السرقات وهذه الحركات هي: ظهور أبي نواس، وظهور أبي تمام والبحتري ومن بعدهم المتنبي، مما يدلّ على أن القول في السّرقات كان ينتعش لدى ظهور شاعر مجدد[٢] ذلك أنّ قضية الصراع بين القديم والمحدث من قضايا النقد الكبرى، ولكن ما أن جاء أبو هلال حتى كانت هذه القضية قد نضجت، وقال فيها النقاد شيئا كثيرا: أمّا الصراع فيقوم على أسباب فنية منها: تحوير المعاني والصور السابقة للشعراء مما له مسيس الصلة بموضوع السرقات كما أشرت ، هذه القضية جعلت النقاد والمحدثين يتعصبون لأبي تمام، والقدماء يجهدون أنفسهم في البحث عن معانيه وردها إلى القدماء، ومن هذه الأسباب الصنعة البديعية التي أفرط فيها المحدثون.

---

(١) ينظر الشعر والشعراء ١/ ١١١ ثم يقارن بما ورد عند محمد مصطفى مدارة في مشكلة السرقات: ٢١٠.

(٢)مدخل إلى النقد الأدبي ، محمود السمرة، عبدالله الشحام، عمان، ١٩٨٥: ١٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد فطن أبو هلال - وقبله الجاحظ وقدامة - إلى أن اللفظ الذي يكسو المعنى هو الصورة الشعرية، وذلك يعني أن المعاني مشتركة ويمكن للشعراء استخدامها دون تخوف، هذه القضية جعلت أنصار اللفظ يشترطون التجديد في الصورة الشعرية مما يدخل في باب الصنعة، إذ يجهد الشعراء أنفسهم في صياغة الشعر بطريقة تعجب أهل البلاغة. إن هذا الاتجاه جعل الشعراء لا يبحثون عن موضوعات جديدة، بل يعملون على تحوير المعاني القديمة التي عدّها أنصار اللفظ محل الجمال الفني[١] وبين اللفظ والمعنى وقع الشعراء: أنصار اللفظ يجعلون السرقة في الألفاظ، وأطلقوا الحرية في المعاني الأمر الذي دعا الشعراء الى كدّ الذهن في الصنعة التي لم يأبه لها الأقدمون كما هو الحال عند المحدثين[٢]، وأنصار المعاني الذين دفعوا الشعراء الى استقصاء هذه المعاني، ومحاولة الزيادة على ما قاله الاقدمون دون كد في الصياغة أو اللفظ[٣].

لقد جاء الاهتمام بالسرقات لدى النقاد لأنها السبيل لمعرفة الإبداع والقدرة على الإبتكار وإذا أردنا ان نعرض لصلب النظرية النقدية في موضوع السرقات عند أبي هلال فإننا نرى ان أبا هلال يقرر أنّه ليس لقائل غني عن تناول المعاني ممن تقدمه، ويضع لحسن الأخذ شروطاً هي:

١- أن يكسو المتأخر معني المتقدم بألفاظ من عنده.

٢- أن يورده في غير حليته الأولى.

٣- أن يزيد المعنى في حسن تأليفه، وجودة تركيبه، وكمال حليته، ذلك أن الحاذق يخفي دبيبه إلى المعني، يأخذه في سترة فيحكم له بالسبق إليه من يمر به»[٤] فإذا استوفى هذه الشروط كان أحق بالمعنى ممن سبق إليه. فالأخذ عند أبي هلال مشروع ويستدل على ذلك برأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه «لولا ان الكلام يعاد لنفد» وبذلك يقرر موقف المتقدمين والمتأخرين من تعادل المعاني، إذ أجمعوا على مشروعيتها وليس ثمة عيب على احدهم في ذلك الا إذا:

١- أخذ المعنى بلفظه كله.

٢- أخذ المعنى بأكثر لفظه.

٣- أخذ المعنى الموجز وإطالته من غير زيادة في معناه على من تقدمه وهو من خلال هذه الشروط يضع

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف (مصر، ١٩٦٥)

(٢) هم الذين سماهم الأصمعي عبيد الشعر الذي كان زعيمهم زهير بن أبي سلمى ثم الحطيئة.

(٣) أبو تمام الطائي: حياته وحياة شعره، نجيب البهتيني (القاهرة، ص ١٩٤). ١٩٣ ثم يقارن بما ورد في مشكلة السرقات: ٢٣٥

(٤) كتاب الصناعتين: ١٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعريفاً لقبح الأخذ وهو «ان تعمد الى المعني فتتناوله بلفظه كله أو أكثره، أو تخرجه في معرض مستهجن والمعنى إنما يحسن بالكسوة»[١] .

وينقل أبو هلال قول بعضهم: كل شيء ثنيته قصر إلا الكلام فانك إذا ثنيته طال، ثم يقرر أبو هلال بعد ذلك «أن المعاني مشتركة بين العقلاء فربما وقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي، فإنما تتفاضل الناس في الألفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها»[٢] .

وكعادته في تعليم من أراد صنعة الكتابة يقدم أبو هلال نصحا لصاحب هذه الصنعة وذلك بالتريث قبل الحكم على أحد بالسرق إذ المعنى قد يقع لاثنين، متقدم ومتأخر دون أن يلم به المتقدم، ذلك أنه يؤمن بتوارد الخواطر وفي ذلك يقدم دليلا من تجربته الشخصية أذ يقول: « وهذا أمر عرفته من نفسي، فلست أمتري فيه، وذلك أني عملت شيئا في صفة النساء: «سفرن بدورا، وانتقبن أهله، وظننت اني سبقت الي جمع هذه التشبيهين في نصف بيت الى ان وجدته بعينه لبعض البغداديين، فكثر تعجبي، وعزمتُ على ألا أحكم على المتأخر بالسرق من المتقدم حكما حتما[٣] .

أما الاخذ المستهجن - كما يرى أبو هلال - فهو على ضربين:

١- ما أشار اليه عند تعريفه لقبح الآخذ، وهو أن يعمد الكاتب إلى المعنى فيتناوله بلفظه كلّه أو بأكثره، ويرى أن الأخذ إذا كان كذلك كان معيباً، وإنّ ادّعى الآخر أنه لم يسمع قول الأول.

٢- أن يأخذ الكاتب المعنى فيفسده او يعوضه او يخرجه في معرض قبيح ، وينقل ابو هلال في ذلك قولاً حسناً من أقوال السابقين وهو :«إن من أخذ معنى بلفظه كان له سارقاً ومن أخذه ببعض لفظه كان له سالخاً ، ومن أخذه فكساهُ لفظاً من عنده أجود من لفظه كان هو أولى به ممن تقدمه[٤] .

ومن اسباب إخفاء السرق - التي يقدمها ابو هلال للكاتب ليحسن اخذه عن غيره أن يأخذ الاديب معنى من نظم فيوردهُ في نثر او من نثر فيورده في نظم ، او ينقل المعنى من غرض الى غرض كأن ينقل المعنى من صفت الخمر الى صفة المديح ، ويضرب امثلة على ذلك كله كقول ابي نواس :

اعطتك ريحانها العُقارُ وحان من ليلك انسفارُ

الذي كان قد أخذهُ من قول الاعشى :

وسبيئةٍ مما تعتق بابلُ كدم الذبيح سلبتُها جريا لها

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٢٩

(٢) السابق : ١٩٦

(٣) ذاته : ١٩٦-١٩٧

(٤) ذاته: ١٩٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويفصل السرق اذ يقول «سأل الاعشى عن «سلبتها جريا لها» فقال : شربتها حمراء وبلتها بيضاء فبقي حسن لونها في بدني» ومعنى «اعطتك ريحانها العقار» اي شربتها فانتقل طيبها اليك»[١] فيضرب على ذلك امثلة كثيرة .

اما عن نقل الكلام من غرض الى أخر فيضرب على ذلك امثلة اذكر منها :

أحبُّ الريح ما هبت شمالاً واحسدها اذا هبت جنوباً

يشرح البيت ثم يقول «وهو مأخوذ من قول جران العود :

إذا هبّت الارواح من نحو ارضكم وجدتُ لريّاها على كبدي برداً[٢]

واما نقل المعنى من النثر الى الشعر فيورد قول ابي تمام :

وقال عليٌّ في التعازي لأشعثٍ وخاف عليهِ بعض تلك المآتم

أتصبر للبلوى رجاءً وحسبةً فيأجر أم تسلو سلوّ البهائم

خلقنا رجالاً للتجلد والاسى وتلك الغواني للبكا والمآتم

وهذا نظم حسن. كما يقول أبو هلال لقول علي بن ابي طالب رضي الله عنه لأشعث بن قيس «انك ان صبرت جرى عليك قضاء الله، وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك أمر الله وأنت موزورٌ، فأنك إن لم تسلو احتساباً سلوت كما تسلو البهائم»[٣].

وكعادته في الاستقصاء يضيف أبو هلال قائلاً: «والبيت الاخير من قول عبدالله بن الزبير لما قتل مصعب: وإنما التسليم والسلوة لخرماء الرجال، وإن الهلع والجزع لربات الحجال،

لقد كان أبو هلال من السباقين الذين قدموا سبلا لاخفاء السرق كما مرّ والملاحظ ان أبا هلال يترفع عن تسمية الأخذ سرقة بل يعده «قبح أخذ» على الرغم من أن كتباً قد ألفت في السرقات قبل أبي هلال[٤].

تأثر أبو هلال بسابقيه في بعض آرائه ودائما كان لأبي هلال فضل الزيادة والتوسّع والتعمق في كل فكرة سواء أكان سباقا أم مسبوقاً.

تأثر أبو هلال - أول ما تأثر - بأستاذه الجاحظ الذي يرى أن الأدباء يحاولون الاستيلاء على ما يجدونه

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٩٨ والبيت في الشعر والشعراء ١ :٢١٦

(٢) السابق: ٢٠٢

(٣) ذاته: ٢١٣

(٤) مثل سرقات الكميت من القرآن الكريم لأبي محمد عبدالله بن يحيى الشهير بابن كناسة (ت٢٠٧هـ) وكتاب «سرقات الشعراء وما انفقوا عليه» لابن السكيت (ت٢٤٠هـ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لغيرهم ومن تشبيه مصيب أو معنى غريب، وبديع مخترع[١]، وأبو هلال يرى ان المعاني مشتركة بين العقلاء، وإنما يتفاضل الناس في الألفاظ وان أكثروا من تتبع المعاني، كما تأثر بابن قتيبة بمسألة السرق الخفي المشار إليها، إذ فطن ابن قتيبة الى نوعين من السرقة، سرقة الألفاظ وسرقة المعاني، ومن بعد ابن قتيبة أشار الصوليّ إلى السرق الخفي، ويرى ان الشاعر إذا اخذ معنى وزاد عليه ووشحه ببديع وتمم معناه كان أحق به[٢].

والصولي يرى ان الشاعرين اذا تعاورا معنى ولفظا او جمعاهما فان السبق يجعل لاقدمهما سنا وأولهما موتا، وينسب الأخذ الى المتأخر، فالاكثر كذا يقع، وان كانا في عصر واحد، أُلحق باشبههما كلاما، فإن أشكل ذلك تركوه لهما[٣] أما أبو هلال فقد أفاد من رأي الصولي هذا وأضاف اليه أمثلة كثيرة على تساوي الأخذ عند شاعرين أو اكثر مع الاحتفاظ بقصبة السبق للأول:

قال اعرابي: فنم عليها المسك والليل عاكف[٤].

وقال البحتري[٥]:

وحاولن كتمان الترحل في الدجى فنم بهن المسك حتى تضوعا

وقال أيضا:

فكان العيرُ بها واشياً وجرس الحلى عليها رقيبا

وقال النابغة[٦]

فإنك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسعُ

وقال ابو نواس[٧]

لا ينزل الليل حيث حللت فدهر شرابها نهارُ

يعلق ابو هلال قائلاً فأحسنا جميعاً في العبارة، وللنابغة قصبة السّبق.

---

(١) الحيوان، الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر) ت. عبدالسلام هارون، القاهرة ١٩٣٨، ٣: ١٢٦

(٢) أخبار أبي تمام، محمد بن يحيى (الصولي) ت. خليل محمود عسكر، ومحمد عبده عزام ونظيره سلام الهندي بيروت ٩٧٣: ٥٣

(٣) السابق: ١٠٠، ١٠١ كذلك: ٧٧ وما بعدها

(٤) كذا في كتاب الصناعتين: ٢٣٥ ولم يورد ابو هلال أو المحقق صدر البيت.

(٥) السابق: ٢٣٦

(٦) ذاته والصفحة ذاتها.

(٧) ذاته والصفحة ذاتها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما في مسألة استعمال المعاني في غير الجنس الذي تناولها منه الشاعر فهو متأثر بابن طباطبا العلوي الذي يعدُ أول من جعل الأخذ من النثر من السرقات الحسنة[١] كذلك كان ابو هلال متأثراً بابن قتيبة إذ تنبه الى أثر البيئة في تشابه المعانبي ، وجواز توارد الخواطر ذلك ان اخلاقه تكون متشابه ، هذه الظاهرة النفسية فطن لها القاضي الجرجاني أيضاً إذ يقدم على ذلك دليلاً من تجربته وخبرته ، إذ يقول : «وأنشدت الصاحب اسماعيل بن عباد :«كانت سراة تحت ظله،فسبقني وقال «فغدت سراة الناس فوق سراته» وكذلك كنت قلتها[٢]

وعلى الجملة يكاد النقاد يجمعون على نفي السرق في الحالات التالية :

١ـ توارد الخواطر .

٢ـ المعنى المشترك عام الشركة كتشبيه الجواد بالغيث، والبحر، وتشبيه الحسن بالشمس والبدر ...

٣ـ الالفاظ المنقولة المتداولة سواء أكانت مشهورة مبتذلة أم كانت أسماء مواضع .

قلت أن ابا هلال يترفع عن تسمية الاخذ « سرقة» بل يسميه «قبح أخذ» وبذلك يكون ابو هلال ـ وقبله ابن قتيبة ـ قد أخرج السرقة من دائرة الاتهام الى كونها فناً له أصولهُ.

ولعل أهم ما يميز دراسة ابي هلال للسرقات كثرت الشواهد التي نراها لشعراء سابقين ولاحقين إذ اشار مثلاً الى أن المبتدىء والآخذ قد يتفقان في الاساءة.

قال ابن أُذينة :

كأنما عائبهـــا دائباً زيّنها عنـــدي بتزيين

فأتى بعبارة غير مرضية، ونسج غير حسن، وأخذهُ أبو نواس فقال :

كأنما أثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا

فأتى أيضاً برصف مرذول ونظم مردود[٣]

كما كان ابو هلال مجدداً وسابقاً إذ فطن الى أن في مجال كالأدب لابد من سليقة لغوية يتحتم فيها إعادة ما يقال ذلك أن المعاني مشتركة يعرفها الجميع وإلا نفدت كما اسلفت ، وهو في حديثهُ عن السرقات وقضية توارد الافكار والخواطر يصدر عن خبرة وممارسة، والمعنى الجيد يظل جيداً وأن كان مسبوقاً إليه ، والوسط وسط، والرديء رديء وإن لم يكونا مسبوقاً إليهما.

---

(١) ينظر عيار الشعر :٦

(٢) كتاب الصناعتين . ٢٣٠

(٣) السابق : ٢٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما القول المشهور فيرى ابو هلال ان يوسع الفنان ان يأخذ ولا يبالي ، اما العيب في أخذ المعاني فيكون بأخذ المعنى كله عمن تقدمه أو إفساده.

كما قال ابو هلال بمبدأ «التحوير» وأعني به نقل المعنى من غرض الى غرض ، ومن جنس الى جنس كنقل المديح الى غزل او نقل النثر الى شعر ، ويرى ان هذا لا يكمل الا لفنان متقدم قد نضج لديه القول الشعري.

إننا نلمح نضوجاً في النظرة لدى ابي هلال إذ يفطن الى ان السرقة لا تكون في القوالب التعبيرية سواء أكانت استعارة ام مجازاً ويرى ابو هلال ان من التعنت ان تحتسب سرقة ذلك ان الطرق التعبيرية، والاساليب الفنية يمكن ان يترسم فيها المتأخر خطا المتقدم ولا مجال للسرق فيها .

لقد قال ابو هلال بالتروّي قبل الحكم بالسرقة ، وهذا يعكس موضوعية وعمقاً في الحكم، وهو يقرُّ الحق لأصحابه ، إذ يرى أن الاخذ إذا كان على معنى واحد ولفظ واحد كان معيباً وإن ادّعى الاخر انه لم يسمع قول الاول .كذلك كان ابو هلال من الأوائل الذين وسعوا دائرة الاخذ لتشمل القرآن والحديث والنثر وهو ما يعرف اليوم بالاقتباس ، وبين ابو هلال مدى التقصير الادبي للآخذ دون ما أخذ ، وفي ذلك كله كانت احكامه فنية خالصة تنسجم مع ذوقه النقدي كما اسلفت

٣. ثقافة الكاتب والناقد والشاعر:

ناول هذه القضية النقاد القدماء والمحدثون، واتفقوا عليها على حد سواء، ولعله من المعروف أن الناقد يقوم بتفسير العمل الأدبي، وتطوير الأدوات اللازمة لذلك، فهو يحلل. مثلا. الأساليب والوسائل اللازمة لبناء العمل الأدبي من حيث معانيه وأفكاره، وأسلوبه، وأي خاصية أخرى يمكن ان تُثار أو تعرف فيقود التفسير في النهاية الى القرار حول الميزة الفنية للعمل الأدبي، وغالباً الى الاحكام عن الأخلاق والسياسة والدين[١].

إن أهمّ ما يميز شخصية أبي هلال انه ناقد، وكاتب وشاعر وأهل الصنعة أدرى بها من سواهم، وإذا كان النقد فناً له نكهة العلم كما يرى المحدثون[٢] فالنقد إذن حكم على العمل الأدبي وان صح هذا فينبغي ان يكون الناقد خبيرا لديه مؤهلات خاصة، يجدر بنا التوقف عندها ذلك أن للنقد أهمية تناولها القدماء والمحدثون، يقول ابن سلام الجمحي: «وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف

---

(١) Academic American Encyclopedia V.5. P. 351

(٢) أحمد أمين، النقد الأدب: ١٧ وما بعدها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصناعات، والصناعات منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان.. ومن ذلك ما قيل لخلف الأحمر: «إذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك. فقال له: إذا اخذت انت درهما فاستحسنته فقال لك الصراف انه رديء، هل ينفعك استحسانك له ؟»[١]

فالنقد إذن ملكة تحتاج الى حدة قريحة، وذكاء، وثقافة ومعايشة للنصوص الأدبية حتى يستطيع الناقد الحكم على العمل الأدبي من حيث الجودة أو الرداءة. فما هي الوظائف المنوطة الناقد، وأين وقف أبو هلال منها؟

لعل أول هذه الوظائف هو تقدير العمل الادبي من الناحية الفنية، وبيان قيمته الموضوعية قدر المستطاع وأقول «قدر المستطاع» لأن الذاتية لا بد أن تظهر في رأي الناقد بل من العسير عليه أن يتحرر منها.

إننا نلمح ذلك في ثنايا كتاب «الصناعتين» عند حديث أبي هلال عن الشعر والشعراء فتارة يتوقف عن أمثلة من شعر الجاهليين واخرى من شعر الاسلاميين وثالثة عند شعراء النقائض ومرة يتوقف عند الرسائل، والخطب ويبدي رأيه في ذلك كله، تارة يكون مستقلا وتارة متأثراً بغيره على ما سيأتي تفصيل ذلك كله في باب الذوق.

ومن الوظائف المنوطة بالناقد أيضا تعيين مكان العمل الأدبي في مجاله الخاص: أي في عالم الأدب الذي ينتمي إليه، خطبه، قصيدة، رسالة... الخ، وينبغي معرفة ما أضافه هذا العمل الى التراث الأدبي، وهل هو جديد، أم تكرار لنماذج سابقة، أو هو فضلة لا تضيف للتراث شيئا ويظهر ذلك جلياً في هذا التقسيم الحسن لكتاب الصناعتين الذي اشتمل على فيض من الأمثلة في الشعر والنثر وما يلزم كل نوع من المقاييس التي تتعلق بأحدهما أو كليهما.

ومن أهم هذه الوظائف، تحديد مدى تأثر العمل الأدبي بالبيئة التي ظهر فيها ومدى تأثيره فيها، وهذا له صلة بالناحية الفنية والناحية التاريخية وإذن فمعرفة ذلك تكون بالاحاطة بظروف الشاعر أو الناقد.

أما التعرف الى سمات صاحب العمل الأدبي من خلال أعماله، والى خصائصه الشعورية، والتعبيرية، وكشف العوامل النفسية التي تضافرت على إنتاج أعماله الأدبية، ووجهتها وجهة معينة خاصة، فهي قضية مهمة وواحدة من الوظائف التي قام بها ناقدنا القديم، وأبو هلال من آهمهم إذ تنبه الى العوامل التي دفعت أبا تمام الى الاهتمام بالصنعة، وكثرة الغريب في شعر المتنبي على ما سيأتي ذكره في الفصل

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يتناول الذوق عند أبي هلال من خلال مختاراته الشعرية والنثرية في صفحات قادمة. على أنني لست أدعي ان أبا هلال قد ناقش هذه القضايا نقاشاً مستفيضاً معمقاً وإنما تنبه إليها وأشار إليها إشارة كانت منطلقاً للدارسين من بعده.

أمّا الأدوات التي يحتاجها الأديب والناقد فقد قال العسكري بضرورة الذكاء، والدربة، والطبع يقول أبو هلال: «وأول الآت البلاغة: جودة القريحة، وطلاقة اللسان، وذلك من فعل الله تعالى، لا يقدر العبد على اكتسابه لنفسه واجتلابه لها»[١] ويقول « رأس الخطابه الطبع، وعمودها الدربة، وجناحها رواية الكلام»[٢] ولذلك فإن أبا هلال يوجّه نصائح لمن أراد ان يصنع كلاماً وهي:

١ـ أن يخطر الكاتب معانيه بباله قبل أن يبدأ بها.

٢ـ أن يتخير لمعانيه وكلامه كريم اللفظ.

٣ـ أن يجعل هذه الألفاظ على ذكر منه ليقرب عليه تناولها.

٤ـ أن يصنع الكاتب كلامه وهو في أوج نشاطه.

٥ـ إذا مرّ بلفظ حسن أو معنى بديع عليه أن يتعلق به قبل أن يفوته ويتعب في طلبه.

٦ـ على الكاتب أن يجري مع كلامه ويكون قائدا له فلا يتقدمه الكلام ولا يتأخر عنه بل يحسنُ انتقاءه فيأخذ ما هو جيد حسن ويترك ما هو ثقيل هزيل.

٧ـ ألاّ يكثر فيمثلّ ولا يكره الكلام الّأبيّ أو يدفع الآتي.

يعلق أبو هلال على قول بشر[٣] الذي يرى ان يأخذ الكاتب من نفسه ساعة لنشاطه قائلا بأن تلك الساعة أجدى على الكاتب مما يعطيه يومه بالكد والمجاهدة[٤]. وفي سبيل أن يعلم يرى أبو هلال ان من أراد أن يلتمس منازل البلاغة فعليه أن يكون في ثلاث منازل:

أما الأولى: أن يكون اللفظ شريفاً، وفخما سهلاً، ويكون المعنى ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً، فان قصر عن ذلك فعليه ألا يتعاطى قريض الشعر واختيار النثر، وذلك ان الذي لا يتعاطى هاتين الصناعتين لا يعيبه بذلك احد أما إن تكلف الكلام تكلفاً ولم يكن حاذقاً مطبوعاً عابه من هو دونه.

وأمّا الثانية: اذا كان الكاتب مُبتلى بتكلف القول أي ليس مطبوعاً على النظم والنثر فعليه أن يمضي وقتاً

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٠

(٢) ذاته: ٥٨

(٣) يقول بشر: «خذ من نفسك ساعة لنشاطك، وفرغ بالك، وإجابتها لك، فإن قلبك في تلك الساعة أكرم جوهراً، وأشرف حسنا، وأحسن في الأسماع وأحلى في الصدر، وأسلم من فاحش الخطأ، وأجلب لكل غرّة من لفظ كريم ومعنى بديع».

(٤) كتاب الصناعتين: ١٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في إجالة الفكرة حتى تواتيه[١] .

وأمّا الثالثة: إذا تعذر على الكاتب أن ينظم أو ينثر مع المحاولة والتكرار فعليه أن يتحول الى صفة أخرى يشتهيها ، لأن النفوس لا تجود بمكنونها، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة، بل تجود مع الرغبة والمحبة[٢] . ثم يعود ليؤكد قضية «لكل مقام مقال» التي سبقت الإشارة إليها، إذ يرى أن على الكاتب أن يعرف اقدار المعاني فيوازن بينها وبين أوزان المستمعين.

يؤكد أبو هلال في موضع آخر ان المتكلم إذا عمل خطبة أو قصيدة فعليه أن يتخطى ألفاظ المتكلمين: كالجسم والعرض والكون والتأليف والجوهر، لأن ذلك هجنة كما يرى[٣] .

وينتقل أبو هلال إلى قضية تعليم كتابة الشعر وينظم لذلك خطوات هي:

١.إحضار المعاني التي يراد نظمها في الفكر والقلب.

٢.طلب وزن وقافية يتأتى النظم فيها.

٣.ان يقود الشاعرُ كلامه ليأتي سهلا لا أن يقوده كلامه فيأتي كزّاً ، فجاً.

ومن القضايا التي ينبغي ألاّ يهملها الناقد والكاتب والشاعر المعرفة باللغة وقواعدها وأصولها، وكان أبو هلال سبّاقاً الى ذلك. إذ يرى أنّ من الالفاظ ما يستعمل فيه رباعية وخماسيّة دون ثلاثية كقولنا «تعاطى» إذ لا نقول عطو، وبعض الألفاظ يقبح إذا وقع نكرة، ويحسن إذا وقع معرفة[٤] .

ومما يلزم الشاعر تجنب الضرورات وان جاء فيها رخصة من أهل العربية، والتنقيح وذلك بالقاء ما غثّ من أبيات القصيدة وإبدال حرف منها بآخر أجود منه، وذلك حتى تستوي أجزاؤها، والتنقيح عند أبي هلال اختيار الأسهل والأقل حروفا[٥] ، والمعرفة بالقوافي وذلك لتجنب عيوبها كالسناد والإقواء والإيطاء، ويوجه نصائح للكتاب بتجنب السقيم من الألفاظ، وجميع ما يكسب الكلام تعمية[٦] .

ولعلّ من أهمّ ما يحتاجه الناقد الاطلاع على آراء الأقدمين وان يكون عارفاً بطرقهم ومناهجهم حتى يقوم نقده على أساس علميّ وموضوعي لا تقضي على ذاتيته ولا تتحكم في أصالته بل يدعم هذه الذاتية ويعمق تلك الأصالة.

---

(١) كتاب الصناعتين : ١٢٥

(٢) ذاته: ١٣٥

(٣) ذاته ١٣٥

(٤) ذاته ١٤٩

(٥) ذاته: ١٥٢

(٦) ذاته والصفحة ذاتها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلزمه كذلك الثقافة العامة والإلمام من كلّ علم وفن بطرف إذ ينبغي ان يكون ذا دراية واسعة بمختلف العلوم والفنون ومعرفته بجوانب الحياة. ومن القدسات التي ينبغي ان تتوافر في الناقد: الذوق السليم وهو الملكة الناقدة التي يُتبين من خلالها مواضع الجمال في الأعمال الأدبية، ولا بدّ من الطبع والموهبة ليتبين ما في هذه النصوص من الحسن، والجمال وذلك كله بحاجة الى الذكاء او حدة القريحة كما عبّر القدماء، وذلك أن يكون الناقد ذا معرفة بالفن الأدبي الذي ينقده ولديه القدرة على الموازنة بينه وبين غيره من الفنون. واننا لنجد هذا واضحاً عند أبي هلال الذي نصّب نفسه معلماً للصناعتين، ونراه يوازن بين الرسائل والخطب والشعر من جهة، ويوازن بين الأغراض الشعرية وما يصح في أحدها ولا يصح في الآخر من جهة أخرى. ومن كان عارفاً بهذه الفنون كان أقدر على توضيحها وتعليمها وصحة الحكم عليها والتقدير لها.

ومن صفة الناقد أن يكون محايداً بعيداً ن التعصب للجنس، أو الجنسية، أو القومية، أو الحزبية لأن ذلك من شأنه أن يشوه النصوص وحقائقها ومن تعصب النقاد القدامى تعصبهم للشعر القديم الآمر الذي جعل القديم والمحدث من قضايا النقد الأدبي في عصر أبي هلال ـ القرن الرابع الهجري ـ بل قبله بقرنين، ولعل أبا هلال قد ضرب مثلا في الحيدة إزاء هذه القضية إذ سار على خطى استاذه ابن قتيبة الذي لم يتعصب للقديم لقدمه أو الجديد لجدته[١].

ومن صفات الناقد أيضا الذاتية أو الفردية، وهي صفة ترتبط بالصفة السابقة ـ الحياد ـ وهي أن يضيف الناقد إلى حياته وعلمه مقياسه الدقيق الخاص به الذي لا يعرفه عن سلامة الحكم، والإنصاف في التقدير وهو رأي يجمع بين المعرفة والذوق[٢]. والذاتية تهب لآراء الناقد قوة العقيدة، وثقة اليقين، والجدة والطرافة ذلك ان النقد ثمرة شيئين: دراسة موضوعية للأدب بمشاركة منشئه، وتقدير شخصي يصور من الناقد عقله وشعوره وذوقه.

وغنيٌّ عن القول أن الناقد ينبغي ألا يكون التأثير الشخصي وحده أساساً للنقد بل لا بدّ أن يكون معللا، وفق مقاييس تنظم أحكامه.

لقد نصّ أبو هلال على الرّواية بوصفها إحدى أدوات الناقد أذ يقول «ومن لم يكن راوية لأشعار العرب، تبين النقص في صناعته»[٣] فالنقد عند أبي هلال مهمة لا يتصدى لها الا من اكتملت أدواته.

---

(١) ينظر الشعر والشعراء ١: ١٠

(٢) أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي (القاهرة، ١٩٧٣). ١٥٣.

(٣) كتاب الصناعتين: ١٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد شايع أبو هلال استاذه الجمحي الذي قال ان لكل علم ثقافة وأن لكل مهنة اهلاً كما أسلفت يقول أبو هلال «وكذلك لا نعرف أنساب العرب وتواريخها ووقائعها إلا من جملة أشعارها، فالشعر ديوان العرب، فحاجة الكاتب والخطيب، وكل متأدب بلغة العرب، أو ناظر في علومها إليه ماسّة، وفاقته الى روايته شديدة»[١].

وهو متأثر بأستاذه بشر بن المعتمر الذي أشار الى الوقت الذي يحسن فيه التأليف ويشير الى مسألة نفسية هي انعكاس حياة الأديب على تعبيره، ثم تخيّر اللفظ الشريف على المعنى الشريف، وأن جودة اللفظ والمعنى يعكسان الطبع المواتي وأن الكلام يوائم البيئة والزمان مما نجده في صحيفة بشر وبيان الجاحظ[٢].

وهو متأثر أيضاً بأستاذه ابن طباطبا الذي يجعل من الموهبة والطبع أساساً للشاعرية[٣].

هذا مجمل لرأي أبي هلال في هذه القضية، والملاحظ ان أبا هلال من خلال كتابه قد اتضحت لديه شخصية المعلم كما اتضحت شخصية الناقد، إذ يعلم الشاعر كيف ينظم قصيدته في أغراضها المختلفة، والخطيب كيف يكتب خطبته، وكيف تكتب الرسائل ، وكيف تراعى أحوال الناس ومقاماتهم عند كل قول، فهو معلم بحق لصنعة الكتابة أو هي (الصناعتين) كما يسميها أبو هلال.

٤- البديع:

كان «البديع» في هذا القرن يشمل كل فنون البلاغة لتي كانت مختلطة بالنقد، والآمدي مثلاً يجعل الاستعارة من فنون البديع، كما فعل ابن المعتز، والقاضي الجرجاني، وأبو هلال من بعدهم، وأبو هلال نفسه يجعل المجاز والمماثلة والتوابع والكناية مع البديع التي قد أصبحت جميعاً من مباحث علم البيان عند المتأخرين، وإذن فالبديع لم يكن أحد علوم البلاغة، بل إن البلاغة كانت مختلطة بالنقد كما أسلفت، ولعلّ هذا ما دفعني ألى دراسة البديع بوصفه واحداً من موضوعات النقد في كتاب الصناعتين، ولأن النقد

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٣٨.

(٢) البيان والتبيين ٤: ٢٤

(٣) يقول ابن طباطبا: «وللشعر أدوات يجب اعدادها قبل مراسه، وتكلف نظمه.. فمنها التوسع في علم اللغة، والبراعة في فهم الإعراب، والرّواية لفنون الآداب، والمعرفة بأيام الناس، وأنسابهم، ومناقبهم، ومثالبهم، والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر والتصرّف في معانيه»، ثم يوضح أصول الشعر إذ يقول: «إذا أراد الشاعر بناء قصيدته تخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره ناثرا ، وله ما يلبسه إيّاه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه ، والوزن الذي يسلس إيّاه القول عليه»، ينظر عيار الشعر: ٤ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأدبي منذ البداية اقتبس من البلاغة المصطلحات الأسلوبية كالتشبيه والمجاز التي وضعها القدماء.

لقد أجهد الشعراء والأدباء - في العصر العباسي - أنفسهم في استخدام الصنعة وأسرفوا فيها حتى أصبحت عند بعضهم غاية تثبت الفنية والاقتدار على تأليف الكلام البديع.

أما التأليف في البديع فيكاد الدارسون يجمعون على أن ابن المعتز أول من طرق بابه وشرح مصطلحاته، وحللها، واعطى مصطلحات جديدة، وكان سبب تأليفه لكتابه «البديع» بسبب الضجة التي أحدثها أصحاب المذهب الجديد الذين ادعّوا أنهم أبدعوا في صياغة الشعر فأنهم حققوا ما لم يحققه القدماء في استخدام المجاز والاستعارة والمحسنات من تجنيس وتورية وطباق... الخ وقد كان ابن المعتز يهدف من وراء ذلك الى إثبات ان القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وشعر الأوائل قد اشتمل على الكثير من هذه المحسنات، والفرق انها جاءت هنا عفوية، وعند المحدثين جاء مجلوبة آجتلابا[1] وقد أجهد ابن المعتز نفسه في استحضار شواهد تؤكد استخدام القدماء لوجوه البديع، واستوفى منه ثمانية عشر بابا فعدّ بذلك أول محاولة منظمة ومنهجية لوضع أسس البلاغة العربية ولم شتاتها، وتجديد مباحثها ومصطلحاتها دون أن يفقد صلته بالنقد لأنه منطلقه الأول.

لقد أفاد ابن المعتز من مصطلحات وردت عند الجاحظ ووردت عند أبي هلال من بعده كالتشبيه والاستعارة والكناية والحقيقة والمجاز وغيرها، ويرى أن جودة الكلام إنما تعود الى اللفظ والى الوان المحسنات التي جمعها في كتاب البديع.

إننا نرى بعض علماء البلاغة يسمي العلوم الثلاثة - المعاني، والبيان والبديع - علم البديع، لأن البديع هو الشيء الذي يستحسن لظرافته وغرابته، وعدم وجود مثله من جنسه وهذه العلوم كذلك[2].

والبيان كان اسماً جامعاً لكل ما يتصل ببناء الكلام: ألفاظه ومعانيه، وبقي الأمر كذلك حتى عهد عبدالقاهر الجرجاني ولا نرى تفريقاً للعلوم الثلاثة إلاّ عند السكاكي الذي نظم العلوم الثلاثة وحدد مباحثها التحديد الذي لا يزال أساس دراستها الى اليوم في الجزء الخاص بالبلاغة من كتابه «مفتاح العلوم».

أخذ أبو هلال من ابن المعتز ستة فنون هي: الجناس، والرجوع وتجاهل العارف، والمذهب الكلامي، وحسن الابتداءات، وتأكيد المدح بما يشبه الذّم. وأخذ تسعة من قدامه هي: صحة المقابلة، وصحة التقسيم، وصحة التفسير، والإشارة والإرداف، والتمثيل والغلوّ والترصيع والإيغال وستة فنون

---

(١) ابن المعتزو أبو العباس عبدالله، البديع، تقديم وشرح وتحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٠: ١

(٢) بدوي طبانه، أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية ١٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اكتشفها بنفسه وله فضل وصعها هي: التشطير والمجاورة، والتطريز. والمضاعف والاستشهاد والتلطف.

ويفخر أبو هلال بهذه الفنون الستة التي أضافها إذ يقول: «وقد شرحتُ في هذا الباب وفنونه، وأوضحت طرقه، وزدت على ما أورده المتقدمون ستة أنواع.. وشذبت على ذلك فضل تشذيب وهذبته زيادة تهذيب»[١].

وهناك فنون أخرى لا يذكرها أبو هلال مع الأنواع الستة التي أضافها ولم نرها عند قدامة أو ابن المعتز وهي التوشيح، والعكس، والتبديل، والتكميل، والاستطراد، وجمع المؤتلف والمختلف، والسلب والإيجاب، والتعطف، والاشتقاق، والغالب أنها انتهت الى أبي هلال مما أورده المتقدمون غير قدامة وابن المعتز وبذلك يصبح مجموع ما وصل من أنواع البديع حتي عصر أبي هلال واحدا وأربعين نوعا.

يقول أبو هلال وهو يعدد أنواع البديع: «فهذه أنواع البديع، أدّعى من لا رواية له ولا دراية عنده ان المحدثين ابتكروها، وأن القدماء قد عرفوها وذلك لّما أراد ان يفخم من أمر المحدثين[٢] ولعله بذلك يقصد القاضي الجرجاني الذي أشاد بالمحدثين وأشار الى أنهم فطنوا لجمال ألوان البديع، لا سيما في مجال السرقة، وإخفاء الأخذ، والإفراط ، والاستعارة، وأبعاد مرماها على يد المحدثين. وفي قوله هذا تحامل لا يخفى على القاضي الجرجاني وأرى ان حياتهما في عصر واحد جعلت أحدهما ينظر الى الآخر بعين المنافسة.

لقد كانت تسمية البديع معروفة قبل ابن المعتز تحت اسم «اللطيف» كما يسمّيه مسلم بن الوليد «ت٢٠٨هـ» وبعد مسلم ورد قول البديع في بيان الجاحظ حين وصف الرّاعي بأنه كثير «البديع» في شعره، وبشّار بأنه حسن «البديع» والعتابي بأنه يذهب بشعره مذهب البديع، وحين ذكر أن «البديع» مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان[٣].

والملاحظ أن قدامة بن جعفر في نقد الشعر تعرض للبديع دون أن يستخدم المصطلح، ونجد ان ابن المعتز وقدامه.. وهما من عصر واحد- ذكرا سبعة من فنون البديع وعدّاها (محاسن الكلام) وهي: الاستعارة، والتجنيس، والطباق، والالتفات، والاعتراض (يسميه قدامة التتميم) والإفراط في الصفة (يسميه قدامة المبالغة)، والتشبيه وابن المعتز من طبقة النقاد الشعراء، وقد جرى في شعره على سنة المحدثين ومذاهبهم،

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٦٦

(٢) ذاته والصفحة ذاتها

(٣) البيان والتبيين: ٣: ٢٧٣، ٢٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأشهر هذه المذاهب البديع، وقبل ابن المعتز كان الجهد كله محصورا في نقد المعاني، والأفكار والإشادة بقوتها وفخامتها. أما الأساليب فلم يكن ينظر الى شيء منها بعد الصحة والبعد عن الأخطاء اللغوية، والنحوية ولم تكن الصورة الأدبية تحظى بشيء من العناية[١]. فقد ركز ابن المعتز اهتمامه على المحسنات البديعية ودورها في بناء الشعر الجميل، إذ كان البديع ظاهرة بين شعراء عصره.

لقد وضع العسكري مقاييسه النقدية والبلاغية بأسلوب علميّ تقريري، وقد اقتفى هذا الأسلوب من جاء بعده، الأمر الذي كان له أثره في تحويل النقد الأدبي من فن يعتمد الذوق، والخبرة، والأطلاع الى علم منظم له قواعده وأصوله أعني علم البلاغة الذي تأثر فيه أبو هلال بمنطق العقليين، فكان نموذجاً يُحتذى لكل من كتب بعده، فقد كان له شخصية مستقلة في كثير من آرائه حتي تلك التي تأثر فيها بمن سبقه[٢] من ذلك ما كتبه أبو هلال في حسن الأخذ عند حديثه عمّا سمي فيما بعد (السرقات) كما أسلفت في صفحات سابقة من هذا البحث ، ونرى أنه ضرب مثلا في حسن الأخذ إذ كان مطلعاً على آراء من سبقه يأخذ منها حيناً، ويرفض بعضها حيناً، ويصهر ذلك كله في بوتقة خاصة تميّزه ولا تفقده شخصيته.

لقد درس أبو هلال الاستعارة ، والتشبيه على سبيل المثال وأخصّ بالذكر الاستعارة والتشبيه لكونهما من أهم البحوث البلاغية التي لا يتجاوزها دارس للبيان أو للنقد العربي، ذلك أن الاستعارة والتشبيه بنيت عليهما الصورة الفنية و«الخيال» الذي يعدُّ مقياسا للجودة الفنية وتفضيل أديب على آخر.

أقول : درس أبو هلال الاستعارة والتشبيه ودرسها أبو العباس المبردّ (ت٢٨٥هـ) مثلا الذي عقد لتشبيه باباً كبيراً، وتناول ارسطو - قبلهما - الاستعارة في كتابه « الخطابة» ويرى ان التشبيه استعارة لكن أبا هلال - الذي أطلع على هذه الكتب - يفصل الاستعارة عن التشبيه، إذ يدرس التشبيه في باب خاص ويعقد له فصلين أحدهما لجيده والآخر لقبيحه، وجعل الاستعارة من أنواع البديع، وضرب على ذلك كله أمثلة كثيرة من القرآن الكريم والحديث الشريف، وأقوال العرب : شعرهم ونثرهم.

قلت إنّ أبا هلال استنبط سبعة محسنات وفيما يلي تعريف مبتسر لكل واحدة منها:

١. التشطير: وهو أن يتوازن المصراعان والجزآن ومثال ذلك من النثر قول العرب: الجودُ خيرٌ من البخل، والمنع خير من المطل، ومن الشعر قول القائل:

فتحدركم عبسٌ إلينا وعامرٌ وترفعنا بكر اليكم وتغلبُ

ويلاحظ ان الفواصل على زنة واحدة.

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٠٤

(٢) أبو هلال ومقاييسه البلاغية ١٧٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ـ المجاورة، وهي ان تتردد لفظتان في البيت وتقع كلٌ منهما بجانب الأخرى أو قريبا منها من غير ان تكون إحداهما لغوا لا يُحتاج إليها من ذلك قول علقمة:

مُطعمُ الغُنْمِ يوم الغُنم مطعمُه أنّى توجّه والمحروم محرومُ

يقول أبو هلال: فقوله: «الغنم يوم الغنم» مجاورة، والمحروم محروم مثله والملاحظ ان أبا هلال يجعل هذا المحسّن في الشعر وحده.

٣ـ التطريز: وهو أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن فيكون فيها كالطراز في الثوب، ويرى أبو هلال أنّ هذا النوع قليل في الشعر، ويضرب على ذلك مثالاً حسناً هو قول أحمد بن أبي طاهر:

إذا أبو قاسم جادت لنا يدهُ لم يُحمد الأجودان البحر والمطرُ

وإنْ أضاءت لنا أنوار غرّته تضاءل الأنوران الشمس والقمرُ

فقوله: الأجودان: والأنوران تطريز.

٤ـ الاستشهاد والاحتجاج: وهو ان يأتي الأديب بمعنى ثم يؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته، ويضرب أمثلة من النثر كقول الصاحب بن عباد:

«فلا تقس آخر أمرك بأوله، ولا تجمع بين صدره وعجزه ولا تحمل خوافي صنيعك على قوادمه، فالاناء يملؤه القطر فينعم، والصغير يقترن بالصغير فيعظم... الخ

ومن الشعر قول أبي تمام:

عُتقت وسيلته وأية قيمة للمشرفّي العضب ما لم يعبق

ويروي أبو هلال قول بعض البلغاء: «للبلاغة ثلاثة مواضع: الإشارة، والمساواة والتذييل»، وهو إعادة الالفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويؤكد عند من فهمه...»

٥ـ المضاعفة: وذلك أن يتضمن الكلام معنيين: أحدهما مصرح به، والآخر كالمشار إليه كقوله تعالى: ﴿ومنهم من يستمعون إليك، أفأنت تهدي العُمي ولو كانوا لا يبصرون﴾ ومن النثر قول أبي العيناء[1]: «سألتك حاجة، فرددَت بأقبَح من وجهك» يقول أبو هلال: فتضمن هذا اللفظ قبح وجهه وقبح رده.

ويضرب مثالا من الشعر قول الأخطل:

قومٌ إذا استنتج الأضياف كلبهمُ قالوا لأمهم بولي على النار

---

(١) هو ابو عبدالله محمد بن القاسم ولد في الاهواز سنة ١٩١ هـ، كان أديباً إخباريا وكان شاعرا فحلا، أخباره في الفهرست ١٢٥، طبقات ابن المعتز ٤١٥، ٥١٦، معجم الأدباء ١٨: ٢٨٦ـ٣٠٦، وفيات الأعيان ٢: ٣٢١ـ٣٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأخبر عن إطفاء النار ، فدلّ على بخلهم، وأشار الى مهانتهم ومهانة أمهم عنده.

٦ـ التلطف: وهو أن تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجنه. وللمعنى الهجين حتى تحسنه من ذلك أن يحيى بن خالد البرمكي قال لعبد الملك بن صالح: أنت حقود! فقال عبدالملك: إن كان الحقد عندك بقاء الخير والشر فإنهما عندي لباقيان! فقال يحيى: ما رأيت أحداً احتج للحقد حتى حسنّه غيرك» وهو قريب من المناظرة، والجدل وأسلوب الخطابه الذي شاع عند اليونان قديماً في جماعة السفسطائيين[١].

٧ـ المشتق: قال أبو هلال: «وقد عرض لي بعد نظم هذه الأنواع نوع آخر لم يذكره أحد وسميته «المشتق» ويرى أنه يأتي على وجهين:

(أ) اشتقاق اللفظ من اللفظ.

(ب) اشتقاق المعنى من اللفظ.

فالأول مثاله قول الشاعر في رجل يقال له ينخاب: «وكيف ينجح من نصف اسمه خابا...»[٢]

ويلاحظ أنّ الفصول الخمسة والثلاثين التي وضعها أبو هلال انتقلت في اصطلاحات المتأخرين فبعضها نقل الى البيان والمعاني ، فمن علم البيان الاستعارة، والتشبيه، والكناية، وأبو هلال يضع الاستعارة في باب البديع[٣] كما فعل ابن المعتز، وقد أسهب في حديثه عن التشبيه، وحدوده، وأقسامه، ووجوهه، وعيوبه.

ومن علم المعاني تناول أبو هلال: الإيجاز، والإطناب، إذ عرّف الإيجاز وجعله في قسمين: الأول الحذف والقصر، ويدخل فيه المساواة التي أصبحت فنّاً مستقلاً عند المتأخرين.

ومن علم المعاني أيضاً القول في الفصل والوصل الذين عرض لهما في الباب العاشر ـ آخر أبواب الصناعتين ـ .

ومما يتضح في عرضه لمباحث علم المعاني: الميل الى حسن التنسيق والتوسّع في تجميع المادة المتصلة بموضوع واحد في مكان واحد .

ومن مباحث علم المعاني أيضا: التذييل، والإيغال، والتتميم، والتكميل، والاعتراض التي جُعلت ضروباً من الإطناب الذي احتلّ مكانة من مباحث علم المعاني.

إذن فقد نفقت صناعة البديع في عصر أبي هلال . فأصبحت مقياسا في الحكم بالإجادة والإبداع وجاء

---

(١) كتاب الصناعتين ٥٣ ثم يقارن بما ورد عند بدوي طبانة: ٢١٨

(٢) السابق: ٤١٦

(٣) ذاته: ٢٦٨ ـ ٢٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتاب الصناعتين استجابة طبيعية لما عرف في عصره. وإذ ذاك. لا نستغرب هذا الباب الضافي الذي خصصه أبو هلال للبديع والذي استوعب خمسة وثلاثين فصلا.

وإذا علمنا أن كتابيّ أرسطو: الخطابة والشعر[١] قد ترجما قبل عصر أبي هلال، فليس من عجب أن نجد آثارا واضحة لهذين الكتابين في الصناعتين من ذلك أن بعض المباحث قد تكررت بين الخطابة والصناعتين كالإطناب، والابتداءات التي يسميها أرسطو: الاستهلال[٢].

لقد كان أبو هلال مجددا في البلاغة ومنهجها ومصطلحاتها، أمّا الإطّلاع على كتب اليونان فكان الهدف منه عند المعتزلة والمتكلمين. ومن حذا حذوهم كأبي هلال. دفع المطاعن عن القرآن، ثم استطاع علماء المسلمين عن طريق هذه الفلسفة الاطلال على كتابي الخطابة والشعر، وظهر هذا بوضوح. اكثر ما ظهر. عند قدامة بن جعفر في نقد الشعر، ودلائل الإعجاز لعبدالقاهر، سر الفصاحة لابن سنان.

وكان من أثر الفلسفة في البلاغة ان ظهرت طريقتان أو مدرستان:

١. طريقة الأدباء.

٢. طريقة المتكلمين.

أما طريقة الأدباء فأهم ما يميزها كثرة الشواهد، والأمثلة من الشعر والنثر على نحو ما نجد عند أبي هلال والإقلال من البحث في التعاريف والقواعد والأقسام، وتعتمد في النقد على الذوق الفني والإحساس بالجمال.

أما طريقة المتكلمين. وآثارها قليلة عند أبي هلال. فتتسم بالجدل، والمناقشة، والتحديد المنطقي اللفظي والعناية بالتعاريف والإقلال من الشواهد، واستعمال المقاييس الفلسفية المعتمدة على القواعد المنطقية دون النظر الى معاني الجمال، وقضايا الذوق وكان أبو هلال نفسه قد صرّح بأنه لا يريد ان يسلك مسلك المتكلمين وكان له فضل التوضيح. والتقسيم. والقول في الحدود.

إن استعراضاً لتاريخ البلاغة والنقد العربيين يجعلنا نستنتج ان المصطلحات البلاغية تعنى أولا كل ما يدل على القول الجيد والمفيد والجميل من جوانبه المختلفة: اللفظية والمعنوية والتخييلية وهذا يجعلها أقرب الى النقد كل ذلك قبل أن يصيبها الجمود.

---

(١) في القرن الثالث الهجري ترجمت كتب اليونان، وظهر منها أول ما ظهر كتاب الخطابة الذي ترجم أول القرن الثالث الهجري هذا الكتاب لأرسطو الذي لم تكن كتبه مقروءة بين رجال الأدب وإنما انتشرت بين الفلاسفة والمعتزلة، والذي أثّر في كتب النقد هو الجزء الذي يدور حول الأسلوب والإطناب والابتداء. وما شابه ذلك من كتاب الخطابة. أمّا في القرن الرابع الهجري فقد بلغ الاتصال بالثقافات الأجنبية. واليونانية منها خاصة الى مداه.

(٢) ينظر كتاب «الخطابة» لأرسطو، تحقيق عبدالرحمن بدوي، على سبيل المثال: ٩. ١٦، ٢٠ وما بعدها، ٢٣ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

المصطلح النقدي عند أبي هلال العسكري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصطلح النقدي عند أبي هلال العسكري

يُعنى هذا الفصل بدراسة الألفاظ والتراكيب التي أتخذت عند أبي هلال سمة اصطلاحية ، سواء أسبقه إليها النقاد قبله أم كان إماماً ومجددا في ابتكارها. وأعني بالسمة الاصطلاحية أن تكون هذه الألفاظ والتراكيب قد أكتسبت دلالة خاصة عند أبي هلال في سياقاتها التي وردت عبر كتاب الصناعتين، وهذا يتضمن ألاّ نعني بالمعنى المعجمي للفظه إلاّ بمقدار ما يخدم المعنى الاصطلاحي الذي نحن بصدده.

وسأطرح جانباً المصطلحات التي درسها أبو هلال في باب البديع وهو الباب التاسع الذي أحتلّ من الصناعتين مساحة واسعة وقد درس أبو هلال في هذا الباب خمسة وثلاثين نوعاً من البديع جعل لكل نوع فصلا كما أشرتُ في الفصل الأول من هذه الدراسة.

أقول سأطّرح هذه المصطلحات وذلك لسببين:

١. أن أبا هلال قد عرّف كلَّ مصطلح منها وضرب على ذلك أمثلة من القرآن الكريم والحديث الشريف، والشعر قديمه ومحدثه وأقوال الكتاب والخطباء... الخ. يقول في باب المطابقة مثلا: «والطباق في اللغة: الجمع بين الشيئين، يقولون: طابق فلان بين ثوبين، ثم استعمل في غير ذلك، فقيل: طابق البعيرُ في سيره، إذا وضع رجله موضع يده، وهو راجع إلى الجمع بين الشيئين[١] ويضرب على ذلك أمثلة[٢].

٢. أن هذه الألفاظ دخلت - بعد عصر أبي هلال - علم البلاغة الذي انفصل عن النقد، وقد سبقت الإشارة إلى أن كتاب الصناعتين يعد نقطة انعطاف في هذا المضمار.

أمّا المصطلحات التي سأدرسها في هذا الفصل فهي:

١. الإبداع.

٢. الإيجاز والإطناب.

٣. البلاغة.

٤. التشبيه والاستعارة.

٥. التطويل (الإطالة).

٦. التكلف.

٧. الجزل (الجزالة)

---

(١) كتاب الصناعتين: ٣٧.

(٢) ذاته والصفحة ذاتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨ـ الجودة.

٩ـ الحلاوة والعذوبة.

١٠ـ الخروج (التخلص).

١١ـ الرّصف (التأليف).

١٢ـ السّهل (السهولة).

١٣ـ الشعر (النظم، المنظوم).

١٤ـ الصّنعة.

١٥ـ الفصاحة.

١٦ـ القافية والسجع.

١٧ـ اللطف (اللطافة، التلطف).

١٨ـ المبادىء والمقاطع.

١٩ـ النثر (المنثور).

٢٠ـ الوزن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإبـــداع

يجعل أبو هلال المعاني في قسمين:

١ـ قسم يتبعه صاحب الصناعة من غير أن يُفيد من أمثلة سبقته أو إمام يقتدي به ويستخدم هذا النوع في الأمور الطارئة ـ وهي قضية الإبداع.

٢ـ قسم يحتذي فيه صاحب الصناعة من سبقه ـ وهي قضية التقليد.[١]

ويشترط أبو هلال في هذين النوعين من صناعة الكتابة ١ـ الصورة المقبولة ٢ـ العبارة المستحسنة.

ولا يعفيه من الذم كونه مبتدعا لهذا النوع أو ذاك إن هو أساء التشبيه، وساهل نفسه[٢].

فالإبداع عن أبي هلال ـ كما يفهم من ظاهر قوله ـ هو خلق المعاني والسبق إليها.

يذكر ابن سلام هذا المصطلح في معرض حديثه عن امرىء القيس إذ يقول: «إنه ابتدع أشياء ثم اتبعت فيما بعد لاستحسانها: فأحتج لامرئ القيس من يقدمه قال: ما قال ما لم يقولوا ولكنّه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنتها العرب، واتبعته فيها الشعراء»[٣].

أما الجاحظ فقد عدَّ الإبداع أقصى درجات الكلام إذ يقول: «لأن الشيء من غير معدنه أغرب، وكلّما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلّما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلّما كان أطرف كان أعجب، وكلّما كان أعجب كان أبدع»[٤].

وعند أبن طباطبا جاء مصطلح الإبداع بمعنى الأمر المحدث أو الأفضل إذ يعلقّ على بعض الشعر قائلا: «فهذا من أبدع ما قيل في هذا المعنى وأحسنه»[٥] والملاحظ أن النقاد قد تشابهوا في مفهومهم لهذا المصطلح وإن كان أبو هلال ـ كعادته ـ ينظر لعملية الكتابة ويضع لها شرطاً وأصولا.

ـ الإيجاز والإطناب ـ

يذكر العسكريّ أن لكل من الإيجاز والإطناب مواضع إذ يقول: «فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه

---

(١) كتاب الصناعتين: ٦٩.

(٢) ذاته: ٦٩، ٧٠.

(٣) طبقات فحول الشعراء ١: ٤٦

(٤) البيان والتبيين: ١: ٨٩.

(٥) عيار الشعر: ٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كالحاجة إلى الإطناب في مكانه»[١]، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته وأستعمل الإطناب في موضع الإيجاز وأستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ ويرى أبو هلال أن الذي يبلغ بالكلام مراتب التمام: أن يكون موقعه في الإطناب والإيجاز أليق بموقعه وهي قضية لها صلة وثيقة بمناسبة المقام للمقتضى الحال[٢].

ويورد أبو هلال دليلا على قوله من كلام علي رضي الله عنه: يقول علي: «ما رأيتُ بليغاً قطّ إلاّ وله في القول إيجاز، وفي المعاني إطالة»[٣]، الإيجاز عند أبي هلال نوعان: إيجاز قصر وإيجاز حذف، فالقصر تقليل الألفاظ، وتكثير المعاني، ويجعل «المساواة» من باب إيجاز القصر والمساواة كما يعرّفها أبو هلال أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني لا يزيد بعضها على بعض ويرى أبو هلال أن هذا هو المذهب الوسط بين الإيجاز والإطناب[٤] ويجعل أبو هلال الحذف على وجوه هي:

١. ما يحذف فيه المضاف، ويقوم المضاف إليه مقامه، ويُجعل الفعل له كقوله تعالى: ﴿واسأل القرية﴾[٥] أي أهلها.

٢. ما يقع الفعل فيه على شيئين وهو لأحدهما ويُضمر للآخر فعله كقول الله سبحانه ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم﴾[٦].

٣. ما يأتي الكلام فيه على أن له جوابا فيحذفُ الجواب اختصارا لعلم المخاطب كقول الله عز وجل: ﴿ولو أن قرآنا سيّرت به الجبال أو قطعّت به الأرض. أو كلمّ به الموتى بل لله الأمر جميعاً﴾[٧] أراد لكان هذا القرآن، فحذف[٨].

٤. ما حُذف فيه الكلمة والكلمتان كقوله تعالى: ﴿فأمّا الذين أسودّت وجوههم أكفرتم﴾[٩].

٥. ما كان مقسما بلا جواب كقوله تعالى: ﴿ق والقرآن المجيد بل عجبوا﴾[١٠]. قوله تعالى «والقرآن»

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٩٠.

(٢) ذاته: ١٧٣.

(٣) ذاته: ١٧٤.

(٤) ذاته: ١٧٩.

(٥) يوسف: ٨٢.

(٦) يونس: ٧١.

(٧) الرعد: ٣١.

(٨) ذاته: ١٨٢.

(٩) آل عمران: ١٠٦.

(١٠) ق: ١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قسم بلا جواب[١].

٦ـ ما حُذفت منه «لا» كقوله تعالى ﴿يبيّن الله لكم أن تضلوا﴾[٢] أي «لأن لا تضلوا»[٣].

٧ـ ما ضمُر فيه غيرُ مذكور كقوله تعالى: ﴿حتى توارت بالحجاب﴾[٤] يعني الشمس بدأت في المغيب[٥]

ومن المواضع التي لا يليق فيها الإيجاز ـ فيما يرى أبو هلال ـ العذل والتوبيخ ذلك أن الإطناب بلاغة ـ في هذا الموضع ـ والتطويل عي[٦] والإطناب يكون محموداً في المواعظ، والأيجاز محمودا في الإفهام[٧] فالإطناب يعد إيجازا إذا لم يكن منه بدّ[٨].

ويتصل بهذا الموضوع حديثه عن «المزاوجة» التي يعدّها أبو هلال شعبة مستحبة من الإطناب[٩].

وقبل أبي هلال ذكر الجاحظ هذا المصطلح وجاء الإطناب عنده عكس الإيجاز إذ يقول: «وربما كان الإيجاز محموداً، والإكثار مذموماً وربما رأيت الإكثار أحمد من الإيجاز، ولكل مذهب ووجه عند العاقل ولكل مكان مقال. ولكل كلام جواب مع أن الإيجاز أسهل مراماً وأيسر مطلباً من الإطناب، ومن قدر على الكثير كان على القليل أقدر»[١٠] وقد أورد ابن طباطبا هذا المصطلح لدى حديثه عن أدوات الشعر إذ يقول: «وسلوك منهاجها.. أي العرب ـ في صفاتها ومخاطباتها وحكاياتها وأمثالها والسنن المستدلة منها وتعريفها وأطنابها وتقصيرها وإطالتها وإيجازها»[١١] ويذكر الباقلاني أن الإطناب فيه بلاغة»[١٢].

لقد جاء الإيجاز عند النقاد القدامى صنواً للإطناب ولكل منهما مواضع ولأبي هلال فضل الزيادة والتقسيم وضرب الأمثلة الكثيرة من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر.

---

(١) كتاب الصناعتين. ١٨٣.

(٢) النساء: ١٧٦.

(٣) كتاب الصناعتين: ١٨٦.

(٤) ذاته: ٣٢.

(٥) ذاته: ١٨٤.

(٦) ذاته: ١٩١.

(٧) ذاته: ١٩٢.

(٨) ذاته والصفحة ذاتها.

(٩) ذاته: ١٩٥.

(١٠) رسائل الجاحظ. تقديم علي أبو ملحم (دار ومكتبة الهلال. ١٩٨٧) ٢٩٥. ٢٩٦.

(١١) عيار الشعر: ٤.

(١٢) إعجاز القرآن: ٢٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البلاغة

يفيض أبو هلال في اشتقاقات الجذر «بلغ» إلى أن يقول: أبلغت الكلام إذا أتيت بالبلاغة ويقول: «البلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم»[١] ويجعل أبو هلال الفصل الثاني من الصناعتين في الإبانة عن حدّ البلاغة ليستنتج أن من شروط البلاغة أن يكون المعنى مفهوما، واللفظ مقبولا[٢]. ويوردأبو هلال فيضا من أقوال الحكماء والعلماء في حدود البلاغة، بعد ذلك يقرر أبو هلال أن أعلى رتب البلاغة أن يحتج للمذموم حتى يخرجه في معرض المحمود، وللمحمود حتى يصيره في صورة المذموم[٣].

ذكر الجاحظ معاني كثيرة للبلاغة[٤] منها معنى اختارد الجاحظ نفسه: «وقال بعضهم وهو من أحسن ما أجتنباه ودوناه لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه»[٥].

أورد ابن طباطبا هذا المصطلح في معرض تعليقه على خطبة لخالد بن عبدالله القسري[٦]: «فكان حفظه لتلك الخطب، رياضة لفهمه وتهذيباً لطبعه، وتلقيحاً لذهنه. ومادة لفصاحته، وسبباً لبلاغته ولسنه وخطابته»[٧].

أما الآمدي فالبلاغة عنده الإصابة في المعنى والوصول الى المقصود بأيسر طريقة يقول: «إنما هي إصابة المعنى، وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف، لافية لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة ولا تنقص نقصاناً يقف دون الغاية»[٨].

وعوداً إلى أبي هلال فإنه يبيّن أن البلاغة تعني تمكن المعنى في نفس السامع بعد تمكنه في نفس القائل مع مراعاة حسن المعرض للمعاني، البلاغة كلُّ ما تبلغ به المعنى قلب السّامع، فتمكنّه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة، ومعرض حسن، وإنما جعلنا حسن المعرض، وقبول الصورة شرطا في البلاغة

---

(١) كتاب الصناعتين: ٦

(٢) ذاته: ١٠ وما بعدها.

(٣) ذاته: ٥٣.

(٤) البيان والتبيين ١ ٨٨، ٩٧، ١١٣.

(٥) ذاته: ١: ٥٠، ١١.

(٦) هو خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد، الأمير أبو القاسم القسري البجلي الدمشقي، أحد الأشراف، أمر مكة، ثم العراقين في خلافة هشام بن عبدالملك، روى عن أبيه، وكان خطيبا بليغا. قتل سنة ١٢٦ هـ، ابن ستين، ترجمته في تاريخ الإسلام ٨:٨٢، البداية والنهاية ١٠ ١٧، شذرات الذهب ١ ١٦٩، تهذيب ابن عساكر ٥ ٦٧، ميزان الاعتدال ١:٦٣٣، طبقات ابن سعد ٦ ٢٦٥، وفيات الاعيان ٢ ٢٢٦، وغيرها.

(٧) عيار الشعر: ١٠.

(٨) الموازنة: ١: ٤٠٠، ٤٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن الكلام إذا كانت عبارته رثّة، ومعرضه حسناً لم يسمّ بليغاً، وإن كان مفهوم المعنى، مكشوف المغزى»[١]

لقد توسّع أبو هلال في كشف معنى البلاغة من وجوهها المختلفة عند حديثه في مواضيع كثيرة من «الصناعتين» وليس عند حديثه عن البلاغة فحسب وقد ذكر أبو هلال من أقوال الحكماء والفصحاء اكثر مما فعل الجاحظ قبله كلّ ذلك لأن البلاغة والنقد عند أبي هلال وجهان لموضوع واحد، ولم تكن البلاغة قد أنفصلت عن النقد بعد، ولا نستشف من أقوال أبي هلال في تعريفاته للبلاغة من وجوهها المختلفة أو ذكره لأقوال الحكماء والكتاب ما يبيّن هذا الجفاف الذي نراه في «البلاغة» في عصورها المتأخرة بعده وقد بيّن أبو هلال حدود البلاغة من جوانبها المختلفة ـ كما أسلفت ـ في الوقت الذي كنّا نجد فيه ـ قبله ـ تعويماً لمعنى البلاغة.

التشبيه

يجعل أبو هلال التشبيه في فصلين: الأوّل منها لما يستحسن من منثور الكلام ومنظومه، والثاني للبيان عن قبح التشبيه وعيوبه.

يبدأ أبو هلال بتعريف التشبيه إذ يقول: «التشبيه: الوصف بأنّ أحد الموصوفين، ينوب مناب الآخر، بأداةالتشبيه، ناب منابه أو لم ينب»، وقد لاحظ أبو هلال أنّ التشبيه جاء في الشعر، وسائر الكلام بغير أداة التشبيه ويقول: «ويصح تشبيه الشيء بالشيء جملة وإن شابهه من وجه واحد...»[٢]

ويقسم التشبيه إلى ثلاثة أوجه:

١ـ تشبيه شيئين متفقين من جهة اللون، مثل تشبيه الليلة بالليلة...

٢ـ تشبيه شيئين متفقين يعرف اتفاقهما بدليل: كتشبيه الجوهر بالجوهر، والسوّاد بالسواد.

٣ـ تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعها. كتشبيه لبيان بالسحر. والمعنى الذي يجمعهما لطافة التدبير، ودقة المسلك[٣].

ويرى أن أجود التشبيه وأبلغه ما يقع على أربعة أوجه:

١ـ «إخراج ما لا تقع عليه الحاسّة»[٤].

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٠.

(٢) ذاته: ٢٣٩.

(٣) ذاته: ٢٤٠.

(٤) ذاته والصفحة ذاتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. «إخراج ما لم تجربه العادة إلى ما جرت به العادة»[١].

٣. «إخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها»[٢].

٤. «إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها».

ويجعله أقوى الأنواع السابقة ويضرب عليه مثالا قوله تعالى: ﴿وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام﴾[٣] ويرى أنه على هذا الوجه يجري أكثر تشبيهات القرآن[٤] وأبو هلال إذ يصنف أوجه التشبيه في أربعة وجوه فإنه يضع وجهاً خامساً وهو ما جاء في أشعار المحدثين. كما يقول. وهو ما يرى العيان بما ينُال بالفكر.[٥]

أمّا الطريقة المسلوكة في التشبيه عند القدماء. كما يذكر أبو هلال تشبيه الجواد بالبحر والمطر، والشجاع بالأسد .. الخ كما شُهر قوم بخصال محمودة، فصاروا فيها أعلاماً كالسموأل في الوفاء، وحاتم في السخاء، والأحنف في الحلم، وشهر آخرون بأضداد هذه الخصال كباقل في العيّ، وهبنقة في الحمق[٦] والتشبيه يزيد المعنى وضوحاً، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغنِ أحدٌ منهم عنه، ويؤكد أبو هلال أنّه جاء عن القدماء، وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدلّ به على شرف التشبيه، وفضله، وموقعه من البلاغة بكل لسان[٧] ثم يتطرق إلى وجوه التشبيه في جميع الكلام وكعادته في التقسيم يحصرها في أنواع أربعة:

١. تشبيه الشيء بالشيء صورة كقوله تعال: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾[٨].

٢. تشبيه الشيء بالشيء لوناً وحسناً كقوله تعالى ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾.

٣. تشبيه الشيء بالشيء لونا وصورة ويضرب على ذلك أمثلة من الشعر، ولا يضرب أمثلة من القرآن[٩].

ويأتي في الفصل الثاني للبيان عن قبح التشبيه وعيوبه، ويرى أنّ التشبيه يكون قبيحاً إذا أخرج الظاهرُ فيه إلى الخافي، والمكشوف إلى المستور، والكبير إلى الصغير، ويكون قبيحاً كذلك إذا شبه صغير

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٤٠

(٢) ذاته: ٢٤١.

(٣) الرحمن: ٢٤.

(٤) كتاب الصناعتين: ٢٤٢.

(٥) ذاته والصفحة ذاتها.

(٦) ذاته: ٢٤٣.

(٧) ذاته والصفحة ذاتها.

(٨) ذاته: ٢٤٥.

(٩) ذاته: ٢٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بكبير ليس بينها مقاربة ويرى أن ذلك معيب[١]

ورد مصطلح التشبيه عند ابن سلاّم في معرض حديثه عن امرىء القيس إذ يقول: «كان أحسن أهل طبقته تشبيهاً»[٢].

يجعل ابن قتيبة الإصابة في التشبيه من أسباب اختيار الشعر. يقول: ليس كل الشعر يُختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ولكنه قد يختار ويحفظ على أسباب منها: الإصابة في التشبيه»[٣].

أما المبرّد فيذكر أوجه التشبيه عند العرب يقول «فتشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد يحتاج الى التفسير، ولا يقوم بنفسه وهو أخشن الكلام»[٤].

ويرى ابن أبي عون (ت ٣٢٢هـ) أن التشبيه «لا يقع إلاّ لمن طال تأمله ولطف حسّه، وميّز بين الأشياء بلطيف فكره»[٥].

أما ابن طباطبا فيذكر التشبيه في مواضيع عدة من كتابه منها: «فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقص بل يكون كل شبه بصاحبه مثل صاحبه ويكون مثله مشتبها من صورة ومعنى.. وربما قاربه وداناه أو شامه وأشبهه مجازا لا حقيقة»[٦].

والتشبيه عند قدامة ما «يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها وافترات في اشياء ينفرد كل واحد منها عن صاحبه بصفتها وإذا كان الآخر كذلك فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدين بهما الى حال الاتحاد»[٧]. وإذن فقد زاد أبو هلال على نقاد عصره القول في حدود التشبيه مع تفصيل ذلك وضرب الشواهد الكثيرة.

أما الاستعارة فهي مرتبطة بالتشبيه أشدّ الارتباط ويعرّفها ابو هلال بقوله هي: «نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة الى غيره لغرض»[٨].

والملاحظ أن أبا هلال يجعلها من أبواب البديع بل يجعلها الأول منه الأمر الذي أخذه عليه النقاد كما سأوضح في الفصل الأخير.

---

(١) ينظر المصدرَ ذاتِه ٢٥٧ـ٢٥٩.

(٢) طبقات فحول الشعراء: ١ ٥٥.

(٣) الشعر والشعراء: ٢٩.

(٤) الكامل: ٢: ١١٥.

(٥) كتاب التشبيهات: عني بتصحيحه محمد عبدالمعين خان، طبع (كمبردج) ١٣٦٩هـ: ١٩٥.

(٦) عيار الشعر. ١١.

(٧) نقد الشعر: ١٠٩.

(٨) كتاب الصناعتين: ٢٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاستعارة وردت في الدراسات القرآنية قبل أبي هلال وأخذت حدّها البياني عند الجاحظ وابن قتيبة. والتشبيه والاستعارة من عناصر الخيال. والصورة الأدبية ترجع الى أصلين مهمين هما الخيال والعبارة الموسيقية.

التفت الجاحظ إلى الاستعارة إذ يعرّفها بقوله: «هي تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه» وذلك في معرض تعليقه على جملة أبيات منها قول الشاعر:

وطفقت سحابة تغشاها تبكي على عراصها عيناها

فيعلق الجاحظ على هذا البيت بقوله: «وطفقت، تعني ظلت تبكي على عراصها عيناها، وعيناها ها هنا للسحاب، وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه»[1].

أما ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) فعدّ الاستعارة أول أبواب البديع كما فعل أبو هلال بعده. ويضرب على ذلك أمثلة من القرآن الكريم ويرى أن الاستعارة هي استعمال الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عُرف بها. من ذلك قول القائل: «الفكرة مخُّ العمل» فلو، قال «لب العمل» لم يكن بديعا»[2].

أما القاضي الجرجاني فيقول: «أمّا الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام.. وبها يتوصل ألى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر»، وعرّفها مرة أخرى بقوله: «ما اكتُفي فيها بالاسم المستعار عن الأصلي، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها بقرب التشبيه، ومناسبة المستعار للمستعار له، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينها منافرة، ولا يتبين في أحدهما اعراض عن الآخر»[3]. أما الآمدي فيرى أنها استعارة المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه أو يشبهه في بعض أحواله أو كان سببا من أسبابه».

والملاحظ أن أبا هلال قد اتفق مع نقاد عصره في مفهومه للاستعارة، والملاحظ ان أبا هلال لم يخض في أنواع الاستعارة وقرائنها كما فعل العلماء بعده مما يؤكد أن هذا المفهوم - عنده - كان أقرب الى النقد وان كان أبو هلال قد جعله الفصل الأول من باب البديع كما أسلفت.

---

(١) البيان والتبيين، ١:١٥٣ والعراص جمع عرْصة ويعرفها الجاحظ بأنها كل حَوبة منفتقة ليس فيها بناء. والجوبة فجوة بين البيوت.

(٢) كتاب البديع: ٢

(٣) الوساطة: ٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التطويل (الإطالة)

يرد هذا المصطلح عند أبي هلال في معرض حديثه عن الكتب الصادرة عن السلاطين، فيرى أن الأمور الجسيمة، والفتوح الجليلة وما إليها فسبيلها أن تكون مشبعة مستقصاة فالإطناب بلاغة والتطويل عي[١] . وقبل ذلك كان أبو هلال قد تحدث عن الإطناب ومواضعه[٢] ويبدو من كلام أبي هلال أن الإطناب غير التطويل بل هو نقيضه إذ الإطناب استقصاء والتطويل هذر لا فائدة منه . يعزز هذا الاستنتاج أن أبا هلال في موضع آخر يرى ان التعبير عن المعنى بكلام طويل لا فائدة في طوله مع إمكانية ان يعبر عنه بكلام أقصر[٣] ويرد مصطلح التطويل عند أبي هلال لدى حديثه عن عيوب الازدواج إذ يرى أن التطويل هو أن تجيء بالجزء الأول طويلا، فتحتاج إلى إطالة الثاني ضرورة ويضرب على ذلك مثالا لقدامة[٤] .

قبل أبي هلال ذكر ابن طباطبا هذا المصطلح في معرض حديثه عن الأدوات التي يجب على الشاعر إعدادها قبل مراس النظم بقوله: «... والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر، والتصرف في معانيه.. وسلوك مناهجها في صفاتها ومخاطباتها.. وتعريفاتها، وتصريحها، وأطنابها وتقصيرها وإطالتها وإيجازها»[٥] فابن طباطبا هنا يقرن الإطالة بالإيجاز وهي نقيضه وفي موضع ثان يقول «فإذا استعصى المعنى واحاطه بالمراد الذي إليه يسوق القول بأيسر وصف وأخف لفظ لم يحتج الى تطويله وتكريره»[٦] فلا يرى ابن طباطبا داعيا للتطويل والتكرير إذا ألبس المعنى ما يناسبه من الألفاظ.

من ذلك نخلص إلى القول أن ابن طباطبا كان من الأوائل الذين استخدموا مصطلح الإطالة واستخدمه أبو هلال تحت اسم (التطويل) وعند ابن طباطبا وأبي هلال فإن التطويل مذموم على خلاف الإطناب كما مرّ.

التكلف

يجعل أبو هلال السلامة من التكلف من أهم صفات الكلام البليغ. ويكون الكلام سليما من التكلف إذا كان بريًا من التعقيد، غنياً عن التأمل، ويرى أبو هلال أن الكلام ينبغي ان يوضح المقصد والمراد ويبتعد عن

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٩٠، ١٩١.

(٢) ذاته والصفحات ذاتها.

(٣) ذاته : ٤٨.

(٤) ذاته: ٦٤.

(٥) عيار الشعر: ٤

(٦) ذاته : ٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعمية والاغلاق[١] ولا يستعين الكاتب على كلامه بطول الفكر فلا يكون متقطع الأجزاء وإنما ينصب إنصباب القطر[٢]. ولذلك فإنّ أبا هلال يرى أنّ المبالغة في التعقيد والتعمية يعدُّ عِياً[٣] ويجعل ذلك إحدى وصاياه للكتّاب إذ يكرهم بالابتعاد عن التوعر والتعقيد. لأن ذلك يستهلك المعنى ويشين اللفظ، ويرى أن من يتكلف الكلام تكلفا، ولم يكن حاذقاً مطبوعاً عابه من كان دونه[٤].

ويفسر أبو هلال التكلف بأنه عكس الطبع إذ ينصح الكاتب المبتلى بتكلف القول. أي ليس مطبوعاً على النظم والنثر. أن يمضي وقتا في إجالة الفكرة حتى تواتيه[٥].

ويجعل أبو هلال استكراه الألفاظ وتعقيد المعاني مما يشين التقارير التي يكتبها العمال إلى الأمراء ومن فوقهم، وعكس ذلك يوصيهم أبو هلال أن تكون ألفاظهم سهلة، قريبة المأخذ، سريعة إلى الفهم، ويجعل التكلف والتعقيد من صفات السجع البغيضة إذا استعمله الكاتب أو الخطيب[٦].

والكلام عنده -إذا سلم من التكلف وبرىء من العيوب كان في غاية الحسن[٧] والتكلف عنده هو الاستكراه، والتعقيد وهو من صفات الكلام البغيضة وإذ يقول الكلام فإنه يقصد اللفظ والمعنى معا.

ورد مصطلح التكلف عند ابن سلام في معرض حديثه عن شعر النابغة إذ يقول: «واكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتا كأن شعره ليس فيه تكلف»[٨].

وقد ورد عند الجاحظ في مواضع عدة تدور كلها حول محور واحد هو التعقيد[٩].

أما ابن قتيبة فيرى ان المتكلف من الشعراء هو الذي قوّم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر»[١٠].

كما ورد هذا المصطلح عند ابن طباطبا في مواضع عدّة منها حديثه عن الأشعار المحكمة المتقنة إذ

---

(١) كتاب الصناعتين: ٤٢

(٢) ذاته ٤٣ وينظر أيضا ١٠٨.

(٣) ذاته ١١٨.

(٤) ذاته: ١٣٤، ١٣٥.

(٥) ذاته والصفحات ذاتها.

(٦) ذاته: ١٥٩ وينظر أيضا ٢٦٣.

(٧) ذاته: ٢٦٦.

(٨) طبقات فحول الشعراء: ١: ٥٦.

(٩) ينظر البيان والتبيين: ١، ١٠٦، ٢٥٤، ٤: ٢٨.

(١٠) الشعر والشعراء: ٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصفها بأنها «... لا استكراد في قوافيها ولا تكلف في معانيها»[١] والتكلف عنده بشع[٢]. ومن المواضع التي يذكر فيها هذا المصطلح أثناء حديثه عن شعر المولدين: «.. لا سيما وأشعارهم متكلفة غير صادرة عن طبع صحيح كأشعار العرب»[٣].

أما القاضي الجرجاني فكرد التكلف وهو عنده خلاف الطبع يقول: «ومع التكلف المعت، وللنفس عن التصنع نفرة، وفي مفارقة الطبع قلة الحلاوة، وذهاب الرونق واخلاق الديباجة»[٤].

وليس بعيدا عن ذلك رأي الآمدي الذي يرى أن التكلف مشقة ويقول: فإن مجاهدة الطبع ومغالبة القريحة مخرجة سهل التأليف الى سوء التكلف، وشدة التعمل» والملاحظ بعد ذلك ان أبا هلال إتفق مع النقاد[٥] في كراهية التكلف وعده بعداً عن الطبع. ويقابل التكلف عند أبي هلال الطبع الذي يجعل السهولة مقياسا له إذ يقول: «... قيل للسيد، ألا تستعمل الغريب في شعرك، فقال ذاك عيّ في زماني، وتكلف مني لو قلته، وقد رزقت طبعا واتساعا في الكلام فأنا أقول، ما يعرفه الصغير والكبير ولا يحتاج الى تفسير[٦].

الجزل (الجزالة)

يعرف أبو هلال الكلام الجزل ذلك الذي تستعمله العامة إذا سمعته، ولا تستعمله في محاوراتها[٧] ويقول في موضع آخر «وأجود الكلام ما يكون جزلا سهلا، لا ينغلق معناه، ولا يستبهم مغزاه، ولا يكون مكدودا مستكرهاً، ومتوعراً متقعراً ويكون بريئا من الغثاثة، عاريا من الرثاثة».

ويلوح لي هنا أن الجزالة هي سبيل يتخذه الكاتب أو الشاعر بين الوعر الذي يستغلق على الإفهام وبين الركيك المبتذل الذي يُستعمل في المحاورات.. يعزز هذا التفسير لدى تعليقه على قول النابغة:

ولستَ بمستبْقٍ أخاً لا تلمهَ على شَعَثٍ أيُّ الرجَالِ المهذّب

وقبل أبي هلال تطرق ابن سلام الجمحي إلى هذه اللفظة لدى وصفه لشعر النابغة الذبياني إذ يقول:

---

(١) عيار الشعراء. ٤٩.

(٢) ذاته: ٧٤

(٣) ذاته: ٩.

(٤) الوساطة ١٩.

(٥) الموازنة: ١: ٢٤٣.

(٦) ذاته: ٦١

(٧) ذاته: ٦٤، ٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأجزلهم بيتا»[١].

ولدى تعليقه على بيت للأخطل إذ يقول«وبيت الأخطل أجزل وأرزن»[٢] ويتضح هنا أن الجزالة جاءت عكس الرّمة.

وذكر هذا المصطلح ابن طباطبا العلوي لدى حديثه عن ثقافة الشاعر وأدواته ومنها: «الوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر، والتصرف في معانيه، في كل ما قالته العرب فيه وسلوك مناهجها في صفاتها ومخاطباتها وحكاياتها.. وإطالتها وإيجازها، ولطفها وخلابتها، وعذوبة ألفاظها وجزالة معانيها»[٣] فجعل ابن طباطبا الجزالة من صفات المعاني، في موضع آخر يجعلها من صفات الألفاظ إذ يقول: «فمن الأشعار أشعار محكمة متقنة رقيقة الألفاظ حكيمة المعاني، عجيبة التأليف، إذا نقصت وجعلت نثرا لم تبطل جودة معانيها، ولم تفقد جزالة ألفاظها»[٤].

وعودا إلى أبي هلال فان مصطلح الجزالة عنده لا يعني الجودة على إطلاقها يقول أبو هلال في وصف بعض الشعر: «فهذا من الجزل البغيض الجلف الذي ينبغي ان يتجنب مثله»[٥] ويتضح من قوله هذا وأقواله السابقة أن الجزل يأتي عنده على ضربين (١) الجزل السهل الذي لا ينغلق على الفهم. (٢) والجزل الوعر الذي يفسد النظم فالجزالة عنده شيء آخر غير الوعورة إذ هي الجمع بين القوة والسهولة.

يعلق أبو هلال على بعض الشعر قائلا. «ليس لهذا البيت نظير في كلام العرب»[٦] ويعلل ذلك لأنه «جمع وبه الجزالة والسهولة والرصانة مع السلاسة والنصاعة» ويتصل بالجزالة صفة أخرى يوردها أبو هلال ألا وهي «الجاسي» إذ يقول «...والنفس تقبل اللطيف، وتنبو عن الغليظ وتقلق من الجاسي البشع» والجاسي هو الخشن الغليظ، وهو يقترب من الوعر في هذه الصفة.

وينصح أبو هلال بتجنب السقيم من الألفاظ، وجميع ما يكسب الكلام تعمية، وأظنه يسير على خطى ثعلب في رؤيته للجزالة إذ يعرفها ثعلب بأنها ما لم يكن بالمغرب البدوي، ولا السفساف العامي، ولكن ما أشتد أسره وسهل لفظه، ونأى واستصعب على غير المطبوع مرامه، وتوّهم إمكانه».

والملاحظ أن أبا هلال يفضل من صفات اللفظ ما كان مواتيا للطبع، وكره كل ما كان سبيله الغموض

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ١: ٥٦.

(٢) ذاته: ١: ٤٩٤.

(٣) عيار الشعر: ٤

(٤) عيار الشعر: ٧

(٥) كتاب الصناعتين: ٦٨.

(٦) قواعد الشعر، أبو العباس، احمد بن يحيى (ثعلب). تحقيق رمضان عبدالتواب (القاهرة، ١٩٦٧): ٥٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتكلف، ولعلنا إذا تتبعنا كتاب «الصناعتين» نجد أن أبا هلال جاء بصفات جديدة للفظ إذ يقول: «إذا كان المعنى صوابا واللفظ باردا وفاترا، والفاتر شرٌّ من البارد. كان مستهجناً، ملفوظاً، مذموماً، مردوداً..»[١] ولعل «البارد» هنا يحمل إشارة صريحة لدور العاطفة في جودة الشعر، وذلك. في ظني. مما أضافه أبو هلال.

والملاحظ أن أبا هلال يجعل لكل حاسة ذائقة وفي ذلك تنبّه لدور اللفظ في سيرورة الشعر وقبوله من النفوس، مما يوافق الطبع السليم، والذوق الرفيع.

الجودة

يركز أبو هلال على جودة اللفظ بقوله: «ليس الشأن في إيراد المعاني.. وإنّما هو في جودة اللفظ وصفائه»[٢].

وتأتي (الجودة) مضافة إلى صفات تخصُّ حسن الكلام عند أبي هلال كقوله في الموازنة بين المنظوم والمنثور: إن المنظوم يجب أن يكون كالمنثور في «سهولة مطلعة، وجودة مقطعه»[٣] كما سيأتي في باب الذوق.

وتأتي (الجودة) صفة نائبة عن موصوف إذ يصف جملة الكلام أنه جيد وعكسه الرديء من ذلك ما يقوله عن الخطب والأشعار أنها ما عملت لإفهام المعاني فقط، ذلك أن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها، ويصف الكلام ذا اللفظ الحلو والمعنى الوسط بأنه يدخل في جملة الجيد[٤] يقصد الكلام.

وتأتي (الجودة) بصيغة التفضيل وذلك ما ينقله أبو هلال: «أجود الكلام السهل الممتنع»[٥].

وقد نأتي بصيغة المبني للمجهول كقوله: «.... ولا خير فيما أجيد لفظه إذا سخف معناه.. ولا في غرابة المعنى إلاّ إذا أشرف لفظه...» وتأتي الجودة هنا بمعنى الشرف كما يفهم من كلام أبي هلال نفسه»[٦].

أحيانا يقابل الجيد: الخبيث وذلك عندما يضرب أمثلة على ما يعد جيد الهجاء وخبيثه والمبالغ فيه[٧].

---

(١) كتاب الصناعتين: ٥٩.

(٢) ذاته: ٥٨

(٣) ذاته: ٥٥ كذلك يُنظر: ١٢٧ : ١٦٥

(٤) ذاته. ٥٨، ٥٩.

(٥) ذاته: ٦١ كذلك ينظر ٦٧، ١٢٨.

(٦) ذاته: ٦٠

(٧) ذاته ١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والجيد من كل فن - عند أبي هلال - هو الحسن المختار فهو يعد النسيب (جيدا) إذا ظهر فيه التفاني في الصبابة ويرى أنه (يُستجاد) إذا تضمن ذكر التشوق وهبوب الرياح[١] وقد ذكر مصطلح الجودة ابن سلام في معرض حديثه عن كثير عزة: «وكان فيه مع جودة شعره خطل وعجب»[٢].

وذكر مصطلح الجودة الجاحظ الذي يرى أن «أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج»[٣].

ويذكر ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) الجودة في عدة مواضع من كتابه منها قوله: «ليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ولكنه قد يُختار ويحفظ على أسباب منها: الإصابة في التشبيه»[٤].

ويذكر المبّرد (ت٢٨٥هـ) إذ يقول: ومما يستحسن ويستجاد كقول أعرابي...[٥] والمستجاد هنا هو المستحسن.

ويذكره ابن طباطبا في غير ما موضع منها قوله «فينبغي للشاعر في عصرنا ان لا يظهر شعره إلاّ بعد ثقته بجودته وحسنه وسلامته من العيوب»[٦] فالجودة هنا عكس الرداءة.

ويذكر قدامة بن جعفر الذي يبين أن «الغرض من كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل على غاية التجويد والكمال، إذ كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن، فله طرفان: أحدهما غاية الجودة والآخر: غاية الرداءة وحدود بينهما تسمى الوسائط»[٧] فالجودة عند قدامة - كما هي عند معظم النقاد القدماء عكس الرداءة.

ويعلق الآمدي على أبيات للبحتري: «فلو كان هذان البيتان خطأ كما زعمتم، وادعيتم، وأخذتم على هذا الشاعر المُجمع على إحسانه غلطاً في غيرهما من شعره لما كان بذلك داخلا في حملة المسيئين، ولا الخاطئين في الشعر لجودة نظمه، واستواء نسجه»[٨] فجودة النظم عند الآمدي حسنه.

مما سبق نستنتج أن الجودة عند القدماء تعني الحسن وعكسها الرداءة ولكن أبا هلال كعادته توسع في هذا المصطلح كثيرا إذ أورده بصيغ مختلفة جعلت الجودة ليست صفة من صفات اللفظ والمعنى فحسب بل جعلت منها لقطة اكتسبت سمة اصطلاحية توصف بها الأعمال الأدبية عنده وعند من جاء بعده كما سيأتي

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٢٩

(٢) طبقات فحول الشعراء: ٢: ٥٤١

(٣) البيان والتبيين: ١: ٦٧

(٤) الشعر والشعراء: ٢٩

(٥) الكامل، كتب هوامشه: نعيم زرزور وتغاريد بيضون (بيروت، ١٩٧٨) ٢: ٣٧

(٦) عيار الشعر: ٩

(٧) نقد الشعر: ١٨

(٨) الموازنة ١: ٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الفصل الاخير من هذا البحث

الحلاوة والعذوبة

يقرن أبو هلال بين الحلاوة والعذوبة في غير ما موضع من كتاب الصناعتين إذ يرى أنه من أراد أن يلتمس منازل البلاغة فعليه أن يكون في ثلاث منازل يجعل أولاها أن يكون اللفظ شريفا عذباً[١] والشرف أعلى مراتب اللفظ فكأنه يجعل العذوبة أهم الصفات التي ترتفع باللفظ إلى منزلة الشرف.

وعندما يعقد أبو هلال مقارنة بين الرسائل والخطب يذكر أنهما قد يتشابهان من جهة اللفظ والفواصل، فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السهولة والعذوبة[٢] فيجعل السهولة والعذوبة صفتين متلازمتين ويلوح لي ان أبا هلال عندما يتحدث عن الكلام الذي يخرج مخرجا يكون فيه طلاوة وماء، ورونق، ورواء، فإنه يقصد الكلام الحلوّ العذب[٣] ويفسّر أبو هلال كيف يكون للكلام رواء فيقول: «والكلام إذا خرج في غير تكلف وكدّ وشدة تفكر وتعمل كان سلسا سهلا وكان له ماء ورواء ورقراق وعليه مزند، لا يكون على غيره مما عسر بروزه واستكره خروجه»[٤].

ويقرن أبو هلال بين العذوبة والجزالة والسهولة والرصانة عندما يضع شروطا للكلام الحسن حتى يكون مقبولا للفهم والسمع، وسائر الجوارح فهي مسألة ذوقية صرفة، ويجعلها من سمات الكلام الجميل اللطيف، وعكسه الكلام المضطرب الذي لا يقبله إلا الفهم المضطرب والروّية الفاسدة[٥].

ومرة أخرى يعود ليقرن بين الحلاوة والعذوبة والسلاسة والسهولة في صفات الكلام حتى يكون جيدا يجري مع الرائع النادر[٦] وأبو هلال أكثر النقّاد وضوحا وصراحة إذ ينعت الذين يستحقرون الكلام إذا كان سلسا عذبا، وسهلا حلواً بالجهل يقول: «وقد غلب الجهل على قوم، فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلاّ بكد ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه كزّة غليظة، وجاسية غريبة، ويستحقرون الكلام إذا رأوه سلساً عذبا وسهلا حلواً، ولم يعلموا أن السهل امتنع جانبا، وأعزّ مطلبا، وهو أحسن موقعاً، وأعذب

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٣٤

(٢) ذاته ١٣٦

(٣) ذاته ١٧٠

(٤) ذاته والصفحة ذاتها.

(٥) ذاته: ٥٧

(٦) ذاته: ٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مستمعاً»[١].

ونرى أبا هلال هنا يجعل العذوبة صفة لها علاقة بحاسة السمع الآمر الذي يؤكد ذوق أبي هلال الرفيع الذي يجعل لكل حاسة ذائقة.

لقد ذكر ابن سلام مصطلح الحلاوة إذا يجعلها من أسباب شيوع الشعر[٢].

وقد قرن الجاحظ بين الحلاوة والعذوبة ـ كما أبي هلال بعده ـ في معرض حديثه عن بعض الخطباء: «فإنه كان قد ابتدأ بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة، فلم يزل يزداد فيها حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما لا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره»[٣].

ويجعل ابن قتيبة أحد أقسام الشعر قسم حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى[٤] فالحلاوة عند هؤلاء النقاد تعني أن يكون اللفظ سائغا مقبولاً.

أما ابن طباطبا فيجعل حلاوة اللفظ، ولطف المعنى، وقوة البيان، واعتدال الوزن، سمات للشعر المؤثر الذي يتقبله الفهم بل يجعله انفذ من نفث السحر[٥] استفزازا لمن يسمعها، الابتداء بذكر ما يعلم السامع له إلى أيّ معنى يساق القول فيه قبل استتمامه.. والتعريض الخفيّ الذي يكون بخفائه أبلغ في معناه من التصريح الظاهر الذي لا ستر دونه، فموقع هذين عند الفهم كموقع البشري عند صاحبها لثقته الفهم بحلاوة ما يرد عليه من معناهما»[٦].

ويقول في موضع آخر وذلك في معرض حديثه عن أدوات الشعر «وسلوك مناهجها ـ أي العرب ـ في صفاتها ومخاطباتها وحكاياتها وأمثالها.. ولطفها وخلابتها وعذوبة ألفاظها»[٧] فالعذوبة عند ابن طباطبا اقترنت بالألفاظ، ونعني عنده أن تكون رائقة مقبولة ويجعل عذوبة اللفظ مما يساعد على قبول الفهم للشعر بل ويقرنها مع صحة الوزن والمعنى[٨].

أما قدامة بن جعفر فيذكر مصطلح الحلاوة في معرض حديثه عن التخليع وهو أحد عيوب الوزن ويرى

---

(١) عيار الشعر: ١٦

(٢) طبقات فحول الشعراء: ١٣

(٣) البيان والتبيين: ١ ١١٣.

(٤) الشعر والشعراء ١٣

(٥) عيار الشعر: ١٦

(٦) ذاته: ١٧

(٧) ذاته: ٤

(٨) ذاته: ٥ ١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن ما جرى من الشعر هذا المجرى يكون ناقص الطلاوة، قليل الحلاوة»[١] وفي معرض حديثه عن الغزل يقول: «ولما كان المذهب في الغزل إنما هو الرقة واللطافة والشكل والدماثة كان ما يحتاج فيه أن تكون الألفاظ مستعذبة مقبولة غير مستكرهة»[٢].

أما الآمدي فيجعل الحلاوة من صفات اللفظ إذ يقول في معرض حديثه عن البحتري: «وانفرد بحسن العبارة، وحلاوة الألفاظ، وصحة المعاني»[٣].

لقد جاءت الحلاوة والعذوبة - عند النقاد القدامى - بمعنى السائغ المقبول من اللفظ، سائغا في النطق بعيدا عن التكلف والاستكراه، سائغاً على السمع لا يكون جاسيا ولا غريباً، والملاحظ أنّ أبا هلال وابن طباطبا من أوائل النقاد الذين تنبهوا الى أثر عذوبة اللفظ، وحلاوته، وربطوا بين ذلك ومدى تأثيره في النفس.

الخروج (التخلص)

ورد هذا المصطلح عند أبي هلال باسم الخروج ولعله قد أنفرد بهذه التسمية إذ نجد هذا المصطلح عند من قبله ومن بعده ويعني الخروج عند أبي هلال الانتقال من غرض إلى غرض في القصيدة الواحدة يقول: «كانت العرب في اكثر شعرها تبتدىء بذكر الديار والبكاء عليها، والوجد بفراق ساكنيها، ثم إذا أرادت الخروج إلى معنى آخر قالت. فدع ذا وسل. المهم عندك بكذا. فإذا أرادوا ذكر الممدوح قالوا: إلى فلان ثم أخذوا في مديحه.

أما الخروج المتصل لما قبله فهو كوصل وصف الفرس بما قبله من وصف الشيب وهو قليل عند القدماء كثير عند المحدثين فيما يرى أبو هلال[٤].

ورد هذا المصطلح عند الجاحظ الذي عدّه من الأمور المحببة عند العرب[٥] كمما ورد عند ابن طباطبا في عدة مواضع من كتابه منها ورود عند حديثه عن صنعة الشعر وسرة أخرى يذكر ابن طباطبا أن للشعر فصولا كفصول الرّسائل فيحتاج الشاعر أن يكون بين فنونه صلة لطيفة فيتخلص من الغزل إلى المديح ألى

---

(١) نقد الشعر: ١٨١

(٢) ذاته: ١٩٨

(٣) الموازنة: ١: ٨١، ١٩

(٤) كتاب الصناعتين. ٣ = ٤

(٥) البيان والتبيين ١: ١٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوصف بلا انفصال للمعنى الثاني عمّا قبله...[١] فالتخلص إذن لانتقال من غرض لآخر بشكل متناسق مع المحافظة على الامتزاج والانسجام والترابط بين أبيات القصيدة وذلك كي تكون ككلمة واحدة[٢].

أما القاضي الجرجاني (ت٣٦٦هـ) فيعدُّ حسن التخلص أحد صفات الشاعر الحاذق إذ يقول: «والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم إلى الاصغاء ولم تكن الأوائل تخصّها بفضل مراعاة»[٣].

ويجعل الآمدي التخلص نوعين متصلا ومنقطعا. كما هو الحال عند أبي هلال بعده يقول: «.. وكانوا كثيرا ما يقولون إذا فرغوا من النسيب وأرادوا المدح أو غيره من الأغراض: «فدع ذا» فتجنبها المتأخرون واستقبحوها وكذلك قولهم: «فعد عن ذا» وهي عندهم أحسن»[٤].

يتضح مما سبق أن الخروج عند العسكري والتخلص عن النقاد القدامى جاء بمعنى واحد أكده أبو هلال بأن أفرد له فصلا خاصا في نهاية كتابه «الصناعتين» ودلّ عليه بكثير من الشواهد والأمثلة[٥].

الرّصف (التأليف)

يكاد ينفرد أبو هلال بهذه التسمية: إذ نجد أن مصطلح التأليف عند من قبله ومن بعده وبإمكاننا أن نستشف معنى هذا المصطلح من خلال عنوان الباب الرابع من الصناعتين الذي يسميه أبو هلال «حسن النظم، وجودة الرصف والسّبك»[٦] فالرّصف عند أبي هلال مسألة تخص اللفظ والمعنى معا بل هي تخصّ الأسلوب برمته كما يفهم من خلال سياقات أخرى ورد فيها هذا المصطلح.

يذكر أبو هلال ان أجناس الكلام ثلاثة: الرسائل والخطب والشعر ويذكر أنها جميعا تحتاج إلى حسن التأليف وجودة التركيب[٧] ويشبّه الرصف بالعقد الذي تجعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها حتى يكون رائعا في المرأى فإن اختلّ نظمه «اقتحمته العين وإن كان فائقاً ثميناً»[٨].

---

(١) عيار الشعر: ٦-٧

(٢) ذاته ١٢٦-١٢٧

(٣) الوساطة: ٤٨

(٤) الموازنة: ٢: ٢٩١

(٥) ينظر كتاب الصناعتين: ٤٥٢-٤٦٢

(٦) الصناعتين: ١٦١

(٧) ذاته والصفحة ذاتها

(٨) ذاته والصفحة ذاتها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعرّف أبو هلال حسن الرّصف بأن توضع الألفاظ مواضعها وتمكن في أماكنها ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير، والحذف والزيادة إلاّ حذفا لا يُفسد الكلام، ولا يعمّى المعنى... الخ وعكس ذلك. عنده. سوء الرصف ويكون بتقديم ماينبغي تأخيره منها وصرفها عن وجوهها، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها[١].

فيتضح من أقواله تلك أن الرّصف هو التأليف ومثله السّبك والنظم في هذا المعرض كذلك يشمل التأليف في مجاليّ الشعر والنثر ونراه يجعل المعاظلة من سوء النظم ويوصف بها الكلام «إذا لم ينضد نضدا مستوياً، وأركب بعض ألفاظه رقاب بعض، وتداخلت أجزاؤه، تشبيها بتعاظل الكلاب والجرار»[٢] وليست المعاظلة بعدا في الاستعارة كما يرى قدامة[٣] فتعريف أبي هلال للمعاظلة هنا جاء رداً على قدامة.

أما ما يؤكد أن الرصف هو الأسلوب - عند أبي هلال - أنه عندما يعلق على أبيات للنمر بن تولب[٤] يصفها بأنها جيدة السبك، حسنة الرّصف، ويصفه «بالحسن» وذلك عندما ينقد قصيدة لعبيدة بن الأبرص[٥] كما سيأتي في الفصل القادم

كما يصف الرّصف بالسماجة[٦] وأظنها صفة لها علاقة بالعاطفة كما الفتور في الألفاظ. ويذكر أبو هلال أن من تمام حسن الرصف أن يخرج الكلام مخرجا يكون له فيه طلاوة وماء[٧] وهي مسألة تمس العاطفة كذلك يؤكد هذا قوله أن الكلام «ربما كان.. مستقيم الألفاظ. صحيح المعاني، ولا يكون له رونق ولا ماء...[٨]

ورد مصطلح التأليف عند الجاحظ بصورة غير مباشرة إذ يعلق على بعض الشعر: «وأما قوله - كبعر كبش - فإنّما ذهب إلى أن بعر الكبش يقع متفرقا غير مؤتلف، ولا متجاور، وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملساً. ولينة المعاطف، سهلة لينة، ورطبة، مواتية، سلسة النظام، خفيفة على

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٦١.

(٢) السابق: ١٦٣

(٣) ذاته والصفحة ذاتها ثم ينظر نقد الشعر ٦٢

(٤) هو شاعر جاهلي أدرك الاسلام، فأسلم، كان شاعرا جوادا ويسمّى الكيس ينظر ترجمته في الشعر والشعراء: ٢٢٧، الأغاني ١٩: ١٥٧، طبقات فحول الشعراء ١٣٣، خزانة الأدب: ١: ١٥٢

(٥) كتاب الصناعتين: ١٦٦

(٦) ذاته: ١٧٠.

(٧) ذاته: والصفحة ذاتها.

(٨) ذاته والصفحة ذاتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللسان حتى كأن البيت بإسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد»[١] فالتأليف عند الجاحظ هو اختيار الكلمات وحسن تلاؤمها.

ويذكر ابن طباطبا هذا المصطلح في غير ما موضع منها ما يذكره في معرض حديثه عن أحسن الشعر الذي يرى انه ينبغي أن يكون كالكلمة الواحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجا، وحسنا، وفصاحة وجزالة ألفاظ، ودقة معان وصواب تأليف»[٢].

ويذكر الآمدي مصطلح التأليف إذ يقول: «ان سوء التأليف ورداءة اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق، ويفسده ويعميه حتى يحوج مستمعه الى طول تأمل.. وحسن التأليف، وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاءً، وحسنا ورونقاً، حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن، وزيادة لم تعهد»[٣].

من ذلك نخلص الى أن الرّصف - عند أبي هلال - والتأليف عند النقاد الآخرين قد جاءا بمعنى واحد ولأبي هلال فضل الزيادة في أوصافه والأمثلة التي تدل عليه.

السهل (السهولة)

يرد مصطلح السهولة في غير ما موضع في الصناعتين إذ يجعله أبو هلال أولا مقياساً للمفاضلة بين شاعر وآخر وذلك إذا كان لديه القدرة على التصرف في المعاني. وإذا كان في مقدوره أن يأتي بالجزل مرة، وبالسهل أخرى[٤] فالسهولة وجه آخر للكلام الجزل ولا أقول نقيضه، ذلك أن السهولة والجزالة مقياسان يعرف بهما الكلام الجيد. يؤكد هذا المعنى أن أبا هلال لا يعدُّ الكلام بليغا حتى يعرى من العيب أو يتضمن الجزالة والسهولة وجودة الصنعة[٥].

يؤكد أبو هلال أن الكلام السهل: «أمنع جانباً، وأعزُّ مطلبا، وأحسن موقعاً، وأعذب مستمعا»[٦] ثم يورد القول المأثور: «أجود الكلام السهل الممتنع» لذلك فهو ينعى على أولئك الذين يستملحون الكلام إذا صعب لفظه، ويستحقرونه إذا سلس، ويعدُّ ذلك من رداءة الذوق وللسبب نفسه يرفض استخدام الغريب في

---

(١) البيان والتبيين: ١: ٦٧

(٢) عيار الشعر: ١٢٦

(٣) الموازنة ١: ٤٠٢

(٤) كتاب الصناعتين: ٢٤

(٥) ذاته: ٤٢

(٦) ذاته: ٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر، ويؤيد السهل الذي يعرفه الصغير والكبير[١].

وإذا كان أبو هلال يؤيد السّهل من اللفظ، ويرفض الغريب فإنه يعدّ ما كان لفظه سهلا ومعناه مكشوفا من جملة الرديء المردود[٢]. وفي موضع آخر يقول: «والمختار من الكلام ما كان سهلا جزلاً لا يشوبه شيء من كلام العامة وألفاظ الحشوية، معا لم يُخالف فيه وجه الاستعمال»[٣].

وقبل أبي هلال ورد هذا المصطلح عند ابن سلام في غير ما موضع من كتابه منها قوله: «فأما الشماخ فكان شديد فنون الشعر أشد أسر كلام من لبيد، وفيه كزازة، ولبيد أسهل منه منطقاً»[٤].

أما الجاحظ فيقرن السهولة، والحلاوة والرشاقة والعذوبة إذ يعلق على الخطيب شبيب بن شبة: «فإنه كان قد ابتدأ بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة»[٥].

أما ابن قتيبة فيقول في معرض حديثه عن أبي العتاهية. «وكان لسرعته، وسهولة الشعر عليه ربما قال شعراً موزونا يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب»[٦] ويقول في موضع آخر: «وشعره في الزهد كثير حسن، رقيق، سهل»[٧].

ويرى ثعلب أن سهولة اللفظ من سمات الجزالة إذ يقول: «فأما جزالة اللفظ فما لم يكن بالمغرب المستغلق البدوي ولا السفساف العامي، ولكن ما اشتد أسره، وسهل لفظه، ونأى واستصعب على غير المطبوعين مرامه وتوهم مكانه»[٨].

وقد ورد مصطلح «السهولة» عند ابن المعتز الذي يذكر أن سهولة شعر أبي نواس كانت سبباً لشيوعه بين الناس يقول: إنما نفق شعر أبي نواس على الناس لسهولته، وحسن ألفاظه وهو مع ذلك كثير البدائع[٩].

اما ابن طباطبا فقد ورد عنده هذا المصطلح في مواضع كثيرة، منها: «وتكون الألفاظ منقادة لما تُراد له

---

(١) كتاب الصناعتين: ٦٣

(٢) ذاته: ٦٤

(٣) ذاته: ١٤٩.

(٤) طبقات فحول الشعراء ١ ١٣٢

(٥) البيان والتبيين: ١: ١١٣

(٦) الشعر والشعراء: ٣٤:

(٧) ذاته: ٥٣٧

(٨) قواعد الشعر: ٦٧

(٩) طبقات فحول الشعراء ٢٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير مستكرهة، ولا متعبة، لطيفة الموالج، سهلة المخارج[١] ويقرن السهولة بالسلاسة كما فعل أبو هلال إذ يقول: «ومن التشبيهات البعيدة التي لم يلطف اصحابها فيها ولم يخرج كلامهم في العبارة عنها.

أمّا القاضي الجرجاني فيوضح المقصود إذ يقول: «فلا يظنن أني أريد بالسمح السّهل الضعيف الركيك، ولا باللطيف الرّشيق الخنث المؤنث، بل أريد النمط الأوسط ما ارتفع عن السّوقي، وانحطّ عن البدوي الوحشي»[٢].

وتأتي السهولة عند الآمدي نقيض التكلف وذلك في معرض تعليقه على بعض شعر أبي تمام: «وهذا من أسهل كلامه وأسلس نظمه، ومن أبعد قول من التكلف، والتعسّف، وأشبهه بكلام المطبوعين وأهل البلاغة»[٣].

وعوداً الى أبي هلال فإن السهولة عنده شيء آخر غير الليونة. فالكلام الذي يسهل حتى يصل الى الرخاوة والانحلال رديء مردود كما أسلفت، والكلام الجزل يجيء عنده بعد السهل في الرتبة والفرق بين السهل والجزل كما يستنتج باحث محدث هو «أن السهل تفهمه العامة وتطمع فيه مع عجزها عنه، أما الجزل فهو ما تفهمه العامة وتشعر مع فهمها له أنها لا تقدر عليه»[٤].

الشعر (النظم، المنظوم)

ورد هذا المصطلح عند أبي هلال لدى تعريفه للشعر إذ يقول: «والشعر كلام منسوج، ولفظ منظوم، وأحسنه ما تلاءم نسجه ولم يسخف»[٥] وعند تعداده لصفات الكلام من تخيّر للفظ، وإصابة للمعنى، وجودة المطلع...[٦] الخ.

وقد ورد بصيغته الجمع إذ يقول: إن الخطب الرائعة والأشعار الرائعة ما عملت لإفهام المعاني فقط، لأن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام، وإنما يدلّ حسن الكلام واحكام صنعته ورونق ألفاظه، على فضل قائله، وفهم منشئه[٧].

---

(١) عيار الشعر ٥

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه. ٢٤

(٣) الموازنة بين الطائيين: ١ ٤٥١

(٤) زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري: ٢:١٣٢.

(٥) كتاب الصناعتين: ٦٠

(٦) ذاته: ٥٥

(٧) ذاته: ٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحيانا تأتي كلمة النظم بمعنى التأليف كقول أبي هلال معلقا على رأي العتابي: «وقد أحسن في هذا التمثيل وأعلم به على أنّ الذي ينبغي في صنعة الكلام وضع كل شيء منه في موضعه ليخرج بذلك من سوء النظم»[١]. كذلك في قوله: إن المعاني مشتركة بين العقلاء، فربما وقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي، وإنّما تتفاضل الناس في الألفاظ، وتأليفها ونظمها»[٢] ومرة أخرى يتحدث عن النظم عند حديثه عن السّرقات إذ يرى أن المعنى قد يؤخذ من نظم فيورد في نثر أو من نثر فيورد في نظم، ويتضح من قوله هذا ان النظم هو الشعر، كذلك عند حديثه عن حل المنظوم، ونظم المحلول، فالمنظوم هنا هو الشعر أيضا.

وقبل أبي هلال تناول الجاحظ هذا المصطلح في غير ما موضع منها: «والشعر لا يستطاع ان يترجم ولا يجوز عليه النقل، ومتى حول تقطع نظمه، وبطل وزنه، وذهب حسنه، وسقط موضع التعجب لا كالكلام المنثور»[٣] ويذكر أن «ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عُشره، ولا ضاع من الموزون عُشره»[٤]. فالموزون أو المنظوم عند الجاحظ هنا هو الشعر.

وقد ورد هذا المصطلح عند ابن طباطبا في مواضع عدة منها: «الشعر اسعدك الله- كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خص به من النظم الذي ان عدل عن جهته مّجته الاسماع، وفسد على الذوق، ونظمه معلوم محدود»[٥] ومعنى ذلك ان الحد الفاصل بين الشعر والكلام المستعمل بين الناس هو النظم الذي يميز الشعر عن غيره.

أما الآمدي فيرى «ان شعر أبي تمام بالخطب، وبالكلام المنثور أشبه منه بالكلام المنظوم»[٦] فالكلام المنظوم عند الآمدي هو خلاف الكلام المنثور.

لقد حمل المنظوم معنى الشعر عند أبي هلال والنظم جاء عكس النثر وأحيانا جاء بمعنى التأليف كما مر.

وسأترك الحديث عن الشعر، ورأي أبي هلال فيه وذلك لأنني سأفرد الفصل القادم للحديث عن ذوق أبي هلال من خلال مختاراته الشعرية والنثرية.

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٤١

(٢) ذاته: ١٩٦.

(٣) الحيوان: ١: ٧٥.

(٤) البيان والتبيين. ١: ٢٨٧

(٥) عيار الشعر: ٣

(٦) الموازنة بين الطائيين: ١. ٢٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصنعة

يذكر أبو هلال أن من سمات الكلام البليغ أن يكون بعيداً عن سوء الصنعة ومعنى ذلك ـ كما يرى أبو هلال ـ أنّ الكلام لا يكون بليغاً حتى يعرى من العيب، ويتضمن الجزالة والسهولة وجودة الصنعة ولا يكون الكلام بريًا من سوء الصنعة إلا إذا لم يكن وحشيّ الألفاظ أو معقدها[١] . ويرى أبو هلال ان الخطب الرائعة والأشعار الرائعة ما عملت لإفهام المعاني فقط.. وإنّما يدلُّ حسن الكلام وإحكام صنعته..»[٢] ويتناول أبو هلال الحديث عن صنعة الكلام لدى حديثه عن الترجمة من لغة الى أخرى، فيرى أن العارف إذا انتقل بمعنى من المعاني من لغة الى أخرى فإنه يتهيأ له فيها من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى . وقد ضرب مثالا على ذلك عبدالحميد الكاتب الذي استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي، فحولها الى اللسان العربي.. ثم يقرن أنه لا يكمل لصناعة الكلام إلاّ من يكمل لإصابة المعنى وتصحيح اللفظ....[٣]

هذه المواضع التي ورد فيها ذكر الصنعة عند أبي هلال ، ويلوح لي من خلال هذه الأمثلة ان الصنعة عنده جاءت بمعنى عملية الكتابة برمتها يعزز هذا الرأي أن أبا هلال سمّى كتابة الصناعتين يعني بذلك كتابة الشعر والنثر، وإذا تتبعنا مضمون الكتاب نجد أن أبا هلال يعنى بعملية الكتابة منذ أن تكون فكره في الذهن إلى أن تصبح عملاً أدبيّاً مكملاً بل ونجد أن أبا هلال قد نسب الصنعة للمنطق أيضا أذ يقول: «ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما.. وفيلسوفا عظيما.. ومن تعود حذف فصول الكلام وإسقاط مشتركات الألفاظ ونظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة فيها لا علي جهة الاستطراف لها»[٤] .

وإذا تتبعنا هذا المصطلح ـ قبل أبي هلال ـ نجده عند ابن سلام الذي يرى أن النقد صناعة تحتاج الى مهارة وحذق يعرفها أهل العلم[٥] .

وتأتي الصنعة عند الجاحظ على عكس الطبع والسجية إذ يقول: «وترك اللفظ يجري على سجيته، وعلى سلامته حتى يخرج على غير صنعة، ولا احتلاب تأليف ولا إلتماس قافية ولا تكلف لوزن»[٦] ويقول: «وكان الذي كره الإسجاع بعينها وإنْ كانت دون الشعر في التكلف والصنعة كهّان العرب الذين

---

(١) كتاب الصناعتين: ١: ٢٨٧

(٢) ذاته: ٥٨

(٣) ذاته: ٦٩

(٤) ذاته : ٣١

(٥) طبقات الشعراء: ١: ٥١

(٦) البيان والتبيين: ١: ٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم.. كان يتكهنون ويحكمون بالأسجاع»[١].

ويأتي معنى الصنعة عند ابن قتيبة بمعنى التأليف. كما هو الشأن عند أبي هلال. إذ يقول معلقاً على أبيات للخليل بن أحمد الفراهيدي: «وهذا الشعر بيّن التكلف، رديء الصنعة، وكذلك أشعار العلماء، وليس منها شيء جاء عن اسماح وسهولة كشعر الأصمعي، وشعر أبن المقفع، وشعر الخليل خلا حلف الأحمر[٨] ورداءة الصنعة هنا تعني الخلو من الحذق والمهارة.

أما ابن طباطبا فيقول: «فواجب على صانع الشعر أن يصنعه صنعة متقنة، لطيفة، مقبولة، حسنة، مجتلبة المحبة السامع له والناظر بعقله إليه، مستدعية لعشق المتأمل في محاسنه والمتفرّس بدائعه فيحسه حسا ويحققه روحا أي يتقنه لفظا ويبدعه»[١]، ومعنى الصنعة ها هنا ليس بعيداً عمّا أراد أبو هلال والجمحي وابن قتيبة قبله.

وقد ورد هذا المصطلح عند قدامة بن جعفر غير مرة في كتابه نقد الشعر منها قوله «ولماكانت للشعر صناعة وكان الغرض في كل صناعة اجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال إذ كان جميع ما يؤلف، ويصنع على سبيل الصناعات والمهن فله طرفان: أحدهما غاية الجودة، والآخر غاية الرداءة، وحدود بينهما تسمى وسائط[٢]. فالشعر عند قدامة أكثر من عملية ابداع.. هو صناعة كغيره مثل الحياكة، والحدادة... الخ. هذه الصناعة بحاجة الى الحذق والمهارة والإتقان يقول:«إذا كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة كما يوجد في كل صناعة من أنه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها مثل الخشب للنجارة، والفضة للصياغة»[٣].

أما عند القاضي الجرجاني فجاءت لتشمل المعنيين معا: عملية التأليف وما تحتاجه من حذق ومهارة، وعكس الطبع كما هو الحال عند الجاحظ، يقول: معلقا على أبيات لأبي تمام: «فلم يخلُ بيت منها من معنى بديع، وصنعة لطيفة، طابق وجانس واستعار»[٤] وأمّا المعنى الثاني. عكس الطبع. فيأتي في معرض حديثه عن أبي الطيب: « أما أن تدعي له الصنعة المحضة فتلحقه بأبي تمام وتجعله من حزب أو تدّعي له فيه شركا وفي الطبع حظاً، فإن مِلت به نحو الصنعة فضل ميل صيرته في جنب مسلم، وإن وفرت قسطه

---

(١) كتاب الصناعتين: ١ ٢٨٩، ٢٩٠

(٨) الشعر والشعراء: ٢٤.

(١) عيار الشعراء: ١٢١

(٢) ذاته: ١٩

(٣) ذاته: ١٩

(٤) الوساطة: ٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن الطبع عدلت به قليلا نحو البحتري»[١] .

ونخلص من ذلك إلى أن الصنعة عند أبي هلال قد جاءت بأشمل معانيها، إذ تعني عملية الكتابة بشقيها: الشعر والنثر وما يلزم لذلك من إعداد وأدوات.

الفصاحة

يعرّف أبو هلال الفصاحة إذ يقول: «فأما الفصاحة فقد قال قومٌ أنها من قولهم: «أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره» ويقول أفصح الأعجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يُفصح ويبين»[٢] ويستنتج أبو هلال من ذلك أن البلاغة والفصاحة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما وذلك لأن كلتيهما تعني الإبانة عن المعنى والإظهار له[٣] .

ويورد أبو هلال رأيا آخر في تعريف الفصاحة وهو قول بعض العلماء أن الفصاحة تمام آلة البيان ويقدم دليلاً على ذلك أنّ الألثغ والتمتام لا يسميّان فصيحين لنقصان آلتهما عن إقامة الحروف، ويستنتج أبو هلال من ذلك أن البلاغة والفصاحة مختلفان، فالفصاحة مقصورة على اللفظ، لأن الالة تتعلق باللفظ دون المعنى، والبلاغة لأنها انهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى دون اللفظ»[٤] .

والفصاحة والبلاغة يلتقيان عند الجاحظ إذ يقول:«لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك»[٥] .

أطنب النقاد بعد الجاحظ في وصف الألفاظ ـ وهي محور الفصاحة ـ عند حديثهم عن الشعر كابن قتيبة[٦] وقدامة بن جعفر الذي اشترط لحسن اللفظ أن يكون عليه رونق الفصاحة وذلك بأن يكون سمحاً، سهل المخارج[٧] .

لقد فصل أبو هلال في الفصاحة وفرّق بينها وبين البلاغة وبيّن أوجه الالتقاء بينهما مما يدلُّ على أن الفصاحة والبلاغة أيضا ـ لم يكونا مصطلحين يعنيان باللفظ فقط أو المعنى وحسب وإنما يعنيان بكليهما

---

(١) كتاب الصناعتين: ٥٠

(٢) ذاته: ٧

(٣) ذاته والصفحة ذاتها.

(٤) ذاته: ٨

(٥) البيان والتبيين: ١: ١١٥

(٦) ينظر الشعر والشعراء: ١: ٦٦ وما بعدها.

(٧) نقد الشعر: ٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في آن مما يؤكد دورهما في خدمة الأسلوب الذي يكثر الحديث عنه في النقد.

القافية والسجع

يذكر أبو هلال القافية والقوافي في مواضع متفرقة من كتابه فلدى حديثه عن تجنب ارتكاب الضرورات يذكر منها ما كان متعلقاً بالقوافي منها إظهار التضعيف كقول الشاعر:

مهلا أعاذِلَ قد جرّبتِ من خُلقي إني أجودُ لأقوام وان ضننوا

والأصل (إن ضنوا)[١] ويدعو أبو هلال الى تجنّب عيوب القوافي كالإقواء[٢] والسّناد[٣] والإيطاء[٤].

ويذكر أبو هلال القافية عند حديثه عن جودة الفاصلة وحسن موقعها[٥] وعند حديثه عن عيوب القوافي كأن تكون مستدعاة لا تفيد معنى وإنما أوردت ليستوي الرويّ[٦] على ما سيأتي تفصيله في باب الذوق.

وقد ذكر ابن سلام «القوافي» لدى حديثه عن نحل الشعر: إذ يقول عن ابن اسحق: ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود فكتب لهم أشعاراً كثيرة، وليس بشعر، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف»[٧] ويعرّف الجاحظ القوافي في قوله: «إن القوافي خواتم أبيات الشعر»[٨].

أما أبن طباطبا فيتحدث بشيء من التفصيل عن حدود القوافي وأنواعها يقول:«وسألت ـ أسعدك الله ـ عن حدود القوافي؟ وعلى كم وجه تتصرف؟ قوافي الشعر كلها تنقسم على سبعة أقسام: أما أن تكون على فاعل مثل كاتب وحاسب...»[٩].

ويبين قدامة بن جعفر صلة القافية بالبيت الشعري إذ يقول :«ألا أني نظرتُ فيها ـ ويقصد القافية ـ فوجدتها من جهة ما أنها تدل على معنى لذلك المعنى الذي تدل عليه ائتلاف مع معنى سائر البيت، فأمّا مع غيره فلا، لأن القافية إنما هي لفظة مثل لفظ سائر البيت من الشعر، ولها دلالة على معنى كما لذلك اللفظ

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٥٠

(٢) الإقواء: هو اختلاف الإعراب في القوافي وذلك أن تكون قافية مرفوعة واخرى مخفوضة.

(٣) السناد هو: أن يختلف إردان القوافي كقولك «علينا» في قافية وغينا.

(٤) الإيطاء هو: هو إعادة القافية مرتين ، وليس بعيب عندهم لغيره ينظر الشعر والشعراء ٣٩ ـ ٤١.

(٥) كتاب الصناعتين: ٤٤٥.

(٦) ذاته. ٤٥٠

(٧) طبقات فحول الشعراء: ١: ٨

(٨) البيان والتبيين: ١: ١٧٩

(٩) عيار الشعر: ١٢٨ وينظر ايضا ١٠٣ ـ ١٠٦ ـ ٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيضا»[١].

لقد تنبه النقاد العرب الى دور القافية وأهميتها ولأبي هلال فضل التفصيل في ذكر عيوب القوافي ومواضعها كما أن لابن طباطبا ـ قبله ـ فضل تبيان الحدود والأنواع لهذه القوافي مما يجعل لصنيعهما هذا الدور الكبير في تأصيل علم القافية.

يتصل السجع بالحديث عن القافية إذ قد يكون في حشو البيت وبالتالي فهو قواف داخلية بل أن أبا هلال يذكر أن العرب أعجبوا بالسجع حتى استعملوه في منظوم كلامهم[٢] والسجع صنو الشعر إذ يذكر أبو هلال أن البلاغة منها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً.

والسجع عند أبي هلال لا يكون دائما مؤشراً على الجودة إذ يرى أن الكاتب يمكن أن يجعل رسالة مزدوجة فقط ولا يلزمه فيها السجع وإذا جعلها مسجوعة كان خيراً إلا إذا كان السجع متكلفا متنافرا معقدا[٣].

ومسألة السجع مرتبطة بمسألة إعجاز إعجاز القرآن، ذلك أن المعارضين للرسالة قالوا: إن القرآن سجع كسجع الكهان، ونفى القرآن ذلك قال تعالى ﴿ما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون﴾[٤] لقد قال بعض المسلمين بوجود السجع ولكن على احتراز.

وعوداً إلى أبي هلال فإن السجع عنده من فنون الصناعة التي تزيدها رونقا ويرى أنه سر من أسرار القرآن وينفي أبو هلال ان يكون سجع القرآن شبيها بسجع الكهان إذ يقول: «وكذلك جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعني، وصفاء اللفظ، وتضمن الطلاوة والماء مما يجري مجراه من كلام الخلق»[٥].

ومن شروط السجع عنده:

عدم الخروج الى التكلف والتعقيد، لذلك كان سجع القرآن بالغ الروعة لأنه لا كلفة فيه، ولا تعقيد فهو مقياس لأعلى مراتب السجع»[٦].

والملاحظ ان أبا هلال لم يتعرّض الى الفاصلة القرآنية كما تعرّض الرمانيّ مثلاً وهذا يعكس تميزاً في

---

(١) نقد الشعر: ٢٣

(٢) كتاب الصناعتين: ٢٦٤

(٣) ذاته: ١٥٩

(٤) الحاقة ٤٢

(٥) كتاب الصناعتين: ٢٠٠

(٦) ذاته: ٢٠٠ ثم يقارن بما ورد في أثر القرآن في تطور النقد العربي، محمد زغلول سلام، مصر ١٩٦١: ٢٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شخصيته وبالتالي فإن القرآن بما فيه من السجع كان دافعاً قويا لدارسة.

اللطف(اللطافة)

يذكر أبو هلال هذا المصطلح أول ما يذكره ـ لدى إيراده لقول علي رضي الله عنهما: البلاغة قولٌ وفقه في لطف، ويرى أبو هلال ان المفقه هو المفهم، وان اللطيف من الكلام: ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب الموحشة، وتلين به العريكة المستصعبة، ويُبلغ به الحاجة، وتُقام به الحجة، فتخلص نفسك من العيب، ويلزم صاحبك الذنب، من غير أن تهيجه، وتقلقه وتستدعي غضبه، وتستثير حفيظته[١] ولذلك يرى أبو هلال أن الكلام إذا جمع العذوبة والجزالة والسهولة.. إلى غيرها من شروط الكلام الحسن فإنه يكون مقبولا للفهم والسمع، وسائر الجوارح، لأن الجوارح لا تقبل إلا ما هو جميل ولطيف.[٢]

وفي معرض حديثه عن الشعر وميزاته يرى أبو هلال أن الألحان إذا سمعها ذوو القرائح الصافية، والأنفس اللطيفة لا تتهيأ صنعتها إلاّ على كل منظوم من الشعر. ويلوح لي أن الأنفس اللطيفة هنا تعني الأنفس الرقيقة المتذوقة لمعاني الجمال.

ويرد عند أبي هلال مصطلح (اللطافة) إذ يورد النوع الخامس من أوجه التشبيه ـ وهو ما يرى العيان بما يُنال بالفكر ـ فيذكر أن هذا النوع رديء وان كان يشتمل على اللطافة والدقة[٣]، وأرى أن اللطافة في هذا السياق تعني المعنى الخفيّ الذي يحتاج الى إعمال الفكر، وكدّ الذهن للتوصل إليه.

ويرد عند أبي هلال مصطلح (التلطف) في سياق آخر. إذ يجعله الفصل الخامس والثلاثين من الباب التاسع الذي خصصه للبديع ويورد له تعريفاً ذلك أنه: «أن تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجنه. والمعنى الهجين حتى تحسنه.

وقد أشار أبو هلال أنه ذكر هذا المصطلح في موضع آخر من كتابه ـ يريد بذلك اللطافة، اللطيف.. الخ، يقول «إلا أني لم أسمّه هناك بهذا الاسم (التلطف) فيشتهر به ويكون باباً برأسه، كإخوانه من أبواب الصنعة[٤] وبعد ذلك يفيض في ضرب أمثلة من الشعر والنثر[٥].

ورد مصطلح اللطف عند الجاحظ إذ يقول: «قال معمر أبو الأشعث قلت لبهلة الهندي ـ ما البلاغة عند

---

(١) كتاب الصناعتين: ٥١

(٢) ذاته: ٥٧

(٣) ذاته: ٢٤٢

(٤) ذاته: ٤٢٧

(٥) ذاته ٤٢٧ ـ ٤٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهند؟ قال بهلة: عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ولكن لا أحسن ترجمتها لك ولم أعالج هذه الصناعة فأثق من نفسي بالقيام بخصائصها وتلخيص لطائف معانيها[١].

أما ابن قتيبة فقد ذكر هذا المصطلح مقترنا بالعذوبة لدى خبر عن قصيدة في المديح يقول: «والله ما بقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيف إلا وقد شغلته عن مديحي بتشبيبك»[٢].

ويعرف ثعلب اللطافة بأنها «الدلالة بالتعريض على التصريح»[٣]

وقد ورد هذا المصطلح عند ابن طباطبا في مواضع كثيرة وفي سياقات متعددة تجعل منه صلة أسلوبية تمكن الشاعر والكاتب من تناول المعنى وصياغته بطريقة مؤثرة وأذكر من هذه المواضع: «والشعراء في عصرنا إنما يحابون على ما يستحسن ولطيف ما يوردونه من أشعارهم، وبديع ما يغربونه من معانيهم»[٤].

ويقرن القاضي الجرجاني اللطافة بالرشاقة إذ يذكر أن الشيء قد يكون متقنا محكما ولا يكون حلوا مقبولا، ويكون جيدا أنيقا وإن لم يكن لطيفا رشيقاً»[٥].

أما الآمدي فيجعل من المعاني اللطيفة مقياسا لتفضيل الشعراء إذ يقول: «ولولا لطيف المعاني، واجتهاد امرىء القيس وإقباله عليها لما تقدم على غيره ولكان كسائر الشعراء من أهل زمانه»[٦] فالمعاني اللطيفة هي المعاني الحديثة المبتكرة وربما الغريبة كما في قوله: «ومن يقدم مطبوع الشعر دون متكلفة لا يعفون أبا تمام من لطيف المعاني ودقيقها، والإبداع والاغراب فيها والاستنباط لها[٧].

والملاحظ أن أبا هلال يلتقي مع ابن طباطبا في رؤيته للطيف من المعني وإن كان أبو هلال قد أفرد للتلطف فصلا من باب البديع.

---

(١) البيان والتبيين: ١: ٩٢

(٢) الشعر والشعراء: ٢٨

(٣) قواعد الشعر: ٥١

(٤) عيار الشعر: ٩

(٥) الوساطة: ١٠٠

(٦) الموازنة: ١: ٣٩٧

(٧) ذاته والصفحة ذاتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مبادىء الكلام (المطالع) ومقاطعه

يخصص أبو هلال فصلا من الباب العاشر للصناعتين لذكر المبادىء ويذكر قول بعض الكتاب : «أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان»[١] ويسميها منفتح الأقوال إذ يورد قول بعضهم: ينبغي للشاعر ان يحترز في اشعاره، ومنفتح اقواله مما يتطير منه، ويستجفي من الكلام والمخاطبة والبكاء[٢] واحذق الشعراء عنده من يتفقد الابتداء والمقطع[٣] ويعرف أبو هلال الابتداء بأنه أول ما يقع في السمع من كلامك، والمقطع الآخر ما يبقى في النفس من قولك، فينبغي أن يكون جميعا مونقين»[٤] والمبادىء والمقاطع عند أبي هلال قضية تشمل الشعر والنثر معاً[٥] كما سيأتي في الفصل القادم.

ورد هذان المصطلحان عند ابن قتيبة في عدة مواضع من كتابه «الشعر والشعراء» منها قوله: «وقال أبو عبيدة: يقول من فضل النابغة على جميع الشعراء هو أوضحهم كلاما، وأقلهم سقطاً وحشواً، وأجودهم مقاطع وأحسنهم مطالع، ولشعره ديباجة»[٦].

أما ابن طباطبا فقد ورد عنده مصطلح «الأبتداء» وأحيانا يسمّيه «مفتتح الشعر» ويعطي أمثلة توضّح أن الابتداء يجب أن يكون مريحا للسّامع ويذكر أن على الشاعر في كل أحواله الابتعاد عمّا يتطير منه ويستفجي مراعياً أحوال السامعين[٧] ويذكر الآمدي هذا المصطلح باسم الابتداء ويعلقّ على بعض الشعر بأنه جيد الابتداء[٨].

من ذلك نتبيّن أن الابتداء أو المطالع مما أهتم به النقاد القدامى وكان أبو هلال - وقبله إبن قتيبة قد قرنا بين المطالع والمقاطع - وكعادته كان له فضل التوسع وضرب الأمثلة الكثيرة الدالة.

---

(١) كتاب الصناعتين: ٤٣٠

(٢) ذاته والصفحة ذاتها.

(٣) ذاته: ٤٣٤

(٤) ذاته: ٤٣٥

(٥) ينظر الأمثلة التي يذكر أبو هلال من الشعر والنثر: ٤٣١ - ٤٣٧.

(٦) الشعر والشعراء: ١: ١٠١

(٧) عيار الشعر: ١٢٢-١٢٣

(٨) الموازنة: ١:٤٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النثر (المنثور)

يضع أبو هلال مقياسا مشتركاً بين المنظوم والمنثور إذ يقول: «والمنظوم يجب أن يكون مثل المنثور في سهولة مطلعه وجودة مقطعه، وحسن رصفه، وتأليفه، وكمال صوغه وتركيبه[١] ويعود أبو هلال ليؤكد أن المنظوم الجيد ما خرج مخرج المنثور في سلاسته واستوائه وقلة ضروراته[٢] ويتضح من هذين المثالين وأمثلة أخرى أن المنثور عند أبي هلال يأتي بمعنى النثر، وذلك عكس المنظوم الذي يأتي عند أبي هلال بمعنى الشعر.

ورد المنثور عند الجاحظ بمعنى النثر الذي هو خلاف الشعر، وورد المنثور عنده ايضا ليدلّ على خلاف المسجوع وذلك عند قوله: «وقيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرّقاشي: لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن... وما تكلمت به العرب من جيد المنثور اكثر مما تكلمت به من جيد...»[٣]

كما ورد عند ابن طباطبا في معرض تمييزه بين المنظوم والمنثور فالمنثور مستعمل بين الناس في مخاطباتهم والنظم تركيب مخصوص ان عدل عن جهته مجّته الأسماع وفسد على الذوق[٤].

ويجعل أبو هلال أجناس الكلام ثلاثة، الرسائل والخطب والشعر[٥] وهو بذلك يجعل الرسائل والخطب هي مجال النشر وقد بيّن أبو هلال أن الشاعر قد يستفيد من النثر، ويجعله شعرا ومن الشعر فيجلعه نثراً وذلك في معرض حديثه عن نظم المحلول وحل المنظوم[٦].

ونخلص من ذلك إلى أن أبا هلال يجعل الحدّ الفاصل بين الشعر والنثر هو النظم كما هو الحال عند الجاحظ وابن طباطبا قبله.

الوزن

يذكر أبو هلال مصطلح الوزن في كتابه غير مرّة: منها في معرض حديثه عن مختارات الأصمعي إذ ينعى عليه اختياره ويصف القصيدة أنها غير مستقيمة الوزن...الخ[٧] وفي موضع آخر يجعل «طلب

---

(١) كتاب الصناعتين: ٥٥

(٢) ذاته: ١٦٥

(٣) البيان والتبيين: ١: ٢٨٧

(٤) عيار الشعر: ٣

(٥) البيان والتبيين: ١: ٢٨٧

(٦) ذاته: ٢١٦ـ٢١٨

(٧) طبقات فحول الشعراء. ١: ٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوزن» احدى خطوات تعليم كتابة الشعر[١] وفي موضع ثالث يجعل الوزن ميزة للشعر لأنه سبب في استفاضته وبعد سيره في الآفاق[٢] وعندما يعقد مقارنة بين الرّسائل والخطب يجد أن كليهما لا يلحقه وزن ولا تقفية[٣] فالوزن عند أبي هلال هو العروض الذي يُعرف به الشعر وسمته الدّالة عليه والتي تميزه عن النثر.

ورد هذا المصطلح عند ابن سلام الذي يقول بضرورة العروض والبناء والقوافي[٤] كما ورد عند ابن قتيبة إذ يقول: «واستحب له ـ أي للشاعر ـ ألا يسلك فيما يقول الأساليب التي لا تصح في الوزن ولا تحلو في الأسماع»[٥].

أما ابن طباطبا فيعدُّ العروض ميزانا للشعر يقول:«فمن صحّ طبعه وذوقه لم يحتج الى الأستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه»[٦].

يعدّ قدامة بن جعفر الوزن والقافية من سمات الشعر دون غيره إذ يقول: «وعلما الوزن والقافية وان خصّا الشعر وحده فليست الضرورة داعية إليهما لسهولة وجودها في طباع اكثر الناس من غير تعلم»[٧].

والوزن عند الآمدي يقترب بالقافية إذ يجعلها من المقاييس التي اعتمدها في التفضيل والموازنة بين أبي تمام والبحتري إذ يقول:«فأما أنا فلستُ انصح بتفضيل أحدهما على الآخر، ولكني أقارن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما إذا اتفقا في الوزن والقافية وإعراب القافية، وبين معنى ومعنى ثم أقول أيهما أشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعنى».

من ذلك نخلص الى أن الوزن عند النقاد جاء خاصاً بالشعر وعدوه أهم سماته الدالة عليه ولم يخرج معنى الوزن عند أبي هلال عن معناه عند النقاد العرب وهو العروض وكان لأبي هلال فضل التركيز على هذا المصطلح بشكل يجعل منه علما لا غنى لناظم الشعر أو دارسه عن تعلمه.

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٢٩

(٢) ذاته: ١٣٧

(٣) ذاته والصفحة ذاتها

(٤) طبقات فحول الشعراء ١ ٥

(٥) الشعر والشعراء : ٤٦

(٦) عيار الشعر ٤٠٢

(٧) نقد الشعر: ١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

النقد التطبيقي

١. ذوق أبي هلال من خلال المختارات الشعرية

٢. ذوق أبي هلال من خلال المختارات النثرية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

يشتمل كتاب الصناعتين على نقد الشعر، ونقد النثر إذ ألفَ أبو هلال كتابه لمّا رأى ما يخلط به الكتاب والشعراء فيما يختارون من الكلام، ثم إنّه أراد أن يضيف كتاباً متخصصاً فيما يحتاج إليه الكاتب في صنعة الكلام: شعره ونثره، وكان قدامة بن جعفر قد وضع كتابه في نقد الشعر وحسب إذ يقول «ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر، وتخليص جيده من رديئه كتاباً، وكان الكلام في هذا التقسيم أولى بالشعّر من سائر الأقسام المتعددة...»[1] وقد وضع ابن قتيبة كتاباً في الشعر والشعراء، وقد درس بعض النقاد شاعراً أو اثنين كما فعل القاضي الجرجاني في الوساطة بين المتنبي وخصومه والآمدي في الموازنة بين الطائيين «أبي تمام والبحتري».

ولعلنا إذا تتبعنا مفهوم النقد عبر العصور الأدبية فإننا نلاحظ أمرين:

١-أن للنقد طرفين: الناقد الذي خصه الدارسون بصفات ومزايا ينبغي أن يتصف بها حتى يكون أهلاً للنقد، والعمل الفني وما يتصل به من أساليب كما مرّ في صفحات سابقة من هذا البحث.

٢-أن النقد له مساس بقضية الذوق الأدبي، وهو بعد ذلك فن له نكهة العلم، إذ إن الذوق ليس المقياس الوحيد، وإن كان من أكثر المقاييس أهمية.

من خلال الصناعتين يظهر لنا أنّ أبا هلال لم يُعنَ بالجانب النظري فقط للشعر والنثر بل بالجانب التطبيقي أيضا، إذ شرح الألفاظ والكلمات على صعيدي علم البلاغة، وعلم اللغة، إذ كانت البلاغة والنقد وجهين لعملة واحدة، وميّز الجيّد والرديء في مجالي الشعر والنثر.

ونلاحظ كذلك أن كتاب «الصناعتين» قد حفل بكثرة النصوص، وهذا ساعد على صقل الذوق الأدبي عند أبي هلال، وذلك من خلال التحليل، واستعراض مواطن الجمال، والتنبيه على مواطن القبح. لقد جمع كتاب الصناعتن بين دفتيه الأدب ما بين جاهليّ وإسلامي ومحدث، مما كان له الأثر في النقد العربي كما سيأتي.

وسأجعل هذا الفصل في قسمين أولهما للشعر والثاني للنثر.

١- ذوق أبي هلال من خلال المختارات الشعرية:

في النقد العربي مواقف كثيرة للنقاد لها علاقة بخصائص الشعر لفظاً ومعنى: من ذلك ما نجده في

---

(١) قدامة بن جعفر، نقد الشعر. ١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتاب الشعر والعشراء لابن قتيبة[١] والموشح للمرزباني[٢]، إذ عني الأدباء بتتبع العملية الشعرية ونقدها، فجاء نقدهم متخصصاً شاملاً الى حد كبير، ولعلّ هذا ما يفسّر رأي الجاحظ الذي سبق أبا هلال، بقرن من الزمان ـ أنه لم يظفر بعلم الشعر إلاّ عند أدباء الكتاب، وهذا ما يفسّر أيضا شمول كتاب الصناعتين لقضايا النقد في هذا القرن، وما سبقه من القرون، أعني ان نقد الأدباء كان أكثر قرباً للظاهرة الأدبية من غيره.

يقول أبو هلال في تعريفه للشعر: «الشعر كلام منسوج، ولفظ منظوم، وأحسنه ما تلاءم نسجه ولم يسخف وحسن لفظه ولم يهجن، ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام، فيكون جلفاً بغيضاً، ولا السوقي من الألفاظ فيكون مهلهلا دونا[٣].

إننا في هذا التعريف للشعر عند أبي هلال نلمس تطوراً واضحا لمفهوم العمل الأدبي عمّا كان عند سابقيه كقدامة بن جعفر مثلا الذي يرى أن الشعر «قول موزون مقفى يدل على معنى»[٤] صحيح أننا نجد في التعريفين العناصر ذاتها للشعر: اللفظ والمعنى والوزن والقافية ولكننا نجد عند أبي هلال إدراكا لأشياء مهمة على صعيد التجربة الفنية على ما سيأتي في تضاعيف هذا البحث.

يضع أبو هلال خطوات لتعليم كتابة الشعر وهي:

١ـ إحضار لمعاني التي يُراد نظمها في الفكر والقلب.

٢ـ طلب وزن وقافية يتأتى النظم فيهما.

٣ـ أن يقود الشاعر كلامه ليأتي سهلا مسلسلا لا أن يقوده كلامه فيأتي كزّاً فجاً.

وهو في سبيل ذلك يقدّم نصائح للشعراء منها: المعرفة بالقوافي وذلك لتجنب عيوبها كالسّناد والإقواء والإبطاء، وتجنب الضرورات وإن جاء فيها رخصة من أهل العربية[٥] ويرى أبو هلال أن المنظوم الجيّد ما خرج مخرج المنثور في سلاسته، وسهولته، واستوائه وقلة ضروراته[٦]، كما يرى أن النظم الذي به زنة

---

(١) الشعر والشعراء: ٣٧٤، ٣٨١، ٤٢٤

(٢) محمد بن عمران (المرزباني)، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة، ١٩٦٥) ١٨١، ١٨٧، ٤٨٦.

(٣) كتاب الصناعتين: ٦٦

(٤) نقد الشعر: ٣

(٥) كتاب الصناعتين: ١٥٢

(٦) ذاته: ٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الألفاظ، وتمام حسنها هو من مراتب الشعر العالية «التي لا يلحقه فيها شيء من الكلام[١] والشعر الجيد عنده «إذا نقص نظامه وجعل نثراً لم يذهب حسنه ولم تبطل جودته في معناه ولفظه، فيصلح نقضه لبناء مستأنف، وجوهره لنظام مستقبل»[٢].

تركزت المادة النقدية في «الصناعتين» في الأبواب الثاني والثالث والرّابع خاصة، وفيها يظهر أن أبا هلال لم يُعنّ بالجانب النظري فحسب بل بالجانب التطبيقي أيضاً كما أسلفت.

لقد أشار أبو هلال إلى مسألة تنقيح الشعر وهي عنده إلقاء ما غثّ من أبيات القصيدة، وإبدال حرف منها بآخر أجود منه، وذلك حتى تستوي أجزاؤها، أما التنقيح عنده فيكون بإختيار الأسهل والأظرف والأقل حروفا[٣] ويضرب على ذلك أمثلة من الشعر ويذكر أن شعراء كالحطيئة وأبي نواس والبحتري كانوا يعملون على تنقيح قصائدهم وإلقاء ما غثّ منها.

أما الفنون في رأي أبي هلال فهي ثلاثة: الشعر والخطابة والرسائل، والفرق بينها ـ عنده ـ أن الرسائل تكتب، وتجعل الرسالة خطبة، وتجعل الخطبة رسالة. والشعرمبني على الكذب والاستحالة، وله أغراض خاصة من دون النثر كالفخر والغزل. ثم يعود أبو هلال ليفصّل الفرق بين الشعر والنثر وذلك عندما يعدد ميزات الشعر على غيره وهي:

١ـ النظم الذي به زنة الألفاظ، وتمام حسنها، ويرى أبو هلال أنه ليس شيء من أصناف المنظومات يبلغ في قوة اللفظ منزلة الشعر.

٢ـ طول بقائه على أفواه الرّواة، وامتداد الزمان الطويل به، وذلك لارتباط بعض أجزائه ببعضه، وطول مدة الشيء من أشرف فضائله.

٣ـ استفاضته في الناس، وبعد سيره في الآفاق.

٤ـ ليس يؤثّر في الأعراض والأنساب تأثير الشعر في الحمد والذّم شيء من الكلام، ويرى أبو هلال أنّ هذه فضيلة غير معروفة في الرسائل والخطب[٤].

٥ـ ليس شيء يقوم مقامه في المجالس الحافلة، ولا يفوز أحد من مؤلفي الكلام بما يفوز به صاحبه من العطايا الجزيلة، ولا يهتز ملك ولا رئيس لشيء من الكلام كما يهتز له.

٦ـ مجالس الظرفاء والأدباء لا تطيب، ولا تؤنس إلاّ بإنشاء الأشعار، ومذاكرة الأخبار.

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٧

(٢) ذاته والصفحة ذاتها.

(٣) ذاته: ١٣٩

(٤) ذاته: ١٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧ـ الألحان إذا سمعها ذوو القرائح الصافية، والأنفس اللطيفة، لا تتهيأ صنعتها إلاّ على كل منظوم من الشعر.

٨ـ ألفاظ اللغة يؤخذ جزلها وفصيحها، وفحلها وغريبها من الشعر، ومن لم يكن راوية لأشعار العرب تبّين النقص في صناعته.

٩ـ الشواهد تُنزع من الشعر، ولولاه لم يكن على ما يلتبس من ألفاظ القرآن، وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم شاهد.

١٠ـ أنساب العرب، وتواريخها، وأيّامها، ووقائعها لا تُعرف إلاّ من جملة أشعارها، فالشعر ديوان العرب، وخزانة حكمتها.

١١ـ من أراد أن يمدح نفسه، أو يصف حبه ووجده فإنه ينظم في ذلك قصيدة، ولو كتب في ذلك خطبة أو رسالة لجاء مستهجنا[١].

ويشير أبو هلال الى أن مسألة لطيفة إذ يتنبّه الى استثناء الله عزّ وجل في أمر الشعراء يدلُّ على أن المذموم من الشعر إنما هو المعدول من جهة الصواب الى الخطأ، وإذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذّم[٢]، وإشارة أخرى يلتفت إليها أبو هلال تلك أن الذي قصرَ بالشعر كثرته عندما تعاطاه كل الناس، كما هو الحال في العود والشطرنج[٣].

أمّا صفات الجودة في الكلام ـ ويلاحظ أن اكثرها متعلّق بالشعر دون النثر.

١ـ التلاؤم: وذلك عند حديثه عن الموازنة بين أقدار المعاني واقدار المستمعين[٤].

٢ـ تجنب التشاؤم[٥].

٣ـ الصدق في الإخبار إذ يقرر أن الضرورة قد تدع، الشاعر الى سوق خبر واقتصاص كلام، فلا بدّ أن يتوخى الشاعر الصدق، ويتحرّى الحق، وفي هذه الحال يكون الكلام قد ملك صاحبه وأحوجه إلى الانقياد له...[٦]

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٣٩

(٢) ذاته ١٣٨.

(٣) ذاته: ١٣٩.

(٤) ذاته: ١٤١.

(٥) ذاته: ١٤٦

(٦) ذاته: ١٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ـ تجنب الوحشي[١].

٥ـ تجنب القبيح إذ يرى أنه قد يقدحُ في الحسن قُبح اسمه، ويزيد في مهابة الرّجل فخامة اسمه[٢].

٦ـ تجنب الضرورات.

٧ـ تلافي عيوب القوافي.

٨ـ ألاّ يذكر اسما بغيضاً في التشبيب.

٩ـ عدم التكرار في كلام قصير

١٠ـ تجنب ما يعميّ الكلام.

ويورد أبو هلال قول بعضهم عندما سُئل عن أحذق الشعراء، فقال: من يتفقد الابتداء والمقطع»، ويفسّر هذا القول بقول آخر يورده على لسان بعض الكتاب «ليس يحمد من القائل أن يعميّ معرفة مغزاه على السامع لكلامه في أول ابتدائه، حتى ينتهي إلى آخره، بل الأحسن أن يكون في صدر كلامه دليل على حاجته، ومبيّن لمغزاه ومقصده، كما أن خير أبيات الشعر ما إذا سمعت صدره عرفت قافيته»[٣].

يرى أبو هلال أنّ من حسن المقطع جودة الفاصلة، وحسن موقعها، وتمكنها في موضعها ويجعل ذلك على ثلاثة أضرب:

١ـ أن يضيق على الشاعر وضع القافية، فيأتي بلفظ قصير، قليل الحروف فيتمم به البيت، وذلك كقول زهير:

واعلمُ ما في اليومِ والأمسِ قبلهُ ولكنني عن علمِ ما في غدٍ عمي[٤]

٢ـ أن يضيق المكان بالشاعر، ويعجز عن إيراد كلمة سالمة تحتاج الى إعراب ليتم بها البيت، فيأتي بكلمة معتلة لا تحتاج الى الإعراب، فيتمه به كقول امرىء القيس:

بعثنا ربيئاً قبل ذاك مخملاً كذئب الغضا يمشي الضراء ويتقي[٥]

٣ـ ولاضرب الثالث أن تكون الفاصلة لائقة بما تقدمها من ألفاظ الجزء من الرسالة أو البيت من الشعر.. حتى لا يسد مسدها غيرها وذلك كقوله تعالى: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى..﴾.

لقد ذكر أبو هلال فكرة إحضار المعاني التي أشرت اليها في صفحات سابقة وذلك باستحضار

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٤٩

(٢) ذاته: ١٥٢

(٣) ذاته: ١٥١

(٤) ذاته ٤٤٢.

(٥) ذاته. ٤٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغرض الشعري اولا ثم اختيار الوزن والقافية ، ثم المعرفة في أي الأوزان يكون الغرض «أحسن استمزارا، ومع أي القوافي يكون أشد اطرادا»[١] ولا يظهر من كلام أبي هلال أي موقف خاص من الوزن والقافية ولكنه يستحسن من القافية ما كان متمكنا غير قلق، ومتوافقاً مطيعا للشاعر في استيفاء الكلام المطلوب[٢]. ونتبين من ذلك أن من صفات القافية التوافق، ولم يوضح أبو هلال معنى الطوعية وقد بيّن الطريق المؤدي إليها، وقد أكدّ أبو هلال أن على الشاعر أن يعرف الموضوعات التي سيتناولها، وأن ينظر في الحرف الأخير الذي تشترك فيه عناوينها، فيختاره رويّاً، ويضرب على ذلك مثالا قول النابغة الذبياني الذي اختار قافية الدّال عندما احتاج أن يذكر العدد والزيادة والثمد إذ يقول:

واحكمْ كحكمِ فتاةَ الحي إذ نظرت الى حمامٍ شِرَاع واردِ الثمد[٣]

وحين احتاج البحتري الى ذكر الالاف ، والاسعاف اختار الفاء روياً لقصيدته يقول:

هاج الخيالُ لنا ذكرى إذا طافا وافى يخادُعُنا والصبحْ قد وافى[٤]

اقتبس ابو هلال فكرة اتصال الوزن بالغناء عن الجاحظ الذي يقول:

«العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة، والعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن، فتضع موزوناً على غير موزون»[٥]. أقول لقد اقتبس ابو هلال هذه الفكرة عندما اشترط الشعر للغناء، والألحان عنده اهنأ اللذات فهي لذوي القرائح الصافية والأنفس اللطيفة، وقد جعل هذه الألحان سبباً لتفضيل الشعر الذي يبدو المنظوم فيه ضرورياً لصناعة الموسيقى «فهو لها بمنزلة المادة القابلة لصور ها الشريفة إلاّ ضربا من الألحان الفارسية يصاغ على كلام غير منظوم نظم الشعر، تمطط فيه الألفاظ، فالألحان منظومة، والألفاظ منثورة»[٦].

والملاحظ هنا ان أبا هلال قد تنبه لدور العروض في الغناء الذي هو من أشد الفنون اتصالاً بالشعر.

وفيما يلي محاولة لاستشراف ذوق أبي هلال من خلال مختاراته النقدية:

أ. نقد على بيت واحد:

إنّ استعراضاً لكتاب «الصناعتين» يبين أن نقد أبي هلال على بيت واحد جاء ليشمل قضايا تتناول

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٣٩.

(٢) السابق والصفحة ذاتها.

(٣) ذاته: ١٤٧ والبيت في ديوان زهير. ٢٢ ، فتاة الحي: زرقاء اليمامة، شِراع، مجتمعة، الثمد: الماء القليل.

(٤) ذاته: ١٤٨

(٥) العمدة: ١-٢١١-٢١٢.

(٦) كتاب الصناعتين: ١٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللفظ والمعنى وصفاتهما والتشبيه والوزن والقافية... الخ

يعلق أبو هلال على قول أبي العيال الهذلي:

ذكرتُ أخي فعاودني صداعُ الرأس والوصبُ[١]

بأن ذكر الرأس مع الصداع فضل. يقصد فضل اللفظ عن المعنى. والكلام عند أبي هلال يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعته، وتخيّر لفظه، وإصابة معناه.... الخ والمنظوم الجيد.. عنده يكون كالمنثور من حيث سهولة المطلع، وجودة المقطع، وحسن الرّصف، والتأليف وكمال الصوغ والتركيب[٢].

يأتي البيت الواحد مثالا على مقياس معين يراه أبو هلال للشعر من ذلك قول بشار:

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت، وأيُّ الناس تصفو مشاربه[٣]

يجعل أبو هلال هذا البيت مثالاً على ما فصح لفظه، وجاد رصفه فالكلام الجميل. في رأيه. ما جمع العذوبة، والجزالة، والسهولة، والرصانة، مع السلاسة والنصاعة واشتمل على الرّونق والطلاوة[٤]، وأجود الكلام ما يكون جزلاً سهلاً، لا ينغلق معناه، ولا يستبهم مغزاه، ولا يكون مكدوداً مستكرهاً، وإذا كان اللفظ رديئاً كان الكلام مردوداً ولو احتوى على أجل معنى ويضرب على ذلك مثالاً قول القائل:

لما أطعناكمُ في سُخط خالقِنا لا شلّ سلّ علينا سيفَ نقمته[٥]

أما «السهل الممتنع» فهو أجود الكلام في رأي أبي هلال، ذلك أنه يرفض الغريب، والسهل الممتنع كما يظهر من كلام ابي هلال هو الحسن المعني السهل اللفظ[٦]. ويورد خبراً إذ قيل للسيد: ألا تستعمل الغريب في شعرك؟ فقال: «ذاك عيٌّ في زماني وتكلف مني لو قلته، وقد رزقت طبعاً واتساعاً في الكلام، وأنا أقول ما يعرفه الصغير، والكبير، ولا يحتاج الى تفسير ثم أنشد:

أيا ربّ إني لم أرُد بالذي به مدحتُ علياً غير وجهك فارحمِ

ويعلق ابو هلال على ذلك قائلا: «وهذا كلامٌ عاقل يضع الشيء موضعه[٧].

ومن مقاييس الشعر أن يكون الكلام مطبوعاً سهلاً ويضرب على ذلك مثالاً قول ابن وهب:

---

(١) كتاب الصناعتين: ٣٥

(٢) ذاته: ٤٦.

(٣) ذاته: ٥٦

(٤) ذاته: ٥٧

(٥) ذاته والصفحة ذاتها

(٦) ذاته: ٦١

(٧) ذاته والصفحة ذاتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما زال يُلثمني مراشِفهُ ويعلّني الإبريقُ والقدحُ[١].

ويقول الآخر:

كم من فؤادٍ كأنّه جبلٌ أزاله من مقرِّه النظرُ[٢]

وعكس ذلك أن يكون الكلام قد استبهم حتي لا يوقف على معناه الاّ بالتوهم ويضرب على ذلك مثالاً قول سعد بن مالك الأزدي:

فإنك لو لاقيتَ سعدَ بن مالكٍ للاقيتَ منه بعض ما كانَ يفعلُ[٣]

أما قول الشاعر:

ترى غابةَ الخَطب فوقَ رؤوسهم كما أشرفت فوق الصُوار قرونها[٤]

فإن أبا هلال يجعله مثالاً على الكلام الواضح المعنى، السهل اللفظ، الجيد السبك، غير المستكره، الفج أو المتكلف الوخم.

ومن عيوب المعنى كما يرى أبو هلال الحشو المذموم كقول الشاعر:

أنعى فتى لم تذرّ الشمس طالعةً يوماً من الدّهر إلاّ ضرّ أو نفعا[٥]

يقول أبو هلال: «فقوله يوما من الدهر حشو لا يحتاج إليه، لأن الشمس لا تطلع ليلاً، أما الكلام الذي لا حشو فيه:

وتجهل أيدينا ويحلمُ رأينا ونشتم بالأفعال لا بالتكلمِ[٦]

أما أعلى مراتب البلاغة. كما يرى أبو هلال. فهو أن يحتج للمذموم حتى يخرجه في معرض المحمود، وللمحمود حتى يصيّره في صورة المذموم من ذلك قول بعضهم في مدح الموت:

قد قلتُ إذْ مدحوا الحياة فأكثروا في الموت ألفُ فضيلةٍ لا تعرفُ[٧]

يأتي البيت الواحد مبيناً مقدرة أبي هلال اللغوية وذوقه السليم في الموازنة بين المعاني من ذلك قول

---

(١) كتاب الصناعتين: ٦٣

(٢) ذاته: ٦٤

(٣) ذاته: ٣٣

(٤) ذاته: ٨٠، الخطي: الرماح نسب الى الخط وهو مرفأ السفر بالبحرين، الصوار: القطيع من البقر الوحشي

(٥) ذاته: ٤٨.

(٦) ذاته: ٤٩

(٧) ذاته: ٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علقمة[١] :

يحملن أترجةً نضح العبير بها كأنّ تطيابها في الأنف مشمومُ[٢]

أما تعليق أبي هلال فيتناول الألفاظ في معظمه إذ يقول: والتطياب ها هنا على غاية السماجة، والطيب ايضاً مشموم لا محالة، فقوله: كأنه مشموم هجنه، وقوله: في الأنف: أهجن، لأن الشمّ لا يكون بالعين[٣] .

من خطأ المعاني كما يرى أبو هلال أن يستعمل اللفظ في غير موضعه، من ذلك قوله: « قد استعمل الناس الطول والعرض فيما ليس له استعمالاً مخصوصاً كقول كثيّر:

إنّ ابن فرعي قريش لو تُقايسها في المجد صار إليك العرضُ والطولُ

إي صار اليك المجدُ بتمامه. يقول أبو هلال: «... ولا يستعمل فيما ليس له طول وعرض على الحقيقة، ولا يجوز مخالفة الاستعمال البتة»[٤] . وأرى أن هذا الكلام يعكس معرفة بوجوه استعمال الألفاظ، وحزماً في تعليم من أراد صنعة الكلام ومن ذلك أيضا أبيات أوردها أبو هلال وكان التعليق فيها بكلمة أو بتغيير لفظة مكان أخرى وذلك كما أنشد أبو بكر بن دريد:

طرفتك عزةٌ من مزارٍ نازحٍ يا حسنَ زائرة وبُعدَ مزارِ[٥]

ثم يورد أبو هلال تعليق أبي بكر: «لو قال: يا قربَ زائرة وبعد مزار» لكان أجود. ويعلق أبو هلال على قول ابن دريد: وكذلك هو لتضمنه الطباق»[٦] .

يرى أبو هلال ان من الألفاظ إذا وقع نكرة قبح، ويحسن إذا وقع معرفة كقول الشاعر:

لمّا التقينا صاحَ بينٌ بيننا يُدني من القرب البعادِ لحاقا

ويعترض أبو هلال على لفظة «بين» ويرى أنّه لو قال «البين» لكان أقرب، ثم يعلق على البيت عامة إذ يرى انه رديء وليس من وصف البلغاء[٧] .

يدعو أبو هلال إلى ترتيب الألفاظ ترتيباً صحيحاً فيقدّم ما يحسن تقديمه، ويؤخر ما يحسن تأخيره

---

(١) هو علقمة بن عبده بن النعمان بن ربيعة من بني تميم، كان معاصرا لامرىء القيس، كان شاعراً مبدعاً اشتهر بوصف الفرس والنعامة قال عنه ابن سلام «ولا بن عبده ثلاث روائع جيدة يفقن شعره» ينظر بروكلمان ١: ١٥

(٢) كتاب الصناعتين: ١٠٩

(٣) ذاته والصفحة ذاتها

(٤) ذاته والصفحة ذاتها

(٥) ذاته: ١٣٩

(٦) ذاته والصفحة ذاتها.

(٧) ذاته: ١٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي ذلك يورد قول الشاعر:

وعجاية تشدوا بألحانها　　وكانت الكيسّة الخادمة

يقول أبو هلال: لو قال «وكانت الخادمة الكيسة» لكان أجود[١].

وقد يأتي البيت الواحد دليلاً على تعريف ما فيورد أبو هلال قول الشاعر:

وما رقد الولدان حتى رأيته　　على البكرِ يمريه بساق وحافر

مثالاً على تعريف قدامة الخاطىء للمعاظلة الذي يرى أنها فاحش الاستعارة[٢].

ومما يتصل بخطأ اللفظ: ارتكاب الضرورات الذي يستقبحه أبو هلال وان جاء فيها رخصة من أهل العربية كما أسلفت وهي تشمل أموراً كثيرة منها:

عدم الإشباع، وترك الجزم، وتحريك حرف العلّة، وإظهار التضعيف، وقطع ألف الوصل، وغير ذلك مما يراه مكروهاً في الاستعمال، ويضرب على ذلك أمثلة منها قول جميل:

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمةً　　على حدثان الدهرِ مني ومن جملِ

إذ قطع ألف الوصل[٣].... الخ

الملاحظ ان النقد على بيت واحد يأتي عند أبي هلال للتدليل على الفرق بين كلمتين وأيهما أنسب في موقعها وما بينهما من قدر المعنى وليس تعليقا عاماً على الأبيات من ذلك ما يرويه أبو هلال عن خاله أبي احمد العسكري أنّ رجلاً أنشد ابن هرمة قوله:

بالله ربّك إنْ دَخلتَ فقلْ لها　　هذا ابنُ هرمة قائماً بالباب

فقال: ما كذا قلت، أكنتُ أتصدق؟ قال: فقاعداً، قال: كنت أبول؟ قال: فماذا؟ قال: واقفاً، ليتك علمتَ ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى[٤].

يأتي البيت الواحد مثالاً علي جمال التشبيه أو متجه من ذلك قول ذي الرّمة:

وهادٍ كجذع الساج سامٍ يقوده　　معرّق أحناء الصبيين أشرقُ

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٥٢

(٢) ذاته: ١٦٢، والبكر: الفتي من الإبل، يمريه من مريت الفرس اذا استخرجت ما عنده من الجري والمبيت، وصف ضيق طارق اسرع الى الشاعر. كما في اللسان. وقبله:

فأبصرَ ناري وهيَ شقراءُ أُوقدت　　بليلٍ فلاحت للعيون النواظر

(٣) ذاته: ١٥١، ديوانه: ٤٩

(٤) ذاته: ٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأبيات اخرى[١] . ويورد أمثلة على طرائف الغلط في التشبيه كقول ابن أحمر:

لم تدرِ ما نسجُ اليرندج قبلها ودراسُ أعوصَ دارس متخدّد

يعلق أبو هلال: «ظنّ أن اليرندج مما ينسج، واليرندج جلدٌ أسود تُعمل منه الخفاف، فارسي معرّب، فأصله رندة، وفسّره أبو بكر بن دريد تفسيراً آخر، وقال: إنما هذه حكاية عن المرأة التي يصفها: ظنت لقلة تجربتها أن اليرندج منسوج، ولم تدارس عويص الكلام، من ألفاظ البيت لا تدلُ على ما قال[٢] . وقد يأتي البيت الواحد للدلالة على نوع من التشبيه كقول أبن الرّوي في ذم الدّهر:

تأتي على القمر الساري نوائبُه حتى يُرى ناحلاً في شخص عُرجُون

إذ يرى أبو هلال ان هذا من تشبيه الشيء بالشيء صورة، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾[٣]، ويعلق أبو هلال على ذلك: «وأين يقع هذا من لفظ القرآن[٤]» وقول بشار:

كأنّ مثارَ النقعِ فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه[٥]

ويأتي البيت الواحد للدلالة على تنافر التشبيه كقول الجمانيّ يصف ليلاً:

كأنما الطّرف يرمي في جوانبه عن العمى وكأنّ النجمَ قنديل

إذ يرى أبو هلال أن اجتماع العمى والقنديل في غاية التنافر[٦] أما قول الوأواء الدمشقي[٧]:

وأسبلت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العُناب بالبَردِ

فيرى أبو هلال أنه لا يعرف لهذا البيت ثانياً إذ شبه خمسة أشياء، بخمسة أشياء[٨].

إن توافق اللفظ مع الصورة من علامات جمال التشبيه عند أبي هلال لذلك فهو يعلّق على قول جؤية:

كساها رطيب الرّيش فاعتدلت به قداحٌ كأعناق الظباء الفوارق

---

(١) كتاب الصناعتين: ٧٢

(٢) السابق: ٧٣

(٣) يس: ٣٩

(٤) كتاب الصناعتين: ٢٤٥

(٥) السابق: ٢٥٩

(٦) ذاته والصفحة ذاتها

(٧) هو أبو الفرج محمد بن احمد الغساني الدمشقي، ولد في دمشق ونشأ فقيرا، كان شاعرا غير مكترث وفد على سيف الدولة الحمداني ينظر في أخباره: الفهرست ١٥٥، معجم الأدباء ٨: ٧٥١-٩٣، انباه الرواة ١: ٢٨٥-٢٨٩، بغية الوعاة: ٢١٨.

(٨) كتاب الصناعتين: ٢٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرى أبو هلال أنه شبه السهام بأعناق الظباء وليس بينهما شبه فقد شبّه صغيراً بكبير، وليس بينهما مقاربة لذلك جاء التشبيه معيباً[١].

يأتي البيت الواحد عند أبي هلال للدّلالة على معنى بلاغيّ من ذلك:

حسن التخلص إذ يضرب مثالاً قول القائل:

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذرُ[٢]

والإيجاز بأنواعه كإيجاز الحذف:

لهم مجلسٌ صهبُ السّبال أذلةٌ سواسيةٌ أحرارها وعبيدها[٣]

أو الإيجاز الردىء كقول الشاعر:

أعاذل عاجلٌ ما اشتهى أحبُ من الأكثر الرّائث .

أو التوكيد كقول الشاعر:

كم نعمةٍ كانت لكم كم كم وكم كانت وكم[٤]

ويجعله أبو هلال من التوكيد الجيد.

أو المزاوجة وهي شعبة مستحبة من الإطناب كما يرى أبو هلال وذلك كقول الشاعر:

إن شرخ الشباب والشعر الأسـ ـود ما لم يُعاص كان جنونا

فالشعر الأسود داخل في شرخ الشباب[٥].

وقد يأتي البيت الواحد للدلالة على حسن الأخذ أو بتجه:

فتمشّت في مفاصلهم كتمشي البُرء في السّقمِ

إذ أخذه من قول مسلم:

تجري محبتها في قلب عاشقها مجرى المعاناة في أعضاء منتكس[٦]

ويضرب مثالاً على قبح الأخذ قول ابن طباطبا

فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٥٧

(٢) السابق: ٥١

(٣) ذاته: ١٨١

(٤) ذاته: ١٩٣

(٥) ذاته ١٩٥

(٦) ذاته: ٢٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يذكر أبو هلال أنه أخذهُ من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه «قيمة كل امرىء ما يحسنه» ويعلّق قائلا: «فأخذه بلفظه، وأخرجه بغيضاً متكلفاً». والجيد عند أبي هلال قول الآخر: «فقيمة كل امرىء علمه» فهذا وان كان أخذه ببعض لفظه فإن «كلا» في بيته أحسنُ موضعاً منه في بيت ابن طباطبا[١].

يأتي البيت الواحد عند أبي هلال في مجال حديثه عن حل المنظوم فيقرر حقيقة مهمة رذ يقول: «إنّ من النظم ما لا يمكن حلّه أصلاً بتأخير لفظه وتقديم أخرى منه حتى تلحق به التغيير والزيادة والنقصان مثل قول الشاعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلاّ صورة اللحّم والدم

يرى أبو هلال أن المصراع الأول يمكن أن يؤخر ألفاظه وتقدّم فيصير نثراً مستقيماً، وهو ان تقول فؤاد الفتى نصف ولسانه نصف، ولا يمكن في المصراع الثاني ذلك حتى تزيد فيه أو تنقص فيه، فنقول: لسان الفتى نصف وفؤاده نصف وصورته من اللحم والدم فضل لا عناء بها دونهما، ولا معوّل عليها إلاّ معهما[٢].

ويأتي البيت الواحد عند أبي هلال مثالاً على ما يجب تجنبه من سوء الابتداء، وذكر ما يتطيّر منه، ويستجفي من الكلام والمخاطبة والبكاء ووصف إقفار الديار، وتشتيت الالاف، ونعي الشباب، وذمّ الزمان، لا سيّما في القصائد التي تتضمن المدائح والتهاني، ويستعمل ذلك في المراثي، ووصف الخطوب الحادثة، والسبب في ذلك ـ كما يرى أبو هلال ـ أن الكلام إذا كان مؤسساً على هذا المثال تطيّر منه سامعه[٣] كقول ذي الرّمة:

ما بالُ عينك منها الماء ينسكبُ كأنه من كُلمً مفريّة سرب

أو كقول اسحق بن ابراهيم في حضرة المعتصم:

يا دارُ غيّرك البلى فمحاك يا ليت شعري ما الذي أبلاكِ

إذ يذكر الخبر أن المعتصم تطيّر، وخرج الى سامراء ولم يعد الناس الى ذلك القصر الجديد، وخرب بعدها[٤]. أما مثالا على الابتداء البارد فيضرب قول أبي العتاهية مثالاً:

ألا ما لسيدتي مالها أدلت ما حمل إدلالها

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٢٣

(٢) ذاته: ٢١٨

(٣) ذاته: ٤٣١

(٤) ابو العتاهية هو اسماعيل بن القاسم ولد ١٣٠ هـ عاصر المهدي، وكان شاعرا بالزهد توفي ٢١١هـ ينظر في اخباره: الفهرست ١٦٠، الأغاني ٤: ١ـ ١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما في معرض حديثه عن حسن المقطع فيقول أبو هلال: «فينبغي أن يكون آخر بيت قصيدتك أجود بيت فيها، وأدخل في المعنى الذي قصدت له في نظمها، كما فعل ابن الزبعري[١] في آخر قصيدة يعتذر فيها الى النبي صلى الله عليه وسلم ويستعطفه:

فخذ الفضيلة عن ذنوب قد خلت　　واقبل تضرّعها مستضيف تائب

ويعلق أبو هلال «.... فجمع في هذا البيت جميع ما يُحتاج إليه في طلب العفو»[٢].

ب- نقد على بيتين:

يعيب أبو هلال على قيسَ بن الملوّح قوله:

كأن القلب ليلة قيل يُغدى　　بليلى العامرية أو يُراح

قطاةٌ غرّها شَرَك فباتت　　تجاذبه وقد علق الجناحُ

ذلك أنه لم يتم المعنى في البيت الأول وأتمه في البيت الثاني[٣]. وفي معرض حديثه عن الغريب من الكلام، منه وإن لم يكن من كلام العامة وذلك لحسن ترتيبه وجودة نسجه ويضرب على ذلك مثالاً قول المرّار الفقعسي:

لا تسألي القوم عن مالي وكثرته　　قد يقترُ المرء يوماً وهو محمود

أمضي على سنةٍ من والدي سلفت　　وفي أرومته ما ينبت العودُ[٤]

يأتي البيتان عند أبي هلال للتدّليل علي صفة الكلام من التئام وعدم تنافر كقول الشاعر:

وفي أربع مني حَلَلتَ منك أربعُ　　فما أنا دارٍ أيّا هاجَ لي كربي

أوجهك في عيني أم الريق في فمي　　أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي[٤]

وعند حديثه عن ترتيب الألفاظ وتقديم ما يحسن تقديمه وتأخير ما يحسن تأخيره يأتي أبو هلال بمثال لكلام فاسد الترتيب وذلك كقول الشاعر:

يضحك فيها كلُّ عضو لها　　من بهجة العيش وحسن القوام

---

(١) هو عبدالله بن الزبعري القرشي هجا المسلمن وهجاد حسان بعد فتح مكة ثم أسلم توفي في خلافة عمر سنة ١٥هـ.

(٢) كتاب الصناعتين: ٤٤٣

(٣) السابق: ٣٦

(٤) ذاته: ٦٦

(٤) ذاته: ١٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تزولُ في الدّار لها وفرة　　كوفرة الملط الخليعِ الغلام[١]

ويعلق أبو هلال : «كان ينبغي أن يقول : كوفرة الغلام الملط الخليع، أو الغلام الخليع الملط، فأمّا تقديم الصفة علي الموصوف فردىء في صنعة الكلام جدا». وقوله أيضا : «بهجة الدنيا وحسن القوام، متنافر غير مقبول»[٢].

أما قول الشاعر :

أرى رجالاً بأدنى الدهن قد منعوا　　ولا أراهم رضوا في العيش بالدّونِ

فاستغنِ باللهِ عن دنيا الملوك كما　　تغني الملوك بدنياهم عن الدّينِ

فيرى أبو هلال أنه مثالٌ على كلام صحيح المعنى واللفظ ولكنها قليلة الحلاوة، عديمة الطلاوة، ولا يجعله من جملة المختار[٣].

ويضرب مثالاً على كلام مستحسن الرونق قول دعبل[٤]

وإن امرءاً أمست مساقطُ رَحلِه　　بأسوانَ لم يترك له الحرصُ معلما

حللتُ محلاً يقصرُ البرقُ دونه　　ويعجزُ عنه الطيفُ أن يتجشما[٥]

أما قول ذي الرمة :

رمتني من بالهوى رميَ ممُضعٍ　　من الوحش لوطٍ لم تقعه الأوانسُ

بعينين نجلاوين لم يجرِ منهما　　ضمانٌ وجيدٌ حُليّ الدّر شامسُ

فيجعله أبو هلال مثالاً على الكلام الذي لاحظ له من الاختيار ويصفه أبو هلال بأنه كلام فج غليظ، ووخم ثقيل[٦].

والسبب في مزج الصفو بالكدر ، واستعمال الوحشي من اللفظ عند أبي هلال هو التفريط في التماس علم البلاغة وفي هذا المعرض يذكر بيتي ابن جحدر :

حلفتُ بما ارقلت حوله　　همرجلة خلفها شيظمُ

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٥١

(٢) السابق: ١٥٢

(٣) ذاته: ٦٧

(٤) هو دعبل بن علي من بني خزاعة هجا العباسيين، كان شاعرا متقدماً مطبوعاً، له مدائح كثيرة في آل البيت ينظر في اخباره معجم الأدباء ١١: ١٠٣-١١٠

(٥) كتاب الصناعتين: ١٧٢

(٦) السابق: ٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما شبرقت من تنوفية　　بها من وحي الجن زيزيم[١]

بل إن أبا هلال يمايز ويوازن بين البيتين في القصيدة الواحدة إذ يرى الأول فصيحا بليغاً ويرى الثاني بليغاً وليس فصيحاً ويلوح لي هنا أن القضية ذوقية محضة إذ لا يعلل أبو هلال لماذا ارتأى هذا الحكم ويضرب مثالاً على ذلك ما أنشده أبو أحمد عن أبي بكر الصولي[٢] عن ابراهيم بن العباس:

تمرُّ الصبا صفحا بساكنة الفضا　　ويصوغُ قلبي أن يَهُبَّ هبوبها

قريبة عهدٍ بالحبيب وإنّما　　هوى كلّ نفسٍ حيث حلّ حبيبها[٣]

ويبدو أبو هلال حازما إذ يفضل السكوت على أن يكون اللفظ فاضلاً عن المعنى وذلك لدى توقفه عند بيتي عروة بن أذينة:

واسقِ العدوّ بكأسه واعلم له　　بالغيب أن قد كان قبلُ سقا لها

واجزِ الكرامةَ من ترى أن لو له　　يوماً بذلتَ كرامةً لجزالها

ذلك أن أبا هلال يرى أن المعنى محصور تحت ثلاث كلمات: أجز كلا بفعله[٤].

يأتي النقد على بيتين عند أبي هلال مثالاً على جيد التشبيه أو رديئه فمن جيد التشبيه قول كثيّر:

فقلتُ لها: يا عزُّ كلُّ مصيبة　　إذا وطنت يوماً لها النفس ذلّت

كأنّي أنادي صخرةً حين أعرضتْ　　من الصم لو تمشي بها العصم زلت

ويعلّق أبو هلال: «فشبه المرأة عند السكوت والتغافل بالصخرة[٥] ومن بعيد التشبيه قول إعرابي:

وما زلت ترجو نيل سلمى ووِدها　　وتبعد حتى أبيض منك المسايح

ملا حاجبيك الشيبُ حتى كأنه　　ظباء جرت منها سنيح وبارحُ

ويعلق أبو هلال على ذلك قائلا: «فشبّه شعرات بيضاً في حاجبيه بظباء سوانح وبوارح[٦].

ويجعل أبو هلال البيتين التاليين - وهما لأبي الشيص[٧] من بارد التشبيه:

---

(١) كتاب الصناعتين. ٢

(٢) هو محمد بن يحيى بن العباس، برع في اللغة اجتمع بالمبرد والبحتري سنة ٢٨٥ هـ وله كتاب: أخبار أبي تمام، وأخبار البحتري، ينظر في أخباره الفهرست ١٥٠ ـ ١٥١، تاريخ بغداد ٤٢٧ ـ ٤٣٢، معجم الأدباء ١٩ ـ ١٠٩ ـ ١١١.

(٣) كتاب الصناعتين: ٩

(٤) ذاته: ٣٥

(٥) ذاته: ٧١

(٦) ذاته: ٢٥٨

(٧) هو أبو جعفر محمد بن عبدالله الخزاعي كان صديقا لأبي نواس فقد بصره وقتله غلام لعقبة بن جعفر سنة ١٩٦هـ، كان سهل الشعر، ينظر طبقات ابن المعتز ٧٢ ـ ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وناعسٍ لو يذوق الحبّ ما نعسا　　بلى عسى أن يرى طيف الحبيب عسى

وللهوى جرَسٌ ينفي الرّقاد به　　فكلمّا كدتُ أغفى حركَ الجرسا[١]

ويشير أبو هلال ألى نوع ردىء من التشبيه جاء في أشعار المحدثين وهو ما يرى العيانُ بما يُنال بالفكر ويضرب على ذلك مثال قول لشاعر:

وندمانٍ سيقن الرّاح صرفا　　وأفقُ الليل مرتفع السجُوف

صفت وصفت زجاجتها عليها　　كمعنى دق في ذهن لطيف[٢]

وأذ يستشهد أبو هلال على مقاييسه للشعر لا ينسى أن يستشهد بشعره فيضرب مثالاً من أبيات على تقريب المعنى البعيد بأيسر الخطاب:

اسم التفرّق بيْنٌ　　لكنّ معناه موتُ

وجداننا كلّ شيء　　إذ تباعدت فوت[٣]

وعند الحديث عن أعلى مراتب البلاغة التي يرى أبو هلال انها الاحتجاج للمذموم حتى يخرج في معرض المحمود، وللمحمود حتى يصير في صورة المذموم التي أشرت اليها لدى نقد أبي هلال على بيت واحد.

يعود أبو هلال الى قول بعضهم في مدح الموت. وقد سبق الإشارة الى البيت الأول:

قد قلتُ إذ مدحوا الحياة فأكثروا　　في الموت ألفُ فضيلة لا تُعرفُ

فيه أمان لقائه بلقائه　　وفراقُ كلّ معاشر لا ينصف

ويردف أبو هلال قائلا: «فالمتمكن من نفسه يضع لسانه حيث يريد»[٤].

وقد يكون البيتان مثالاً على حسن الأخذ كقول الشاعر:

منع البقاء تقلّبُ الشمس　　وطلوعها من حيثُ لا تمسي

يجري على كبد السمّا كما　　يجري حمامُ الموتِ في النفس[٥]

أو يكونان مثالاً على قبح لأخذ من ذلك قول الحسن بن وهب:

أراني البدرُ سُنتها عشاءً　　فلما أزمع البدرُ الأفولا

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٤٢

(٢) ذاته: ١٠٨

(٣) ذاته: ٤٧

(٤) ذاته: ٥٤

(٥) ذاته: ٢٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أرتنيه لسنـــتها فكانت من البدر المنوّر لي بديلا[١]

أخذه من قول الأعرابي الذي اجتمع مع عشيق له في بعض الليالي، اجتمعتُ معها في ظلمة الليل، وكان البدر يرينيها، فلما غاب أرتنيه . ويعلق أبو هلال على قول ابن وهب «فأطال الكلام، وجعل المعنى في بيتين وكرّر السنّة والبدر»[٢] .

قد يأتي البيتان ـ كما هو الشأن في البيت الواحد ـ عند أبي هلال مثالاً على نوع من أنواع البديع من ذلك:

أ. التضمين الذي يعرّفه أبو هلال بأنّه استعارة الأنصاف من الأبيات من شعر الآخرين وإدخاله في أشعارنا كقول الشاعر:

إذا دلّه عزمَ على الحزم لم يقلْ غداً غدُها إنْ لم تعقها العوائق

ولكنه ماضٍ على عَزم يومَـهِ فيفعلُ ما يرضاه خلقٌ وخالقُ

ويشير أبو هلال إلى أنّ الشطر الثاني من البيت الأول مضمّن[٣] .

ب ـ المساواة ويضرب أبو هلال على ذلك مثالاً من قول الشاعر:

أهابُك إجلالا وما بك قدرةٌ عليَ ولكنْ ملءُ عينٍ حبيبُها

وما هجرتك النفسُ أنّك عندَها قليلٌ ولكنْ قلّ منك نصيبُها[٤]

جـ ـ الإيجار كقول الشاعر.

لا يرفضون إذا جرت مشافِرهم ولا ترى مثلُهم في الطعن ميّالا

ويفشلون إذا نادى ربيئهم ألا أركبنّ فقد آنستُ ابطالا

ويجعله أبو هلال مثالا على الإيجاز القبيح[٥] .

٤ـ التطبيق وذلك كقول الشاعر:

رمى الحدثانُ نسوة آل حربٍ بمقدارٍ سمدنَ له سمورا

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٣٢

(٢) السابق والصفحة ذاتها

(٣) ذاته: ٣٦

(٤) ذاته: ١٨٠

(٥) ذاته: ١٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فردَ شعورهنّ السودَ بيضاً ورَدّ وجوههنّ البيض سودا[١]

وقد يأتي البيتان مثالاً على حسن الابتداء كقول الشاعر:

أنعى فتى الجود الى الجود ما مثل من أنعى بموجود

أنعى فتى مصّ الثرى بعده بقية الماء من العودِ[٢]

وعوداً الى صفات اللّفظ والمعنى يضرب أبو هلال قول الشاعر:

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا سوى أن يقولوا إنني لك عاشقُ

أجل صدق الواشون أنت حبيبةٌ إليّ وإنْ لم يصفُ منك الخلائقُ

مثالاً على كلام عار من العيب وفيه الجزالة والسهولة، وجودة الصنعة[٣] أما تقريب المعنى البعيد - عند أبي هلال - بأن يعمد الشاعر إلى المعنى اللطيف فيكشفه، وينفي الشواغل عنه، فيفهمه السامع من غير فكر فيه، وتدبّر له، ويضرب على ذلك مثالاً قول الشاعر:

لم ندرِ ما الدّنيا وما طيبها وحسنها حتى رأيناها

أنك لو ابصرتها ساعة أجللتها أن تتمناها[٤]

ويضرب مثالاً قول الفند الزماني[٥] على المعنى الصائب، واللفظ البارد والفاتر - والفاتر شرٌّ من البارد في عُرف أبي هلال:

أيا تملك ما تملِ وذات الطوق والحجل

ذريني وذري عذلي فإن العذل كالقتل[٦]

ويضرب مثالاً على الشعر البارد المستهجن الذي قد يكون صائب المعنى ولكنه بارد اللفظ من قول أبي العتاهية:

مات واللهِ سعيدٌ بن وهبِ رحم اللهُ سعيدَ بن وهب

يا أبا عثمان أبكيت عيني يا أبا عثمان أوجعت قلبي

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢١٢

(٢) السابق: ٤٣٣

(٣) ذاته: ٤٢

(٤) ذاته: ٤٧

(٥) هو الفند الزماني واسمه شهل بن شيبان بن مالك من بني بكر من وائل من أهل اليمامة شهد حرب البسوس ونصر قومه على تغلب، شعره سهل عذب توفي ٩٢ق.هـ أخباره في الاغاني ٢٠ ١٤٣. ١٤٤.

(٦) كتاب الصناعتين: ٥٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعلق قائلاً : إذ لا يكتفي بالبيتين بل يحكم على شعر أبي العتاهية جملة «والبارد في شعر أبي العتاهية كثير[١] .

جـ- نقد علي مجموعة أبيات:

يضرب أبو هلال مثالاً على شعر سهل اللفظ، مكشوف المعنى ويرى أبو هلال أنّه من جملة الردىء وهو المعنى المستهلك القائم على الصورة المادية المنظورة (ستة أبيات):

يا ربّ قلّ صبري وضاق بالحب صدري

واشتدّ شوقي ووجدي وسيدي ليس يدري

مغفلٌ عن عذابي وليس يرحم ضرّي[٢]

تأتي مجموعة الأبيات عند أبي هلال مثالاً على ما عري من العيب وتضمن الجزالة والسهولة وجودة الصنعة كقول الشاعر:

حلالٌ لليلى أن تروع فؤاده بهجر ومغفورٌ لليلى ذنوبها

تطلعّ من نفسي لليلى نوازع عوارف أنّ قد قل منك نصيبها

وزالت زوال الشمس عن مستقرها فمن مخبري في أي أرض غروبها

والكلام المختار عنده الذي يحسن بسلاسته وسهولته ونصاعته وتخيّر لفظه وإصابة معناه... الخ

ويضرب مثالاً من قول معن بن أوس[٣] :

لعمرك ما أهويت كفي لريبة ولا حملتني نحو فاحشة رجلي (خمسة ابيات)

وقول الآخر:

ذريني أسير في البلاد لعلني أصيب غنى فيه لذي الحق محملُ[٤] (٣ أبيات)

ويضرب أبو هلال مثالاً على الكلام السهل الممتنع قول العباس بن الأحنف:

إليكَ أشكو ربّ ما حلّ بي من صدّ هذا التائه المعجب

إنْ قال لم يفعل وإن سيل لم يبذل وان عوتب لم يعتب

---

(١) كتاب الصناعتين : ٦٠

(٢) السابق: ٦٤

(٣) هو معن بن أوس بن نصر من بني ربيعة، اشترك في الفتنة بين عثمان وعلي، تكسب بمديحه نفراً من الصحابة، كان حسن الكلام، فخم المعاني ت ٦٤هـ ينظر بروكلمان، الملحق ١ ٧٢، تاريخ الأدب العربي ، جرجي زيدان، ١: ١٨٤.

(٤) كتاب الصناعتين. ٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صبٌّ بعصياني ولو قال لي لا تشرب الباردَ لم أشربِ[١]

ويروي أبو هلال عن ابراهيم بن العباس - وهو ابن أخت عباس بن الأحنف - قوله : «هذا والله الشعر الحسن المعنى، السهل اللفظ، العذب المستمع، القليل النظير العزيزُ الشبيه، المُطمع الممتنع، البعيد مع قربه، الصعب في سهولته، قال فجعلنا نقول: هذا الكلام والله أبلغ من شعره»[٢]

ومن صفات الكلام - عنده - أن يكون جزلاً مطبوعا ويضرب على ذلك قول ابن وهب:

ما زال يلثمني مراشفه ويعلّني الأبريق والقدح[٣] (٥ أبيات)

ومن صفات الكلام أيضاً أن يكون سهلاً مختاراً وذلك بأن يكون جيداً ومطبوعاً كقول الشاعر:

صرفتَ القلبَ فانصرفا ولم ترعَ الذي سلفا[٤]

وقول الآخر:

أما والحلق السود على سالفة الخشف[٥] (٣ ابيات)

وأجزل من ذلك قول المرار الفقعسي:

فقال يدير الموت في مرجحنّةٍ نسفّ العوالي وسطها وتشول[٥] (٧ أبيات)

ويعلق أبو هلال : «فهذا وإن لم يكن من كلام العامة فإنهم يعرفون الغرض فيه. ويقفون على أكثر معانيه لحسن ترتيبه وجودة نسجه ويضرب أبو هلال مثالا على كلام مستوي النظم ملتئم الرّصف كقول ليلى بنت طريف:

أيا شجر الخابور مالكَ مورقا كأنك لم تحزن على ابن طريف[٦] (٥ أبيات)

تأتي مجموعة الأبيات عند أبي هلال في بعض المواضع دليلاً على صفات معينة للكلام كقول عبيد الله بن عبدالله بن طاهر:

أشارت بأطراف البنان المخضب وضنّت بما تحت النقاب المكتّب

وعضت على تفاحة في يمينها بذي أُشرٍ عَذب المذاقةِ أشنب

---

(١) كتاب الصناعتين: ٥٦ والأبيات في ديوان ابن الأحنف : ٢٤

(٢) السابق: ٦١

(٣) ذاته : ٦٣

(٤) ذاته: ٢١٥

(٥) ذاته: ٦٤

(٥) ذاته والصفحة ذاتها

(٦) ذاته: ١٦٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه الإبيات يجعلها أبو هلال دليلاً على تخيّر الألفاظ والتئام الكلام وسهولة الحروف، ويعلق أبو هلال على هذه الأبيات قائلا: «فهذا أجود شعر شبكا وأشده التئاماً وأكثره طلاوة وماء[١]. وعلى المسألة نفسها يضرب أبو هلال أمثلة من قول أخت عمرو ذي الكلب[٢] وقول أبي النجم[٣].

وقد تأتي مجموعة الأبيات أحيانا للتدليل على أمر يعلّمه أبو هلال للشاعر فإذا دعت الضرورة الى امتصاص خبر يرى أبن هلال أن الشاعر ينبغي أن يتحرى الصدّق ويختار طريقه ليسهل عليه حكايته، واختيار قافية تعينه على ذلك كقول النابغة:

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام شراعٍ وارد الثمد[٤]

إذ يعلق أبو هلال «فهذا أجودُ ما يذكرُ في هذا الباب، وأصعب ما رامه شاعر فيه، لأنه عمد الى حساب دقيق، فادرك مشروحا ملخصاً، وحكاه حكاية صادقة، ولما احتاج إلى أن يذكر العدد، والزيادة والثمد بنى الكلام على قافية فاصلة الدال فسّهل عليه طريقه واطّرد سبيله[٥].

وعوداً الى مسألة «أن المنظوم الجيّد ما خرج مخرج المنثور في سلاسته وسهولته واستوائه وقلة ضروراته، ويضرب على ذلك قوله بعض المحدثين:

وقوفك تحت ظلال السيوف أقرَّ الخلافة في دارها[٦]

ومن صفات اللفظ المذمومة «الحشو» ويضرب على ذلك قول الأعرابي:

أبعدَ بني بكر أؤمل مقبلا من الدَّهر أو آس على إثر مدبر

وليس وراء الفوت شيء يرده عليك إذا ولىَ سوى الصبر فاصبر[٧]

أولاده بنو خير وشرّ كليهما جميعاً ومعروف أريد ومبكر

ويرى أبو هلال أنّ قوله «أريد» حشو وزيادة أمّا قوله «كليهما» فيرى أبو هلال انه يكاد يكون حشوا لكن ليس به بأس، ويرى أن باقي الكلام متوازن الألفاظ والمعاني ومعنى التوازن ـ كما يظهر من قوله ـ ألا يكون فيه زيادة ولا نقصان ولا يكتفي أبو هلال بالتعليق على هذه الأبيات فقط بل يعطي رأيا في الكلام عموماً

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٤١

(٢) السابق: ١٤٢

(٣) ذاته: ١٤٦

(٤) ذاته: ١٤٧ (سبق الإشارة إليه في صفحات سابقة) والبيت في ديوان النابغة: ٢٢.

(٥) ذاته: ١٤٨

(٦) ذاته: ١٦٦

(٧) ذاته: ٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذ يرى أن هذا الصنف ـ المتوازن ـ كثير في الكلام[١]. ويبدو أبو هلال هنا أثر توقفاً عند النصوص إذ يعطي رأيا في الألفاظ والأبيات والكلام بشكل عام.

ويعود أبو هلال ليضرب مثالا على كلام سلس سَهل يخرج في غير تكلف، وله ماء ورواء وذلك قول أشجع[٢]:

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامُ نشرت عليه جمالها الأيامُ[٣] (٤ أبيات)

وقد تأتي مجموعة الأبيات مثالاً على نوع في البديع كقول جحظه وهو مثال على التضمين:

أصبحتُ بين معاشر هجروا الندّى وتقبلوا الأخلاق عن أسلافهم

قومٌ أحاولُ نيلهم فكأنّما حاولتُ نتفَ الشعر من آنافهم

هات اسقينها بالكبير وغنّني «ذهب الذين يعاشُ في أكنافهم»[٤]

ولا يشير أبو هلال الى الأبيات التي ضمن جحظه أبيات منها.

وقد تأتي مجموعة الأبيات مثالاً على قبح الأخذ وذلك كقول عبدالصمد بن المعذل في قوله:

لمّا رأيتُ البدر في أفق السماء وقد تعلىّ

وجه الحبيب إذا بدا وقفا الحبيب إذا تولى (٤ أبيات)

ويشير أبو هلال إلى أبيات ابن الرومي التي أخذت منها هذه الأبيات[٥]

وعوداً الى صفات اللفظ والمعنى يورد أبو هلال قول الشاعر:

ولمّا قضينا من منى كلّ حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على حُدب المهارى رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الحديث بيننا وسالت بأعناق المطيّ الأباطحُ

ويعلق أبو هلال قائلا: «وليس تحت هذه الألفاظ كبير معنى، وهي رائقة معجبة»، ويجعل أبو هلال هذه الأبيات دليلا على الكلام الجيد الذي يصفه بالرائع النادر وإن كان معناه وسطاً إلا أن لفظه حلو

---

(١) كتاب الصناعتين: ٤٨

(٢) هو أشجع بن عمرو السلمي، اتصل بجعفر البرمكي ثم بالرشيد، كان من فحول الشعراء، يجري شعره في اللفظ الجزل والتركيب المتين، ينظر في اخباره العمدة، ١: ١٧٩، ٢٥٥.

(٣) اخبار البحتري ١٧٢، ١٧٣، الموشح: ٢٩٥

(٤) كتاب الصناعتين: ٣٧

(٥) ذاته: ٢٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عذب، وسلس سهل[١] على أنه ينبغي التنبه إلى الجماليات في هذه الأبيات التي لم يتنبه لها القدماء على ما سيأتي في الفصل الأخير من هذا البحث.

تأتي مجموعة الأبيات مثالاً على نوع من التشبيه فيضرب أبو هلال مثالا من ٣ أبيات على معنى نقله أبو هلال من النثر الى الشعر:

ألا إنّما النعمى تجازى بمثلها إذا كان مسداها الى ما جد حُرَّ

فأمّا إذا كانت الى غير ماجدٍ فقد ذهبٍ في غير اجر ولا شُكر

إذا المرءُ ألقى في السباخ بذوره أضاع فلم يرجع بزرع ولا بذر[٢]

أحياناً تأتي مجموعة الأبيات للدلالة على معنى معين يريده الشاعر فيورد أبو هلال الأبيات التالية على معنى (توقع نقصاً إذا قيل تم).

ما خير عيش صفوه يكدّره لا بدَّ ان يشكوهُ من يشكرُه

والمرءُ ينسى والمنايا تذكرُه يميته بقاؤه فيقبره

وكسره منه الذي لا يجبرهُ يطويه من مداه ما لا ينشره

في كل مجرى نفس مكرره يهدم من عمرك ما لا يعمره[٣]

ويضرب أمثلة أخرى.

د - النقد على الشعر الجاهلي:

لعلّ أول ما يطالعنا ونحن نتناول الشعر الجاهلي في «الصناعتين» قضيتان: الأولى موقف أبي هلال من الشعر القديم والمحدث والتي سبق أن أشرت إليها عند حديثي عن قضية «اللفظ والمعنى» في صفحات سابقة من هذا البحث.

والقضية الثانية أننا نجد رداً على اتهامات بعض الدارسين من أننا لا نجد عند الناقد العربي القديم نقداً على قصيدة إلاّ عند الباقلاني الذي نقد قصيدة امرىء القيس بشكل لا يضفي على الشعر الجاهلي قدسية كما عُدّ عمله هذا الأول من نوعه في مجال النقد الأدبي المفصل[٤].

أمّا القضية الأولى - موقفه من القديم والمحدث - فيتصل بها حديثه عن خطأ المعنى وتنافر الكلام وقبح

---

(١) كتاب الصناعتين: ٥٩

(٢) ذاته: ٢٤٣، وما بعدها.

(٣) ذاته: ٣٩

(٤) محمد عبدالمنعم خفاجي، موقف النقاد من الشعر الجاهلي، (القاهر، دار الفكر العربي، ١٩٥٠): ١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأخذ ، وفساد التشبيه وما إلى ذلك من القضايا التي نلمس من خلالها أن أبا هلال لم يقدس القديم لقدمه جرياً على منهج ابن قتيبة من قبل. ولم يرفض الحديث لحداثته.

يضرب أبو هلال مثالاً من شعر أبي ذؤيب على خطأ المعني:

فلا يهنأ الواشون أن قد هجرتها وأظلمُ دوني ليلُها ونهارُها

إذ يرى أبو هلال أن هذا من المقلوب إذ كان ينبغي أن يقول:

وأظلم دونها ليلي ونهاري[١] .

وقول طرفة بن العبد في وصف ذنب البعير:

كأن جناحي مضرجي تكنّفا حفافيه شكا في العسيب بمسرد

ويعلق أبو هلال «وإنما توصف النجائب بخفة الذنب، وجعله هذا كثيفا طويلاً عريضاً»[٢]

أما قول عامر بن الطفيل:

تناولته فاحتل سيفي ذُبابهُ شراشيفه لعليا وَجَدّ المعاصما

فيعلق عليه أبو هلال بقوله: «وهذا البيت على غاية التكلف»[٣] .

وعن بيت خفاف بن ندبة:

إن تُعرضي وتضني بالنّوال لنا تواصلين إذا واصلت أمثالي

يقول أبو هلال: «وكان ينبغي أن يقول: إن تضنّي بالنوال علينا، على أن البيت كلّه مضطرب النسج»[٤] .

يذكر أبو هلال البيتين التاليين لعمرو بن معد يكرب:

وقد علمت سلمى وحاراتها ما قطر الفارسَ إلاّ أنا

شككت بالرّمح سرابيله والخيل تعدو زيما حولنا[٥]

يضرب هذين البيتين مثالا للمعنى الصواب، واللفظ البارد الفاتر، فلذلك جاء الكلامُ هنا مستهجناً، مذموماً، مردوداً[٦] ، وفي ذلك إشارة واضحة ، وتنبّه ذكيّ الى دور العاطفة في الشعر.

وهذه أوصاف جديدة للألفاظ مما جاء به العسكري، ولعله غير مسبوق اليها، ويذكر أبو هلال أن

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٩٣

(٢) ذاته: ٩٣

(٣) ذاته: ١٠٩

(٤) ذاته والصفحة ذاتها

(٥) ذاته: ٥٩

(٦) ذاته والصفحة ذاتها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرواة قد اخذوا على زهير قوله:

نقيّ تقي لم يكثـر غنيـمة بنكهة ذي القربى ولا بحقلد[١]

وقالوا ليس في لفظ زهير أنكر منه ذلك أنّ أبا هلال يرى أن الألفاظ ينبغي ألاّ تنقح كل التنقيح، وتنقيح الألفاظ عنده ان يبنى منه بناء لا يكثر في الاستعمال، ويدخل في تنقيح الألفاظ استعمال وحشيّه وترك سلسه وسهله[٢]. أما فصيح اللفظ وجيد الرّصف عند أبي هلال فقد توافر في أبيات الشنفري:

أطيل مطال الجوع حتى اميته وأضرب عنه القلب صفحاً فيذهلُ

ولولا اجتناب العارِ لم يُلفَ مشرب يعاش به إلاّ لديّ ومأكلُ

ولكن نفساً مرةً ما تقيمني على الضيم إلاّ ريثما أتحولُ[٣]

ولا يرى أبو هلال لقول النابغة:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعثٍ أيّ الرّجال المهذّب[٤]

نظيراً في كلام العرب ويورد قول بعضهم إنّ نظيره قول أوس بن حجر:

ولست بخابىء أبداً طعاماً حِذارَ غدٍ، لكل غدٍ طعامُ

ويرى أن هذا البيت وإن كان نظيراً لسابقه في التأليف إلا أنّه دونه لما تكرر فيه من لفظ «غير» والملاحظ هنا أن أبا هلال لم يعلل رأيه في البيت الأول وإن كان قد أشار الى قيمة اللفظ عند حديثه عن بيت أوس[٥].

وعكس ذلك قول «تأبط شرا»:

إذا ما تركتُ صاحبي لثلاثة أو اثنين مثلينا فلا أبتُ آمنا (٧ أبيات)

إذ يجعله أبو هلال مثالاً على كلام جزل ردىء فج ينبغي ترك استعماله ويصفه بأنه جلف، فاسد النسج، قبيح الرّصف[٦]. ويضرب مثالا على فساد المعنى قول امرىء القيس:

أغرّك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل

يقول أبو هلال: «وإذا لم يغررها هذا الحال منه فما الذي يغرّها!! وليس للمحتج عنه أن يقول: إنما عنى

---

(١) كتاب الصناعتين: ٣٠، ديوانه: ٢٣٤.

(٢) السابق والصفحة ذاتها

(٣) السابق: ٥٦

(٤) ذاته: ٥٧

(٥) ذاته. ٥٧

(٦) ذاته: ٦٧، ٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالقتل ها هنا التبريح. فإن الذي يلزمه من الهجنة مع ذكر القتل، يلزمه أيضاً مع ذكر التبريح[١]. وهناك أمثلة أخرى على ما أخذ على امرىء القيس، والمحتج هنا هو البطليوسي أحد شراح ديوانه كما يقول المحققان للصناعتين[٢].

أما الكلام السهل السلس فهو الذي يخرج من غير تكلف، ويعدّه أبو هلال من جملة الجيد الذي له رونق ليس في غيره كقول النمر بن تولب:

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة ... إنّ الجلوس مع العيالِ تبيحُ

والمـالُ فيـه تجلّـة ومهابـة ... والفقرُ فيه مذلة وقبوح[٣]

ويتصل بهذه القضية أيضا - عدم التعصب للقديم - أن أبا هلال يضرب أمثلة ليدلل على تفوق القدماء أو تقصيرهم من ذلك قول عمرو بن معد يكرب:

والضاربين بكل أبيض مرهف ... والطاعنين مجامع الأضغانِ[٤]

الذي أخذه البحتري فقصر عنه:

قومٌ ترى أرماحهم يوم الوغى ... مشغوفة بمواطن الكتمان[٥]

ومن النوع الثاني - تقصير الجاهلين عن المحدثين كقول كعب بن زهير:

لا يقع الطعن إلاّ في نحورهم ... وما لهم عن حياض الموت تهليل[٦]

إذ يرى أبو هلال أنّ هذا البيت دون ما تقدم وبعد ذلك ذكر أبياتاً لأبي تمام وآخرين تفوقوا في شعرهم على قول كعب[٧].

ويتصل بهذه المسألة أيضا حديثه عن حسن الابتداء وجيد التشبيه ورديئه وحسن الأخذ.

أما حسن الابتداءات في الجاهلية فيضرب عليه أبو هلال مثالاً لأوس بن حجر:

أيتها النفس أجملي جزعا ... إنّ الذي تحذرين قد وقعا[٨]

---

(١) كتاب الصناعتين: ٧٣، ٧٤

(٢) ذاته والصفحة ذاتها

(٣) ذاته: ١٧١

(٤) ذاته: ٢٣٤

(٥) ذاته: ٢٣٤.

(٦) ذاته: ٢٣٧

(٧) ذاته والصفحة ذاتها

(٨) ذاته: ٤٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر امرىء القيس إذ يقول: «وقد بكى امرؤ القيس واستبكى ووقف واستوقف، وذكر الحبيب والمنزل في نصف بيت وهو قوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل.

ويعلق على ذلك قائلا: فهو من أجود الابتداءات[١] ويضرب على ذلك أمثلة أخرى[٢].

وعندما يضرب قول «تأبط شراً» مثالاً على حسن المقطع في آخر قصيدته.

لتقرعنّ عليّ السنّ من ندمٍ إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقي

يعلق قائلا: «هذا البيت أجود بيت فيها لصفاء لفظه وحسن معناه[٣].

وأما جيد التشبيه فيضرب مثالاً قول امرىء القيس:

له أبطلا ظبي وساقا نعامةٍ وارخاءُ سرحان وتقريب تتفل

وهو نوع من التشبيه جاء بغير أداة ويعدّه أبو هلال من بديع التشبيه، ذلك أنه شبّه أربعة أشياء في بيت واحد أو قوله:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّاب والحشف البالي

الذي يجعله أبو هلال مثالاً على تشبيه الشيء بالشيء صورةً[٤].

ويرى أبو هلال أنه ليس أبلغ من قول الشاعر «أفانين جرى...» في بيت هو:

على سابح يعطيك قبل سؤاله أفانين جرى غير كزّ ولا وانٍ[٥]

ويجعله مثالاً على جيد التشبيه.

أما ردىء التشبيه فيضرب عليه أبو هلال قول الأعشى:

ويأمر لليحموم كلّ عشيةٍ بقتّ وتعليقٍ فقد كان يسبق[٦]

يعني باليحموم فرس الملك، يقول إنّه يأمر لفرسه كلّ عشيّة بقت ويرى أن هذا ليس مما يمدح به الملوك بل ولا رجل من خساس الجند، ويكون التشبيه قبيحاً إذا أُخرج الظاهر فيه الى الخافي، والمكشوف الى المستور، والكبير الى الصغير كقول النابغة:

---

(١) كتاب الصناعتين: ٤٣٣

(٢) ذاته: ٤٣٣

(٣) ذاته: ٤٤٤

(٤) ذاته والصفحة ذاتها

(٥) ذاته. ٧٤

(٦) ذاته: ٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تخدي بهم أدم كأنّ رحالها علقٌ أريق على متونِ صوارِ[١]

وفي مجال الأخذ يضرب أبو هلال قول لبيد:

فإنْ تجد من دون عدنان والداً ودونَ معد فلتزعك العواذل

الذي أخذه الحسن البصري وقال نثرا: «إن امرأ لم يعد بينه وبين ادم عليه السلام إلاّ أبا ميتاً لمعرق له في الموت»[٢].

ويقرر أبو هلال أنه ما يعرف للمتقدم معنى شريف إلا نازعه فيه المتأخر وطلب الشركة فيه معه إلا بيت عنترة:

وترى الذّباب بها يغنّي وحده هزجاً كفعل الشارب المترنمِ

غرِدا يحكُّ ذراعه بذراعه قدح المكبّ على الزّناد الأجذمِ

ويعلّق قائلاً: فإنّه ما نوزع في هذا المعنى على جودته وقد رامه بعض المجيدين فافتضح[٣].

أما نقد القصيدة. وهو القضية المركزية الثانية التي تطالعنا عند دراسة الشعر الجاهلي في الصناعتين:

يرى أبو هلال ان القصيدة لا تكاد تستوي أبياتها في حسن التأليف، ولا بدّ ان تتخالف ويضرب على ذلك قول عبيد بن الأبرص[٤]:

وقد علا لمتي شيبٌ فودعني منه الغواني وداعَ الصارم القالي

يذكر خمسة أبيات أخرى من القصيدة كلّ على حدة، ومما هو رديء في رأيه ولا خير فيه. من القصيدة ذاتها.:

بان الشباب فآلى لا يُلمّ بنا واحتلّ بي من مشيب كل محلال

فبتُّ ألعبها طوراً وتلعبني ثم انصرفتُ وهي مني على بال

يقول أبو هلال: قوله: فاحتل بي من مشيب كل محلال بغيض خارجٌ عن طريقة الاستعمال، وزبغض منه قوله: «وهي مني على بال» أما قوله:

وكبش ملمومة بادٍ نواجذها شهباءَ ذات سرابيل وأبطال

يشرح معنى السرابيل بأنها الدروع ثم يعلق: «فلو وضع السيوف موضع الدروع لكان أجود».

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٥٧

(٢) ذاته: ٢٢٠

(٣) ذاته: ٢٢٣

(٤) ذاته: ١٦٦ وما بعدها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما قوله:

أو جرتُ جفرته خِرصا فمال به كما انثنى خضد من ناعم الضال

ويرى أن النصف الثاني أكثر ماء من النصف الاول.

وقوله:

وقهوةٍ كرضاب المسك طال بها في دنّها كرٌّ حولٍ بعدَ أحوالِ

ويرى أبو هلال انّ هذا البيت متوسط.

أما قوله:

باكرتها قبل أن يبدو الصباح لنا في بيت منهمر الكفير مفضال

فيرى أبو هلال ان النصف الثاني أجود من النصف الأول.

ثم يورد أبو هلال ثلاثة أبيات من قصيدة أخرى لعبيد بن الأبرص[1].

أمّا إذا دعيت نزال فأنهم يجثون للركبات في الأبدان

ويرى أنه ردىء الرصف.

أما قوله:

فخلدت بعدهم ولستُ بخالدٍ والدهرُ ذو غيرٍ وذو ألوانِ

ويراه أبو هلال متوسطاً.

وأما قوله:

إلاّ لأعلم ما جهلتُ بعقبهم وتذكري ما فات أيّ أوان

فيرى أبو هلال انه «مختل النظم، ومعناه لست بخالدٍ إلا لأعلم ما جهلت، وتذكري ما فات، أي أوان كان.

وإننا لنجد مثالاً على نقد القصيدة عندما يضرب مثالاً من قول النمر بن تولب على شعر جيد السبّك، حسن الرصف:

لعمري لقد أنكرتُ نفسي ورابني مع الشيب أبدالي التي أتبدلُ

إلى أن يصل الى قوله:

يردُ الفتى بعد اعتدال وصحة ينوءُ إذا رامَ القيامَ ويحملُ

يرى أبو هلال أن هذه الأبيات حسنة الرصف، جيدة السبك.

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما قوله:

فلا الجارة الدنيا لها تلحينها ولا الضيفُ فيها إنْ أناخ محوّل

يقول فالنصف الأول مختل، لأنه خالف فيه وجه الاستعمال ووجهه أن يقول: فهل لا تلحي الجارة الدنيا، أي القريبة أما وجه الاستعمال الذي خالفه الشاعر فهو ادخال «نون التوكيد» على قوله «تلحينها».

أما قوله:

إذا هتكت أطناب بيت وأهله بمعطنها لم يُوردوا الماء قيلوا

ووجه الكلام ان يقول: إذا دنت أبلنا من حي ولم ترد إبلهم الماء قيلوا أبلنا والقيل: شرب الماء نصف النهار.

وأما قوله:

وما قمعنا فيه الوطاب وحولنا بيوتٌ علينا كلها فوه مُقبل

فيعلق أبو هلال قائلا: «ووجه الكلام أن يقول: لسنا نحقن اللبن فنجعل الأقماع في الوطاب، لأن حولنا بيوت أفواههم مقبلة علينا، يرجون خيرنا، فاضطرب نظم هذه الأبيات من وجه الاستعمال، أما قوله:

رأت أُمنا كيصاً يلفف رطبه إلى الأنس البادين فهو مزقل

فقالت: فلانٌ قد أغاث عياله وأودى عيالُ آخرون فهزلوا

ألم يكُ ولدانٌ أعانوا ومجلس قريب فيجري إذ يكف ويحملُ

يقول: «فهذه الأبيات سمجة الرّصف، لأن الفصيح إذا أراد ان يعبّر عن هذه المعاني، ولم يسامح نفسه عبّر عنها بخلاف ذلك وكان القوم لا ينتقد عليهم، فكانوا يسامحون أنفسهم في الإساءة[١]

موقف أبي هلال من أغراض الشعر:

يرى أبو هلال أن أغراض الشعر أربعة: المديح والهجاء والوصف، والغزل، ويذكر أنه ترك الحديث في المراثي والفخر، وذلك لأنهما داخلان في المديح، ويذكر ابو هلال أنّ للشعر أغراضاً تختص به دون النثر كالفخر والغزل.[٢].

١ـ الغزل:

يقدّم أبوهلال رأيا في مقدمة القصيدة إذ يذكر أن العرب كانت تبتدىء بذكر الدّيار، والبكاء عليها،

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٦٩

(٢) ذاته: ١٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والوجد لفراق ساكنيها، ثم إذا أرادت الخروج إلى معنى آخر قالت : فرغٌ ذا وسلَّ الهمّ عنك بكذا، كما قال :

ودع ذا وسلّ الهم عنك بحسرة ذمول إذا هام النهارُ وهجّرا[١]

أما النسيب الجيّد عند أبي هلال فهو ما ظهر منه التفاني في الصبابة، وقبول العذاب ، ومن العيوب في النسيب أن يظهر الشّاعرُ التجلدَ في الصبابة ، وينبغي أن يكون برّياً من دلائل الخشونة ، والجلادة، وإمارات الإباء والعزّة[٢].

ويستجاد التشبيب إذا تضمّن ذكر التشوّق، والتذكرَ لمعاهد الاحبة بهبوب الرياح، ولمع البروق، وما يجري مجراهما من ذكر الديار والآثار ويضرب أمثلة على ذلك كلّه ، كما ينبغي أن يكون دالاً على شدّة التحسر، والحنين ، والأسف ، وينبغي أن يظهر الرّغبة في الحبّ ، وليس التبرّم به[٣] .

يضرب ابو هلال مثالاً على سوء المنى قول كثيرّ، وهو ليس مختاراً في الغزل:

ألا ليتنا يا عزّ من غير ريبة بعيران نرعى في خلاء ونعرُبُ[٤]

ويكتفي أبو هلال بتعليق عزّة اذ يقول : فقالت له عزّة : لقد أردت بي الشقاء الطويل ، ومن المنى ما هو أوطأ من هذه الحال . فهذا من التمني المذموم[٥]

ويضرب مثالاً على الحيدّ من التمني قول مجنون بني عامر:

وما سرّني اني خليّ من الهوى ولو أن لي من بين شرق الى غربِ

فإن كان هذا الحب ذنبي اليكم فلا غفر الرحمن ذلك من ذنب[٦]

أما قول العرجي التالي فيعدّه ابو هلال من جملة الجيّد دون تعليل.

من ذكر ليلى وأي الارض ما سكنتْ ليلى فإني بتلك الأرض محتسب[٧]

ويأتي النقد على غرض النسيب عند أبي هلال. على شكل موازنة كما هو الحال عندما أنشد عبد الملك قول نصيب:

أهيم بدعدٍ ما حييتُ فإنْ أمت...

---

(١) كتاب الصناعتين:٤٥٢

(٢) ذاته ١٢٩

(٣) ذاته :١٣٠ وما بعدها

(٤) ذاته :٧٦

(٥) ذاته والصفحة ذاتها

(٦) ذاته :١١٢

(٧)ذاته : ١١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعدُ ابو هلال قول عمر بن ابي ربيعة من المعيب:

أومت بكفيْها من الهودج لولاك في ذا العامِ لم احججِ

انت الى مكة اخرجتني حباً ولولا انت لم أخرجِ[١]

ويعلل ابو هلال العيب بأن الإيماء لا ينبيء عن هذه المعاني كلّها أما قول نُصيب:

فإن تصلي أصلك وإن تعودي لهجر بعْدَ وصلك لا أبالي

ويعلل ابو هلال رأيه هذا بأن التجلّد من العاشق مذموم[٢]

ويختار أبو هلال بذائقة عالية معلّلاً رأيه في معظم الأحيان متجنباً استخدام أفعل التفضيل ما استطاع الى ذلك سبيلاً يقول:

فمن اجود ما قيل في الديار قول الأزديّ:

فلا تدع الارياح والقطرُ والبلى من الدّار إلاّ ما يشفُّ ويشغف[٣]

والحسن عند ابي هلال ينبغي أن يكون دالاً على الحنين، وشدّة الأسف، ويضرب على ذلك مثالاً:

وليست عشيات الحمى برواجع إليك ولكنْ خلِّ عينيك تدمعا

وأذكر أيام الحمى ثم انثني على كبدي من خشية أن تصدعا[٤]

وعلى الرغبة في الحب عند الناس، وعدم إظهار التبرّم يضرب مثالاً قول ابي صخر الهذلي:

فيا حبّها زدني جوى كلّ ليلة ويا سلوة الأيام موعدك الحشر[٥]

كذلك يرى أن النسيب الجيدّ ينبغي أن يكون فيه التدلهّ والتحيرّوذلك كقول الحكم الحصري:

تساهمَ ثوباها في الدرع رأدة وفي المرط لفاً وان ردفهُما عبلُ

فوالله ما ادرى أزيدت ملاحة وحسناً على النّسوان ام ليس لي عقل[٦]

وفي التشبيب يدعو ابو هلال الى تجنب الاسم البغيض مثل قول جرير ينشد بعض ملوك بني أمية

وتقول بَوْزع قد دببت على العصا هلاّ هزئت بغيرنا يا بَوْزعُ

---

(١) كتاب الصناعتين: ١١٤.

(٢) السابق :١١٥

(٣) ذاته :١٣٠

(٤) ذاته والصفحة ذاتها

(٥) ذاته :١٣١

(٦) ذاته والصفحة ذاتها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال له الملك : افسدتها ببوْزعَ[١]

ويوازن ابو هلال بين قول جنادة :

من حبّها اتمنى أن يُلاقيني　　من نحو بلدتها ناعٍ فينعاها

لكي يكون فراق لا لقاء له　　وتضمر النفس بأسا ثم سلاها

يعلقُ ابو هلال : فإذا تمنىّ المحبّ لحبيبته الموت فما عسى أن يتمنى المبغض لبغيضته، وشتان بين هذا وبين من يقول :

الا ليتنا عشنا جميعاً وكان بي　　من الواء ما لا يعرفُ الناسُ مابيا[٢]

يقول : فهذا اقرب الى الصواب ، ولو ان جنادة كان يتمنى وصلها ، ولقاءها لكان قد قضى وطراً من المنى، ولم تلزمه الهجنة.

ومن خطأ التشبيب عند ابي هلال قول الأعشى :

وما رابها من ريبة غير انها　　رأتْ لِمتّى شابت وشابت لداتيا

يقول ابو هلال : « واي ريبة عند امرأة أعظم من الشيب»[٣] وأرى انه تعليق يمسّ معنى البيت دون أن يمسّه فنياً يتناول ما في البيت من التحسر في العاطفة وجمال القافية وايقاعها الحزين.

وعكس ذلك عنده قول ابن المعتز :

لقد أبغضت نفسي في مشيبي　　فكيف تحبني الخودُ الكعاب[٤]

٢ـ المديح :

يضرب أبو هلال أمثلة على من أراد أن يمدح فهجا ، وكلّه يدخل في باب فساد المعنى ، من ذلك قول الأخطل في مدح سماك الأسدي اذ يقول :

نِعْم المجيرُ سماكاً من بني اسَد　　بالطّفّ اذ قتلت جيرانها مُضَرُ

كنتُ أحسبه قيناً وأنبوَه　　فاليوم طيّر عن اثوابه الشررُ[٥]

والملاحظ ان أبا هلال لا يري من العيب أن يناقض الشاعرُ نفسه بين بيتين . من ذلك قول يزيد بن مالك العامريّ :

---

(١) كتاب الصناعتين :١٥٢

(٢) ذاته :٧٧

(٣) ذاته :٨٣

(٤) ذاته ٨٤

(٥) ذاته :٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أكفُ الجهل عن حلماء قومي وأعرضُ عن كلام الجاهلينا

يقول ابو هلال : فأخبر أنه يحلم عن الجَهال ولا يعاقبهم ، ثم نقض ذلك في البيت الثاني فقال:

إذا رجلٌ تعرّض مستخفاً لنا بالجهل اوشك أن يحينا

فذكر انه كاد ان يفتك بمن جهل عليه وابو هلال في ذلك يخالف قدامة بن جعفر[١]

ويرى ابو هلال انه من عيوب المديح عدول المادح عن الفضائل التي تختص بالنّفس من العقل، والعفّة، والعدل، والشجاعة، الى ما يليق بأوصاف الجسم من الحسن والبهاء،والزينة، ويضرب على ذلك مثالاً قول عبدالله بن قيس الرّقيات[٢]في عبد الملك بن مروان.

يأتلقُ التاجُ فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

مغضب عبد الملك وقال : قد قلت في مصعب :

إنما مصعبٌ شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماءُ

فأعطيته المدح بكشف الغُمم وجلاء الظلم ، وأعطيتني من المدح ما لا فخر فيه وهو اعتدال التّاج فوق جبيني الذي هو كالذهب في النضارة[٣]

كذلك فإن أبا هلال لا يعدُ اليسر من صفات المدح ، فقد يكون الإنسان موسراً، ولكنه يقتر على غيره، ويمنع الحقَّ ويردُ السّائل، وينقل قول الاشجع السلمي:

يريدُ الملوكُ مدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع

وليس باوسعهم في الغنى ولكن معروفه اوسع[٤]

ويرى أن المرأة في المديح- لا توصف بأنها ولود ويرى ذلك من غير المختار لأن الناس اجمعوا- كما يقول ابو هلال- على ان نتاج الحيوانات الكريمة أعسر، وأولادها اقل ويروي قول الشاعر

بغاث الطير اكثرها فراخاً وأم الصقر مِقْلاتٌ نزور[٥]

ويعيب قول ايمن بن جزيم في بشر بن مروان:

---

(١) كتاب الصناعتين :٨٩ وقارن مع نقد الشعر :١٢٤

(٢) هو عبيد الله بن قيس الرقيات ، ولد سنة ١٢هـ في مكة كان من انصار الزبير ، برع في المديح والهجاء والغزل ينظر كتاب الصناعتين :٤٥٠، بروكلمان ٤٣:١ .الملحق ٧٨:١

(٣) كتاب الصناعتين:٩٨

(٤) ذاته :١٠٠

(٥) ذاته والصفحة ذاتها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإناً قد رأينا أم بشرٍ كأمِّ الأسدِ مذكاراً ولودا[١]

ومن عيب المديح سلب الممدوح بعض الصّفات المعنوية كقول عبيد الله بن الحويرث لبشر بن مروان:

اني رحلتُ الى عمرو لأعرفه إذ قيل بشر ولم أعدلْ به نشبا[٢]

يعلق ابو هلال «فذكر الممدوح، وسلبه النباهة ، وكان ينبغي ان يقول : ليعرفني، وعندما يصل ابو هلال الى قول عديّ بن الرّقاع يستنكره قائلاً :« والنادر العجب الذي لا شبه له قول عديّ بن الرقاع، وذكر الله سبحانه فقال:

وكفك سبطة وفداك غَمرٌ فأنتَ المرءُ تفعلُ ما تقولُ

فجعل الهه امرءاً، تعالى الله عما يقول[٣]

أحيانا يأتي المديح على شكل موازنة، ويكتفي ابو هلال بالرواية ويجعلها تحكم على نفسها دون تدخل منه. وذلك تلك الموازنة التي يرويها بين جرير والفرزدق، اذ اجتمعا عند الحجاج [٤]

أما قول امريء القيس:

أرانا موضعين لأمر غيب ويسخر بالطعام وبالشراب

عصافير وذبانٌ ودُودٌ وأجر من مجلخة الذئابِ

يقول ابو هلال:« وهذا وان لم يكن مستحيلاً، فهو على غاية القباحة في اللفظ وسوء التمثيل.[٥]

كذلك يضرب مثالاً على فساد المعنى في المديح من قول ابي تمام ، ويضرب أمثلة على جيّد المدح وشعر زهير والأعشى ، والحطيئة، والخنساء والبحتري[٦].

ويرى ابو هلال انه من الخطأ في المدح ان يأتي الشاعر بما لا يعرف كقول البحتري .

وجرّت على الايدي مجسة جسمه كذلك مُوج البحر ملتهب الوقدِ

ويعلقّ ابو هلال قائلاً :« وهذا غلط، لأن البحر غير ملتهب الموج، ولا متقد الماء، ولو كان متّقدا او ملتهباً لما أمكن ركوبه، وإنما أراد أن يعظمّ أمر الممدوح فجاء بما لا يعرفه[٧]

---

(١)كتاب الصناعتين: ١٠٠

(٢) ذاته والصفحة ذاتها

(٣) ذاته :١٠١

(٤) ذاته والصفحة ذاتها.

(٥) ذاته :١١١

(٦) ذاته :١٢١ وما بعدها.

(٧) ذاته :١٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما البارد من المديح فهو كقول ابي العتاهية لمّا مات المتوكل:

مات الخليفة ايها الثقلان

فقالوا ، جيدّ، نعي الخليفة الى الجنّ والانس في نصف بيت، فقال:

فكأنني أفطرت في رمضانَ

فضحكوا منه.

ويرى ابو هلال في مجال حديثه عن التضمين أن « أمدح المدح ما يكون بالتفضيل ، وهو ان يقول : فلا ن خير من فلان ، فلان أكرم من فلان فهو بذلك يحكم مقاييس الاخلاق والفضائل النفسية دون الجسدية.

ويورد سبعة ابيات من جيد المديح لزهير وهذا يدخل في باب نقد القصيدة - وإن كان ابو هلال يعطي رأيا عاما سريعاً يقول زهير:

هنالك أن يستخولوا المال يخولوا وان يُسألوا يُعطوا وإنْ ييسروا يَغْلوا [١]

يقول ابو هلال فوصفهم بحسن الصّفات، وحسن المقال، وتصديق القول بالفعل ، ثم وصفهم بحسن الوجوه ، ووصفهم جميعاً بالبرّ والفضل والعلم، والتضافر والتعاون. يعلق ابو هلال قائلاً: فلما آتاهم هذه الصفات النفيسة ذكر فضائل آبائهم فقال:

وما يكُ من خير أتوه فإنما توارثه آباءُ آبائهم قبلُ

وهل ينبتُ الخطيَّ إلاّ وشيجهُ وتُغرسُ إلا في منابتها النخلُ[٢]

ثم يضرب أمثلة اخرى على حسن المديح لعدد من الشعراء[٣]

يرى ابو هلال انه لا ينبغي ان يخلو المدح من مناقب الآباء الممدوح، وتقريظ من يُعرف به ، وينسب اليه، ويضرب مثالاً ما أنشده ابو الخطّاب للفضل بن يحيى:

وَجُدْ له يا بن أبي عليٍّ بنفحة من ملك سخيٍّ

فإنهَ عَوْدٌ علـي بَدِيّ فإنماً ألو سميٌّ بالولىٍّ

فقال الفضل ، بنفحة من نفح برمكيّ، فجعله كذلك[٤].

وينعي ابو هلال على النّابغة قوله:

رقاق النعال طيّب جُحزاتهم يحيَوّن بالرّيحان يوم السباسب[٥]

---

(١) كتاب الصناعتين :١٠١

(٢) ذاته:١٠٢

(٣) ذاته :١٠٢ وما بعدها

(٤) ذاته :١٠٤

(٥) كتاب الصناعتين: ٣٥٣ ، ديوانه: ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول ابو هلال : يمدح بذلك ملوكاً بأنهم يحيون بالريحان يوم السباسب، ويوم السباسب يوم عيد لهم ، ومثل هذا لا يمدح به السوقة فضلا عن الملوك[١]. ويضرب أمثلة على من أراد ان يمدح فهجا ومن أراد ان يهجو فمدح[٢] ومعاني لا تعرف مقامات الناس[٣]

٣ـ الوصف:

يتوقف ابو هلال عند بيت المتلمسّ اذ يقول : « وربما سامح الشاعرُ نفسه في شيء فيعود عليه بعيب كبير . يقول المتلمس:

وقد أتناسى الهمَّ عند احتضاره بناجٍ عليه الصعيرية مكدم

يقول أبو هلال: والصيعرية سمةٌ للنوق، فجعلها للحمل، ويردف ابو هلال قائلاً « سمعت طرفة ينشدها،

فقال : استنوق الحمل، فضحك الناس ، وسارت مثلا..... [٤]

أما بيت الطرّماح:

يبدو تضمره البلادُ كأنهُ سيف على شرف يسلُّ ويغمدُ[٥]

فيرى ابو هلال انه غاية الحسن في الوصف[٦]

ويضرب ابو هلال مثالاً على خطأ الوصف قول كعب بن زهير.

ضخمٌ مقلدّها فعْمٌ مقيدّها[٧]

أما الخطأ فلان النجائب لا توصف بدّقة المذبح.

وأجود الوصف عند ابي هلال ـ ما استوعب اكثر معاني الموصوف حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه نصب عينيك ويضرب على ذلك مثالاً قول الشّماخ:

خَلتْ غير آثار الأراجيل ترتمي تقعقع في الآباط منها وفاضها[٨]

وقول يزيد بن عمرو الطائي:

---

(١) كتاب الصناعتين : ١١٠ والبيت في ديوانه: ١٢

(٢) ذاته : ٨٦، ٨٩

(٣) ذاته :٧٥

(٤) ذاته :٨٥، ٨٦

(٥) ذاته: ٨٥

(٦) ذاته والصفحة ذاتها

(٧) وعجزه : في خلقها عن بنات الفحل تفضيل. الصناعتين : ١٠٧

(٨)ذاته :١٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألا من رأي قومي كأن رجالهم نخيل أتاها عاصف فأمالها

يقول ابو هلال « فهذا التشبيه يصور لك القتلى مصروعين .[١]

وأرى أن جيد الوصف ما ترك على المعاني ظلالاً تشحذ فكر القاريء وخياله، فإذا كان الوصف يستوعب كلّ المعاني ويصور الموصوف كأنه رأيُ العين فماذا أبقى للخيال؟؟

ومثال آخر يضربه ابو هلال على خطأ الوصف عند ابي ذؤيب ويتوقف عند أبياته بما يصلح أن يكون منهجاً في وصف الخيل:

يقول ابو ذؤيب:

قصر الصبوح لها فشرّج لحمها بالنّي فهي تثوخ فيها الأصبعُ

ويعلقّ ابو هلال على هذا البيت برأي ينقله عن الاصمعي : «هذه الفرسُ لا تساوي درهمين، لانه جعلها كثيرة اللحّم، رخوة ، تدخل منها الاصبع. وإنما يوصف بهذا شاة يضحى بها ، وجعلها حروناً اذا حُركت قامت الاّ العرق فإنه تسيل»[٢] وأما قوله :

حتى اذا ما آضَ عبلاً جُرشعاً قد تم كالفالج لابل اضلعا

يقول ابو هلال :«فوصفه بعظم الجسم، وصلابة اللحم، وما وصف احدٌ الفرس بترك الانبعاث اذا حرّك غير ابي ذؤيب ، وإنها توصف بالسرعة في جميع حالاتها اذا حُركت وإنْ لم تحرك، فتشبّه بالكوكب والبرق، والحريق، والرّيح، والغيث ، والسّيل، وانفجار الماء في الحوض، والدلو ينقطع رشاؤها، ويد السابح، وغليان المرجل، والغمغم، وبأنواع الطير: كالبازي والسوذنيق وأجدل والقطامي ، والعقاب، والقطا. والحمام والجراد، وأنواع الوحش: كالوعل ، والظبي ، والذئب والتنقل، ويشبه بالخدروف، ولمعان الثوب ، وبالسهم والريح وبالحس[٣].

ويستحسن أبو هلال قول عبده بن الطيب بل يعده أجود ما قيل في العدو:

يخفي التراب بأطلاف ثمانية في أربع مسهنّ الارض تحليل[٤]

ويشرح بعض المفردات ويذكر اقوالاً اخرى[٥] في وصف الفرس دون ان يمس الابيات مساً فنياً.

الهجاء:

---

(١) كتاب الصناعتين :١٢٩

(٢) ذاته :٧٨

(٣) ذاته :٨٠

(٤) ذاته ٨١

(٥)ذاته :١٨ وما بعدها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرى أبو هلال انه ليس مختاراً من الهجاء ما نسب الى قبح الوجه ، وصغر الحجم، وضؤولة الجسم، وإنما المختار أن ينسب المهجوّ إلى اللؤم والبخل والشره، وما اشبه ذلك ، لأن الهجاء اذا لم يكن يسلب الصفات المستحسن التي يختصها النفس، ويثبت الصّفات المستهجنة التي تختصها أيضاً لم يكن مختاراً[١]، ويضرب أمثلة على المختار وغير المختار من الهجاء.

اللؤم أكرم من دبر ووالده　　واللؤم أكرمْ من وبر وما ولدوا

قومٌ اذا ما جنى جانيهم امنوا　　من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قَوَدا[٢]

ويرى ابو هلال رأي السموأل ان قلة العدد ليست بعيب فقال:

تعيرّنا أنّ قليل عديدنا　　فقلت لها إن الكرامَ قليلُ[٣]

أما من أراد ان يهجو ممدح فذلك كقول الاخطل في هجاء سويد بن منجوف اذ يقول :

وما جذعُ سوْء خرّبَ السوسُ جوفه　　بما حَملته وائل بمطيقِ

ذلك انه اعطاه الرّياسة ، وقدره دون ذلك[٤]

وابو هلال يخلط موضوع الهجاء، بموضوع الاخذ اذ يورد قول ابن الرومي ، ويعدّه من المبالغة في الهجاء:

يقتر عيسى على نفسه　　وليس بباقٍ ولا خالدِ

ولو يستطيع لتقتيره　　تنفس من منخر واحد

ويرى ابو هلال أنهّ ليس من ابتكار ابن الرّومي بل هو مأخوذ عما حكاه ابو عثمان الجاحظ : إن بعضهم قبر إحدى عينيه وقال إن النظر بهما في زمان واحد من الاسراف[٥]

موقف من المجموعات الشعرية:

يُظهر أبو هلال موقفه من الأصمعيات إذ يتحدث عن مسألة اختيار الرّجل، ويرى أن اختياره قطعةٌ من عقله، وأن شعره قطعة من علمه ، إذ يرى ابو هلال أن كثيراً من علماء العربية قد يقع في هذه الرذيلة ويضرب مثالاً على ذلك اختيار الأصمعي القصيدة المرقش التي مطلعها:

---

(١) كتاب الصناعتين ١٠٤ـ١٠٦

(٢) ذاته :١٠٥

(٣) ذاته والصفحة ذاتها

(٤) ذاته :٨٧

(٥) ذاته:١٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعلق قائلاً :«ولا أعرف على أيّ وجه صرف اختيارهُ اليها وما هي بمستقيمة الوزن، ولا موفقة الروى، ولا سلسة للفظ ولا جيّدة السّبك، ولا متلائمه النسج.

كذلك يروي أبو هلال عن العتبي عن الاصمعي انه كان ليستحسن قول الشاعر:

ولو ارسلت من صاحبك ... ل مهبوتاً من الصينْ

لوافيتك قبل الصبْ ... ح او حين تصلينْ

ويعلق ابو هلال : « وهما على ما تراهما من دناءة اللفظ وحساسته وخلوفة المعرض وقباحته»[١]

ويتضح مما سبق ابا هلال لم يقف موقفاً ايجابياً من المجموعات الشعرية بل ينعى عليهم ذوقهم الردىء في اختيار معللاً أحكامهُ التي تردُ هذه القصيدة او تلك.

ز ـ موقفه من الشعراء:

يشكل كل من أبي تمام والبحتري والمتنبي محوراً من محاور الحركة النقدية في القرن الرابع الهجري فأبو تمام مثال القوة، والبحتري مثال الرّقة، والمتنبي فإلى الدنيا وشاعل الناس ، لذلك قيل في صفتهم.

«اما ابو تمام فخطيب منبر وأماً البحتري فواصف جؤذر وأما المتنبي فقائد عسكر»[٢].

في الصفحات التالية سنحاول أن نقف على رأي ابي هلال العسكري حول هؤلاء الشعراء الثلاثة من خلال مختاراته لأشعارهم.

١ـ البحتري:

أختلف النقاد حول البحتري، ومنزلته من شعراء عصره، وارتبط أسمه عبر تاريخ النقد العربي باسم أبي تمام، وكانا محور حركة نقدية تكللت بكتاب الآمدي «الموازنة بين الطائيين».

أحصى بعض النقاد سرقات البحتري، ومنهم أبن أبي طاهر الذي يذكر عبدالله بن داود الجراح في كتابه بأنه علمه أنه اخرج للبحتري ستمائة بيت مسروق لأبي تمام وغيره، كذلك أبو الضياء بشر بن تميم الذي تتبع سرقات البحتري، وتطرّق الى ما ليس من السّرقة.

ولدى تتبعنا لشعر البحتري في الصناعتين، نجد أن أبا هلال قد وقف منه ـ ومن أبي تمام بعده ـ موقف

---

(١) كتاب الصناعتين :٤

(٢) ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الجزري، المثل السائر، تحقيق: أبي أحمد الحوني، ود. بدوي طبانة، ط ١، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ١٩٥٩: ٥ ٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحكم العدل وان كنا نلحظ أن أبا هلال أميل الى البحتري الذي يوافق طبعه.

يجعل أبو هلال قصيدة البحتري التالية (ستة عشر بيتاً) مثالاً على المنظوم السهل الممتنع ومطلعها:

أيها العابثُ الذي ليس يرضى نم هنيئاً فلستُ أطعم غمضا[١]

وقوله في قصيدة أخرى:

يتأبى منعاً وينعمُ إسعا فاً ويدنو وصلاً ويبدع صداً[٢]

وقوله:

هاج الخيال لنا ذكرى إذا طافا وافى يخادعنا والصبح قد وافى

ويعلق أبو هلال على هذه القصيدة بقوله: «وكان قد احتاج الى ذكر الآلاف والاسعاف والاضعاف والإسراف، وترك الاقتصار على الأنصاف فجعل القصيدة فائية، واستوى له مراده، وقرُب عليه مرامه»[٣].

ويضرب أبو هلال أمثلة للتدليل على حسن الأخذ عند البحتري إذ يروي قوله في مدح المتوكل:

ولو أنْ مشتاقاً تكلف غير ما في وسعه لسعى إليك المنبرُ

يقول أبو هلال: «أخذه من قول العرجي في صفة النساء إذ يقول:

لو كان حياً قبلهن ظعائناً حيا الحطيم وجوههن وزمزم[٤]

أي أن البحتري قد نقله من الغزل الى المديح، وأبو هلال إذ يوازن بين البيتين يرى أن الأخذ غيرُ خاف.

ومما قصر فيه البحتري - كما يرى أبو هلال - قوله:

من غادةٍ منعت وتمنع نيلها فلو أنّها بذلت لنا لم تبذلِ[٥]

يقول أبو هلال: «أخذه من قول عبدالصمد بن المعذل»:

ظبيٌ كأن بخصره من دقه ظمأ وجوعا

ومن البلية أنني عُلقت ممنوعا منوعا

ويعلق أبو هلال قائلا: بيت عبدالصمد أبين معنى مع شدة الاختصار وبيت البحتري كالعويص لا يُقام

---

(١) كتاب الصناعتين: ٦٢ والأبيات في ديوانه ٢: ٦٢

(٢) ذاته: ٦٣

(٣) ذاته: ١٤٨ وقد سبقت الإشارة الى هذا البيت.

(٤) ذاته: ٣٦٣

(٥) ذاته: ٢٣٤ والبيت في الموازنة. ١٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إعرابه إلاّ بعد نظر طويل ويضرب أمثلة أخرى[١] .

كما يأتي بأمثلة تساوي فيها بيته مع بيت من أخذ عنه كقوله :

وحاولن كتمان الترّجل في الدّجى فنمّ بهن المسكُ حتى تضوعا[٢]

وكان قد أخذه عن أعرابي يقول: «فنم عليها المسكُ والليل عاكفٌ».

ويظهر ميله للبحتري إذ يفضل رأيه على رأي غيره، وكذلك تفوقه على أبي تمام في مثل قوله :

تسرّع حتى قال من شهد الوغى

لقاءُ أعادٍ أم لقاء حبائب[٣]

وقوله :

همةٌ تنطحُ النجومَ وحَدٌّ آلفٌ للحضيض فهو حضيضُ[٤]

الذي يذكر أبو هلال أن البحتري قد أخذه، وحسّنه، وتفوق فيه على أبي تمام يقول:

متحيرٌ يغدو بعزمٍ قائمٍ في كلّ نائبة وجد قاعد[٥]

ويجعل أبو هلال شعر البحتري مثالا على الجيد في بعض المعاني كقوله في الحُب:

ويعجبني فقري إليك ولم يكن ليعجبني لولا محبتك الفقرُ[٦]

وأما قول البحتري:

تبسمُ وقطوبُ في ندى ووغى كالغيث والبرق تحت العارِض البردِ[٧]

وقوله :

كالسيفِ في إخدامه والغيث في إرهامه والليث في إقدامه

فيعده أبو هلال من جيد التشبيه[٨]

ومن جيد الاستعارة قوله :

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٣٤ والبيت في الموازنة: ١٣٦

(٢) ذاته: ٢٣٦ والبيت في الموازنة: ٩٧

(٣) ذاته: ٢٣٣ والبيت في الموازنة: ٧٣

(٤) ذاته: ٢٢٦ والبيت في ديوانه: ١٨٥

(٥) ذاته: ٢٠٦

(٦) ذاته والصفحة ذاتها في ديوانه: ١٦٩

(٧) ذاته: ٢٥٠

(٨) ذاته: ٢٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيضاء يعطيك القضيب قوامها ويريك عينيها الغزالُ الاحور[١]

ومن جيد التطبيق قوله:

إنّ أيامه من البيض بيض ما رأين المفارق السود سودا[٢]

ويذكر أبو هلال أبياتاً أخرى عدّها من جيد شعره، ولم يذكر السبب، ولعل السبب في ظّني هو مخالفة طريقة أبي تمام في أبيات كان أبو هلال قد ذكرها.

وبالمقابل يضرب أبو هلال أمثلة على شعر لم يوفّق فيه البحتري كل التوفيق كمثل قوله:

ظعنوا فكان بكاي جولا بعدهم ثم ارعويت وذاك حكم لبيد

أجدر بجمرة لوعة اطفاؤها بالدمع أن تزداد طول وقود[٣]

يقول أبو هلال«هذا خلاف ما يعرفه الناس إلاّ انهم قد أجمعوا ان البكاء يطفىء الغليل، ويبرد مرارة المحزون، ويزيل شدة الوجدان[٤].

ويعجب أبو هلال من قول البحتري:

لعمر الغواني يوم صحراء أربد لقد هيّجت وجدا على ذي توجدِ[٥]

ولو قال:« على متوجد ، لكان أسهل وأسلس وأحسن»[٦]

أما قوله:

لك الويلُ من ليل تطاول آخره وشك نوىً حيّ تزم أباعرُه

فقال له أبو سعيد من أنشدت له القصيدة. بل الويل والحرب لك فغيره وجعله «له الويل» وهو رديء ايضاً كما يرى أبو هلال[٧].

أبو تمام:

أشرت في صفحات سابقة أن قضية اللفظ والمعنى وبالتالي حركة النقد الأدبي. ساعد على اشتدادها

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٩٨

(٢) ذاته: ٣١٦

(٣) ذاته: ١٢٥

(٤) ذاته والصفحة ذاتها.

(٥) ذاته: ١٤٠

(٦) ذاته: ١٤٠

(٧) ذاته ٤٣٢ والبيت في ديوانه ١: ١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عاملان هما سلطان الشعر القديم وما هو مختار في المعاني والتشبيه ... الخ وما هو قبيح، والعامل الثاني هو ظهور أبي تمام الذي تظهر الصنعة في ألفاظه والإغراب في معانيه، بما في ذلك بعيد التشبيه وغريب الاستعارة.

وأين وقف أبو هلال من أبي تمام بوصفه واحداً من أهم القضايا النقدية في عصر أبي هلال؟

أحتل شعر أبي تمام مساحة واسعة من كتاب الصناعتين إذ لا يكاد أبو هلال يغفل أبا تمام لدى الاستشهاد على أي قضية نقدية.

يروي أبو هلال أن أعرابياً سمع قصيدة أبي تمام:

طللٌ الجميع لقد عفوت حميداً[١]

فقال: إن في هذه القصيدة أشياء أفهمها، وأشياء لا أفهمها، فإمّا أن يكون قائلها أشعر من جميع الناس، وإما أن يكون جميع الناس أشعر منه، ونحن نفهم معاني هذه القصيدة بأسرها، لعادتنا بسماع مثلها، لا لأنّا أعرف بالكلام من الأعراب»[٢] ويضرب مثالاً على قول أبي تمام:

يومٌ أفاض جوى أغاض تعزياً خاض الهوى بحرى حجاه المزيد[٣]

وقوله:

وإن نجريه بانت جارتٌ لها الى يدي جلدي فاستوهك الجد[٤]

وقوله:

جهمية الأوصاف إلاّ أنهم قد لقبوها جوهر الأشياء[٥]

يجعلها مثالا على من أراد الإبانة، فأتى بإغلاق يدل على العجز والقصور[٦]

أما قوله:

وقمنا بعد أن افرد الثرى به ما يُقال في السحابة تقلعُ[٧]

فيجعله أبو هلال مثالا على من أراد أن يبين فلم يوقف على معناه إلاّ بالتوهم، ذلك ان قول الناس في

---

(١) كتاب الصناعتين: ١١ وتمام البيت: كفى على رزئي بذاك شهيدا، ينظر ديوانه ٨٧

(٢) ذاته والصفحة ذاتها.

(٣) ذاته: ٣٠ والأبيات في ديوانه: ١١٨.

(٤) ذاته: ٣٠ والأبيات في ديوانه ٣٠.

(٥) ذاته: ٣٠ والأبيات في ديوانه: ٣٦٧.

(٦) ذاته: ٢٩ والبيت في ديوانه: ٣٦٦

(٧) ذاته: ٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السحاب إذا أقلع على وجوه كثيرة، فمنهم من يمدحه، ومنهم من يذمّه، ومنهم من كان يحب إقلاعه، ومنهم من يكره إقشاعه، على حسب ما كانت حالاتها عندهم، ومواقعها منهم، فلم يُبر بقوله ما يقال في السحابة تقلع معنى يعتمد السامع، على أن المحتج له لو قال: إن أكثر العادة في السحاب انْ تحمد أثره ويثنى عليه بعده لما كان مبعداً، ولم أرد عيب أبي تمام بما قلت، وإنما أردت الإخبار عن وجوه الاشتراك وذكر ما يتشعب منه، وما يقربُ من بابه، وينظر اليه من قريب أو بعيد[١].

ثم يعود أبو هلال ليعلق على قول أبي تمام جهمية الأوصاف يقول:

«فوجه الاشتراك في هذا أن للجهم مذاهب كثيرة، وآراء مختلفة متشعبة، لم يدلّ فحوى كلام أبي تمام على شيء منها يصلح أن يُشبه به الخمر، وينسب إليه، إلاّ أن يتوّهم المتوهم فيقول: إنما أراد كذا وكذا من مذاهب جهم من غير ان يدل الكلام فيه على شيء بعينه»[٢].

ولا يعرف معنى قوله: «قد لقبوها جوهر الأشياء إلاّ بالتوهم أيضا، يقدّم أبو هلال رأيا في شعر أبي تمام إذ يعده أسرف في الاستعارة، ويرى أن ذلك اغترار بما سبق منه في كلام القدماء فنعى عليه ذلك، وعيب به، وتلك عاقبة الإسراف، ويضرب على ذلك أمثلة كثيرة من ذلك قوله:

يا دهرُ قوم من اخدعيك فقد　　أضججت هذا الأنام من خُروقك[٣]

الذي يعده أبو هلال مثالاً على البغيض من الكلام وبعيد الاستعارة أو التطبيق كقوله:

فيم الشماتة إعلاناً بأسد وغى　　أفناهم الصبرُ إذ أبقاكم الجزع[٤]

ويظهر أبو هلال بمظهر الحكم العدل إذ يحاول أن يذكر محاسن شعر أبي تمام ولا يكتفي بذكر المساوىء، فلدى حديثه عن الابتداءات يقول: «وأحسن مرثية إسلامية ابتدائية قول أبي تمام:

أصمّ بك الناعي وإن كان أسمعا　　وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا[٥]

وهو إذ يتحدث عن شعر أبي تمام فإننا نلاحظ نظرة شمولية عامة تتناول البيت، ومجموعة الأبيات وشعره عامة، ونقد القصيدة من ذلك ما يورده من رأي «أبي العميثل» في قصيدة أبي تمام:

---

(١) كتاب الصناعتين: ٣٤

(٢) ذاته: ٣٤

(٣) ذاته: ٢٦٠، ٣٠٣، ديوانه: ٣٦٢

(٤) ذاته: ٣١٦

(٥) ذاته: ٤٣٣، والبيت في ديوانه: ٣٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهَن عوادي يوسف وصواحبه فعزماً فقدما أدرك الثأر طالبه[١]

يذكر أبو هلال أن أبا العميثل استرذل ابتداءها واسقط القصيدة كلها حتى بيّن له أبو تمام نفسه موضع الإحسان منها، فيذكر أبو هلال أن عبدالله بن طاهر - هو الممدوح في هذه القصيدة - راجع نفسه فأجازها وحول القصيدة نفسها يقول أبو هلال: وليس في المضاء والعزيمة اجود من قول أبي تمام:

وركب كأطراف الأسنة عرّسوا على مثلها والليل يشطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه[٢]

وهو كعادته يذكر المحاسن والمساوىء في كل باب فبعد أن يذكر حسن الابتداءات، ويضرب أمثلة على سوء الابتداءات عند أبي تمام كما اتضح من الأبيات السابقة، ويذكر أبو هلال أن الابتداء أول ما يقع في السمع من كلامك، والمقطع آخر ما يبقى في النفس من قولك، فينبغي أن يكونا جميعا مونقين[٣].

في باب السرقات الشعرية يذكر أبو هلال أبياتا لأبي تمام يدلل فيها على حسن الأخذ عنده من ذلك قوله:

جمعت عرى أعمالها بعد فرقة إليك كما ضمّ الأنابيب عامل[٤]

ويروي أبو هلال أن هذا البيت من قول الأخطل:

تمرون لحقّ السائلين كأنه بعقر المثالي طالب بذنُوب[٥]

وبالمقابل يضرب أمثلة على قبح الأخذ عند أبي تمام من ذلك قوله:

حنّ إلى الموت حتى ظنّ جاهله بأنه حنّ مشتاقٌ إلى وطن[٦]

ويذكر أبو هلال أنّ أبا تمام أخذ هذا البيت من قول قرواش بن حوط:

دنوتَ له بأبيضَ مشرفي كما يدنو المصافحُ للعناقِ[٧]

---

(١) كتاب الصناعتين: ٤٢٤ والبيت في ديوانه: ٤٣

(٢) ذاته: ٢٠٥ والبيت في ديوانه: ٢٨٠

(٣) ذاته: ٤٣٥

(٤) ذاته: ١٩٩، ديوانه: ٢٥٧

(٥) ذاته: ٢٠٠

(٦) ذاته. ٢٣٢ والبيت في ديوانه: ٢٨٨

(٧) ذاته والصفحة ذاتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما قصّر فيه أبو تمام أيضاً قوله:

هرمتَ بعديَ والرّبعُ الذي أملت فيه بدورك معذور على الهرم[١]

الذي يقول عنه أبو هلال: متكلف الاستعارة

ويوازن أبو هلال بين أبي تمام وغيره من الشعراء، ونجده في كثير من الأحيان يغلب أبا تمّام، إذ يورد قوله:

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلاّ للحبيب الأولِ[٢]

الذي يرى أبو هلال أنه أبين وأدخل في الأمثال من قول كثيّر:

إذا ما أرادت خلةٌ إن تزيلنا أبينا وقلنا الحاجبية أول[٣]

بل يفوقه على شاعر فحل كزهير بن أبي سلمى في اللفظ دون المعنى كقوله:

وإنْ يبنِ حيطاناً عليه فإنّما أولئك عقّالاته لا معاقله[٤]

فيرى أبو هلال أن أبا تمام تفوق في قوله «عقالاته، معاقله» على زهير في قوله «والسيوف معاقله» لما جاء به من التجنيس.

يقول زهير:

أبى الضيم والنعمان يحرق نابه عليه فافضى والسيوف معاقله[٥]

ويفوقّه على البحتري - مع ميله له - في مثل قوله:

فلم تجتمع شرقٌ وغرب لقاصدٍ ولا المجدُ في كف امرىء والدراهم[٦]

الذي يذكر أبو هلال أنه أخذه البحتري فقصر إذ يقول:

ليفرّ وفرُك الموفى وإن اعـ ـوز أن يُجمع النّدى ووفوره[٧]

ويورد أبو هلال الخبر التالي الذي يوضّح موقف ابن الأعرابي من شعر أبي تمام، يقول أبو هلال: «وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر الصّولي قال: كان ابن الأعرابي يأمر بكتب جميع ما يجري في مجلسه،

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٣٥ والبيت في ديوانه: ٢٦٧

(٢) ذاته: ٢٠٤، ديوانه ١٢٧

(٣) ذاته: ٢٠٤، ديوانه ٢٣١

(٤) ذاته: ٢٠٤، ديوانه ٢٣١

(٥) ذاته: ٢٠٤، ديوانه ١٤٣

(٦) ذاته: ٢٣٥، ديوانه: ٢٨٦

(٧) ذاته: ٢٣٥، ديوانه ٢: ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: فأنشد رجلٌ يوماً أرجوزة أبي تمام في وصف السحاب على أنّها لبعض العرب:

سارية لم تكتحل بغمض كدراءُ ذاتُ هطلانٍ محضِ

موقرة مدخلة وحمض تمضي وتبقى نعماً لا تمضي

قضت بها السّماء حق الأرض

وقال ابن الأعرابي: اكتبوها، لّما كتبوها قيل له: إنها لحبيب بن أوس فقال: خرّق خَرق، لا جرَمَ إن أثرّ الصنعة فيها بيّن، ويكتفي أبو هلال بذكر الخبر دون أن يعلق عليه[١].

أمّا عن اللفظ وصفاته فيضرب أبو هلال مثالا قول أبي تمام:

مستسلم لله سائس أمه بذوي تجهضمها له استسلامُ[٢]

يقول أبو هلال: «فأنه صواب للفظ، وليس هو بحسن، ولا مقبول... الجهضمة: الوثوب والغلبة»[٣].

وعلى بغيض الشعر يضرب مثالاً قوله:

وجعل القذا الدرجات للكذجات ذا ت الفيل والحرجات والأدحال

وقد كان حَزنُ الخطب في أحزانه فدعا داعي الحين للإسهال[٤]

وعلى المعاظلة من شعر أبي تمام، وهو أمر يتعلق بنسج الشعر يضرب مثالا قوله:

جارى إليه البين وهل خريده ماشت إليه المطلُ مشيَ الأكبدِ[٥] (٣ أبيات)

يجعلها أبو هلال مثالاً على كلام شديد التعليق بعض ألفاظه ببعض حتى يستبهم معناه، ويدلل على رأيه هذا بخبر يرويه يقول: «وبلغنا أن اسحق بن ابراهيم سمعه ينشد هذا... عند الحسن بن وهب فقال: يا هذا: لقد شددت على نفسك والكلام إذ كان بهذه المهابة كان مذموماً[٦]. ويضرب أبو هلال على براعة أبي تمام في نظم المنثور مثال قوله:

على انها الأيام قد صرت كلهّا عجائب حتى ليس فيها عجائب[٧]

ويشير أبو هلال الى أنّ هذا البيت قد أُخذ من قول بعضهم لملك من الملوك: «أمّا التعجب من مناقبك فقد

---

(١) كتاب الصناعتين: ٤٥.

(٢) ذاته: ٥٨، ديوانه: ٢٨٠

(٣) ذاته والصفحة ذاتها.

(٤) ذاته: ٦٠، ديوانه: ٢٦١، ٢٦٢.

(٥) ذاته: ٤٦، ديوانه: ١١١

(٦) ذاته والصفحة ذاتها

(٧) ذاته: ٤٧، ديوانه: ٣٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نسخه تواترها، فصارت كالشيء القديم الذي قد كُسي به، أي أُلف لا كالشيء البديع الذي يتعجب منه.

وعوداً الى الموازنة بين أبي تمام وغيره فإن أبا هلال يستقبح قول أبي تمام:

هنّ الحمامُ فإن كسرت عيافةً من رحائبن فإنهنّ حمامُ[١]

يقول أبو هلال: «فمن ذا الذي جهل أن الحمام إذا كسرت حاؤها صارت حماما وهو يوازن بين قوله وقول أبي نواس أنه يشبه الجيم لا يغادرها من شبهها شيئاً حتى لو زدت عليها هذه الأحرف صارت جعفرا لشدّة شبهها وهي عندي صواب، إلاّ أنه لو اكتفى بقوله: «كعطفه الجيم بكف أعسرا ولم يزد الزيادة التي بعدها كان أجود وأشهر وأدخل في مذاهب الفصحاء واشبه بالشعر القديم ثم يردف قائلا: أما قول أبي تمام فله معنى خلاف ما ذكره، وذلك أنّ أراد أنك إذا أردت الزجر والعيافة أدّاك الحمامُ الى الحمام، كما أن صوتها الذي يُظن أنه بكاء إنّما هو طرب، ويؤديك الى البكاء الحقيقي، وهذا المعنى صحيح، إلاّ أن المعنى إذا صار بهذه المنزلة من الدقة كان المعمى، والتعمية حيث يُراد البيان عي[٢].

أما بيت أبي نواس المشار إليه فهو قوله:

يقول من فيها بعقل فكرًا لو زادها عينا الى فاءٍ ورا

فاتصلت بالجيم صارت جعفرا

الذي عده بعض العلماء - فيما يذكر أبو هلال - من بارد المعاني[٣].

والملاحظ هنا أن أبا هلال قد توقف عند هذين البيتين لأبي تمام أكثر مما فعل في الأبيات السابقة.

ويضرب مثالاً على خطأ المعاني قول أبي تمام:

رقيق حواشي الحِلم لو أنّ حِلمهُ بكفيك ماريتَ في أنّه بُرْدُ[٤]

ويعلق أبو هلال على ذلك إذ يقول: «وما وصف أحدٌ من أهل الجاهلية ولا أهل الاسلام الحليم بالرّقة، وإنّما يصفونه بالرجحان، والرزانة، ويضرب امثلة على ذلك من شعر الجاهلية والاسلام ويقول: «وإذا ذموا الرجل قالوا: خف حلمه وطاش ويضرب مثالا قول عياض بن كثير[٥].

وأبو هلال إذ يظهر ميله للقديم في هذه النظرة فإنه يبدو على منزلة عالية من الدقة العلمية إذ يحترز

---

(١) كتاب الصناعتين: ١١٨، ديوانه: ٢٧٩

(٢) ذاته والصفحة ذاتها

(٣) ذاته: ١١٧

(٤) ذاته ١١٩، ديوانه: ١٢١، الموازنة: ٦٣

(٥) ذاته: ١٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقوله: «لا، بل أحسبني سمعتُ بيتا لبعض المحدثين يصف فيه الحلم بالرّقة وليس بالمختار»[١].

ومن خطأ المعاني ـ في تصور أبي هلال ـ قول أبي تمام:

الودُّ للقربى ولكن عرفه للأبعد الأوطان دون الأقربِ[٢]

ويعلق أبو هلال قائلا: ولا أعرف لم حُرم أقارب هذا الممدوح عُرفه وصيّره للأبعدين؟ فنقصه الفضل في صلة الرحم، وإذا لم يكن مع الود نفع لم يعتد به بل إنه يجعل قوله:

وهل أرض إذا كان مسخطي من الأمر ما فيه رضا من له الأمرُ

يجعله من فاحش الخطأ، يقول أبو هلال: «والمعنى: لستُ أرضى إذا كان الذي يسخطني هو الذي يرضاه الله عزّ وجل، لأن هل تقرير لفعل ينفيه عن نفسه، كما نقول: هل يمكنني المقام؟ معناه لا يمكنني المقام ومعنى قوله: هل أرضى إذا كان مسخطي؟ أي لا أرضى[٣].

وأما قوله:

من الهيف لو أن الخلاخل صُيرت لها وُشحا جالت عليها الخلاخلُ[٤]

يقول أبو هلال: «ولو قال: «نطقا» لكان حسناً، وهذا خطأ كبير، وذلك أن الخلخال قدره في السعة معروف، ولو صار وشاحاً للمرأة لكانت المرأة في غاية الدّمامة والقصر، حتى (لو كانت) هي في خلقة الجرد والهرة ولو قال «حقباً» لكان جيداً».

لقد صنف أبو هلال أوجه التشبيه في أربعة وجوه، لكنه يضع وجهاً خامساً: هو ما جاء في أشعار المحدثين كما يقول أبو هلال ـ وهو ما يرى العيان بما يُنال بالفكر، ويرى أبو هلال أنّ هذا النوع ردىء، وإنْ كان بعض الناس يستحسنه لما فيه من اللطافة والدقة ويضرب مثالا على ذلك قول أبي تمام:

وكنتُ أعزّ عزاً من قنوع يعوضُه صفوحٌ من ملولِ

فصرتُ أذلُّ من معنى دقيق به فقرٌ الى فهم جليلِ[٥]

ويعلق أبو هلال على ذلك بقوله: «ولا يكاد يرى تشبيه أبرد من هذا»[٦]. ويذكر ثمانية أبيات لأبي تمام للتدليل على أن الاستعارة أبلغ من الحقيقة:

---

(١) كتاب الصناعتين: ١١٩.

(٢) السابق: ١٢٢، ديوانه: ١٤٠

(٣) ذاته: ١٢٦، ١٢٧

(٤) ذاته: ١٢٠، ديوانه: ٢٥٦، الموازنة: ٦٩

(٥) ذاته: ٢٤٢، ديوانه: ٥٠٣

(٦) ذاته: ٢٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولمّا تلاقينا قضى الليل نحبه بوجه كأن الشمس من مائة مثلُ[١]

ويرى أبو هلال أن أبا تمام لم يراعِ أوجه الاستعارة الصحيحة إذ يقول: «فقد جنى أبو تمام على نفسه بالاكثار من هذه الاستعارات وأطلق لسان عاتبه، وأكدّ له الحجة على نفسه». ويرى أبو هلال أن ذلك اغترار بما سبق منه في كلام القدماء فنعى عليه، وعيب به وتلك عاقبة الإسراف ، ويضرب أمثلة كثيرة على ذلك[٢] .

لا شيء أحسن من ليله ووصله وقد اتخذت مخدة من خدّه[٣]

فيجعله أبو هلال مثالا على جيد التشبيه.

وأما قوله:

محمد إن الحاسدين حشود وإنّ مصابَ المزن حيث تريدُ

فيجعله مثالاً على القول المتنافر إذ يعلق قائلا: «ليس النصف الأول من النصف الثاني في شيء»[٤] .

من ذلك نخلص إلى أن أبا هلال حاول أن يقف موقف القاضي العادل من أبي تمام إذ يذكر المحاسن والمساويء في المسألة الواحدة، فغلب أبا تمام تارة، وغيره تارة اخرى، شافعاً ذلك كله بفيض من الأمثلة.

المتنبي:

لعله أصبح من نافلة القول أن المتنبي كان محور حركة نقدية واسعة. كما سلفيه أبي تمام والبحتري. ولئن كان الآمدي في موازنته قد توّج الحركة النقدية التي دارت حول الطائيين وقال فيها كلمته فإن القاضي الجرجاني أيضاً قد توّج الحركة النقدية في وساطته بين المتنبي وخصومه، ولكن ذلك لم يمنع أبا هلال من قول كلمته.

لقد كان أبو على محمد بن الحسين الحاتمي (ت٣٨٨هـ) من أشدّ خصوم المتنبي، وألف الرسالة الحاتمية، والرسالة الموضحة:

أما الحاتمية فقد أخذ فيها مائة معنى من معاني أبي الطيب الذي يظن الحاتمي أنه أخذها من أرسطو وأمّا الموضحة فتعد نقداً لشعر أبي الطيب، إذ يذكر سرقاته، وساقط شعره هذه الرسالة تعد أساساً لما جاء بعدها مثل رسالة الصاحب بن عباد في الكشف عن مساويء المتنبي.

(١) كتاب الصناعتين: ٢٨٩

(٢) ذاته: ٣٠٣

(٣) ذاته: ١١٣

(٤) ذاته: ١٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم جاءت وساطة الجرجاني بين المتنبي وخصومه التي قسمت هؤلاء الخصوم الى قسمين: (١) اللغويين والنحويين الذين يرى الجرجاني أنهم لا بصر لهم بصناعة الشعر. (٢) وأصحاب المعاني ويرى أنهم لا علم لهم بالاعراب ولا اتساع لهم في اللغة.

وقد حاول القاضي الجرجاني أن يقف من المتنبي موقفاً وسطاً، فدافع عنه، وهاجم اللغويين وأصحاب المعاني، والتمس له أعذارا في كثير من اخطائه. وردّ على المآخذ المتعلقة بشعر المتنبي، والتي تتناول السرقات، وأخطاء الوزن والقافية واللغة والنحو والمعاني والبديع وقبح الاستعارات.

وإن كان اهتمامه منصبا في الدرجة الأولى على السرقات، ثم أخطاء اللغة والمعاني ثم أخطاء البديع. فأين وقف أبو هلال من المتنبي - ابن عصره - ؟

يقول أبو هلال: «ولا أعرف أحداً كان يتتبع العيوب فيأتيها غير مكترث إلاّ المتنبي، فإنه ضمن شعره جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئاً منها حتى تخطّى الى هذا النوع فقال:

ويسعدني في عمرة بعد غمزة　　سبوح له منها عليها شواهد

فأتى من الاستكراه بما لا يُطار غرابة ما[١]

هذا رأي عام في شعر المتنبي كما يراه أبو هلال والذي يفهم من قول أبي هلال أنه لا يميل الى شعر المتنبي، ويروي مما يؤخذ عليه الكثير، ويرى أبو هلال أن المتنبي لم يوفِ بعض شعره حقه من التهذيب والتثقيف، ويبرز له بعض أبياته المستكرهة أو المردودة عليه»[٢].

ومما يستهجنه أبو هلال من شعر المتنبي قوله:

جنحت وهم لا يجنحون بها بهم

يرى أبو هلال أنه غامض المعنى، غريب اللفظ، ويعلق قائلا «... فأشمت عدوه منه»[٣]

كما يرفض قوله:

أين البطاريقُ والحلفُ الذي حلفوا　　بمفرقِ الملك والزّعم الذي زعموا[٤]

يقول أبو هلال: هذا قبيح جدا، وإنّما سمع قول العامة، حلف برأسه، فأراد أن يقول مثله، فلم يستو له، فقال بمفرق الملك، ولو جاز هذا لجاز أن نقول: حلف بيافوخ أبيه. وبقمحدود سيده.

ويرى أنّ هذا القبح يدلُ على أنّ أمثاله لا يجوز في جميع المواضع ولا يكتفي أبو هلال بهذا الحزم

(١) كتاب الصناعتين: ١٦٠، ديوانه: ١: ٢٧٠

(٢) ذاته: ١٤٩

(٣) ذاته: ٦٢

(٤) ذاته: ١٤٩، والبيت في ديوانه: ٤: ١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والصرامة في الحكم بل يتعدى ذلك الى الموازنة بينه وبين أبي تمام إذ يقرر أن هذا النوع في شعر المتنبي كبعيد الاستعارة في شعر أبي تمام»[١] .

ويضرب أمثلة من شعره على الغلو في المعنى:

فتى ألفُ جزء رأيه في زمانه أقل جزء بعضه الرأي أجمع[٢]

وقوله:

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدّنا[٣]

ويقف عند هذا البيت قائلاً: «سُئل عما فيه الأفلاك والدّنا فقال علم الله، وبيته لا تدل عليه، فأفرط وأعمى، وجمع دنيا على قول أهل الأدوار والتناسخ[٤] ، وأحسب أن هذه الوقفة من أبي هلال تعكس ذائقة عالية في فهم الشعر وثقافة عالية ومعرفة في العربية.

أحيانا يذكر أبو هلال السيء من شعر المتنبي دون ذكر اسمه وذلك في باب الكناية والتعريض إذ يقول: «ومن شنيع الكناية قول بعض المتأخرين ويقصد به المتنبي:

أني على شغفي بما في خُمرها لأعفّ عما في سراويلاتها[٥]

يقول أبو هلال: «سمعت بعض الشيوخ يقول: الفجور أحسنُ من عفاف يُعبر عنه بهذا اللفظ[٦] . أما «بعض الشيوخ» المشار اليه في هذا الخبر فهو- على ما يرى بعض المحدثين- [٧] هو الصاحب بن عباد الذي دوّن هذه الملاحظة في آخر رسالته في الكشف عن مساوىء المتنبي.

وكذلك في بابي الترصيع والتوشيح أما في الترصيع فيقول: «ومن معيب هذا الباب قول بعض المتأخرين:

عجب الوشاة من اللحاة وقولهم دع ما نراك ضعفت عن اخفائه[٨]

ويرى أبو هلال انه ردىء لتعمية معناه[٩]

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٤٩

(٢) ذاته: ٣٦٤، والبيت في ديوانه: ٢:٢٤٢

(٣) ذاته: والصفحة ذاتها والبيت في ديوانه ٤: ٢١

(٤) ذاته والصفحة ذاتها

(٥) ذاته: ٢٧٠ والبيت في ديوانه: ١:٢٢٦

(٦) ذاته والصفحة ذاتها

(٧) زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ٢. ١٢٢

(٨)ذاته: ٢٧٩، والبيت للمتنبي ينظر ديوانه: ١:٥

(٩) ذاته والصفحة ذاتها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي باب التوشيح يقول: «ومما عيب من هذا الضرب، قول بعض المتأخرين:

قلقت بالهم الذي قلقل الحشا　　قلاقل عيش كلهّن قلاقلُ[١]

وأبو هلال كعادته لا يكتفي بذكر المساوىء بل يتوقف عند محاسنه أيضا وإن كان يذكر مساوئه أكثر كما أسلفت.

ويضرب أمثلة على حسن الابتداءات عند المتنبي كقوله:

أريقك أم ماءُ الغمامة أم خمرُ　　بفيَ برود وهو في كبدي جمر[٢]

وقوله في ابتداءات المصائب:

كفى أراني ويك لومك ألوما　　هم أقام على فؤادي أنجما[٣]

فيعده أبو هلال مما لا خلاق له[٤].

٢- ذوق أبي هلال من مختاراته النثرية:

كانت إحدى غايات تأليف كتاب الصناعتين أن يكون بين أيدي الكاتب في صنعة الكلام شعره ونثره من غير تقصير أو إخلال.

ولدى قراءتنا لكتاب «الصناعتين» فقد استرعت انتباهنا ملاحظتان رئيستان: أما الاولى فهي غلبة الشعر على النثر في أمثلة الكتاب وأما الثانية فإن أكثر المقاييس النثرية عند أبي هلال وردت لدى حديثه عن البلاغة وتعريفها ووجوهها مما له مسيس الصلة بقضية اللفظ والمعنى التي خصصنا لها صفحات سابقة من هذا البحث.

البلاغة عند أبي هلال من صفة الكلام سواء أكان شعراً أم نثراً[٥] وكلٌّ من البلاغة والفصاحة يرجعان الى معنى واحد، ذلك لأن كليهما تعني الإبانة عن المعنى، والإظهار له بالإضافة الى أن الفصاحة وهي تمام آلة البيان وهي مقصورة على اللفظ في حين أن البلاغة مقصورة على المعنى[٦] كما أسلفت..

---

(١) كتاب الصناعتين: والبيت في ديوانه ٢:١٢٣

(٢) ذاته: ٤٣٥ والبيت في ديوانه ٢:١٢٣

(٣) ذاته: ٤٣٥ والبيت في ديوانه ٤:٢٧

(٤) ذاته: ٤٣٧

(٥) ذاته: ٦

(٦) ذاته ٧، ٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو إذ يتحدث عن البلاغة لا يخصص الكلام ـ شعراً أو نثراً ـ فهو يرى أن البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن[١]. وعليه يرى أبو هلال أن الكلام إذا كان ذا عبارة رثّة، ومعرض خَلِق لا يُسمى بليغاً: أي أن من شروط البلاغة عنده أن يكون المعنى مفهوماً واللفظ مقبولاً.

يورد أبو هلال قول ابن المقفع في تعريف البلاغة: «أنها اسم لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة منها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعاً، ومنها ما يكون خطبا، وربما كانت رسائل.. والإيجاز هو البلاغة..»[٢].

هذا القول لابن المقفع يقود أبا هلال لذكر أهم صفات الخطيب مثل رباطة الجأش وسكون الجوارح وتخيّر اللفظ وموافقة المقال لمقتضى الحال ولا يدقق المعاني كلّ التدقيق.

وتفسيراً لهذا الكلام يرى أبو هلال[٣] ان أول آلات البلاغة ـ وبالتالي البيان ـ جودة القريحة، وطلاقة اللسان.

٢ـ أن الناس في صناعة الكلام على طبقات، فمنهم من يبدع في المحاورة والمناظرة والكتابة، ومنهم من يبدع في احدها، ويقصر في المجالات الاخرى، ومنهم من يقصر فيها جميعا.

٣ـ أن أحسن حالات المسيء الإمساك، وأحسن حالات المحسن التوسط.

٤ـ من تمام آلة البلاغة التوسع في معرفة العربية[٤].

٥ـ الحيّرة والتحيّر يورثان تعذر الكلام عند إرادته وهما سبب استغلاق الكام وصعوبته على الخطيب[٥].

٦ـ يفضل أديب على آخر إذا كان لديه القدرة على التصرف في المعاني وإذا كان في مقدوره ان يأتي بالجزل مرة، وبالسهل آخرى[٦].

٧ـ لكل مقام مقال، فينبغي للأديب أن يعرف مقامات الناس وما يصلح لكل منهم[٧].

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٠ـ١٢

(٢) ذاته: ١٨

(٣) ذاته: ٢٠

(٤) ذاته: ٢١

(٥) ذاته والصفحة ذاتها

(٦) ذاته: ٢٤

(٧) ذاته: ٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨. تدقيق الكلام كلّ التدقيق سبيل الى تعميته، وتعمية المعنى ـ كما يرى ـ لُكنة[١].

٩ـ يدخل في تنقيح الألفاظ استعمال الوحشي منها وليس من الفصاحة في شيء إذ أن تصفية الكلام تكون بتعريته من الوحشي، وتهذيبه بتبرئته من الرديء المرذول، والسوقي المردود[٢].

وعندما يورد أبو هلال تعريفات آخرى للبلاغة مثل قول بعض الحكماء: البلاغة قول يسير، يشتمل على معنى خطير يورد أمثلة من الشعر والنثر تدلُ على ذلك كقول أعرابي وقد سُئل عن مال يسوقه، لمن هو؟ فقال: لله في يدي، ويعلق أبو هلال قائلا: فأي شيء لم يدخل تحت هذا الكلام القليل من الفوائد الخطيرة، والحكم البارعة الجسيمة[٣].

ويضرب أمثلة آخرى من القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ ويعلق أبو هلال قائلا: وقد دخل تحت قوله «فهو حسبه» من المعاني ما يطول شرحه من ايتاء ما يرجى وكفاية ما يخشى[٤] وتحت المعنى ذاته يضرب مثالا قوله ﷺ «كفى بالسلامة داء».

وعند تعريفه للبلاغة بأنها حسن اقتضاب عند البداهة، والغزارة عند الاطالة يرى أبو هلال ان الكاتب ينبغي ألا يستعين على كلامه بطول الفكرة فلا يكون متقطع الأجزاء، وإنّما ينصب انصباب القطر[٥] ويضرب أمثلة على البديهة الحسنة، والاقتصار الجيد[٦] ويضرب أمثلة على ذلك من النثر كقول اعرابي لابنه «يا بني، ان الدنيا تسعى على من يسعى لها، فالهربُ قبل العطب، فقد آذنتك ببين، وانطوت لك على حين»[٧].

وتتضح صفات الخطيب بخبر يورده أبو هلال وهو قول ثمامة: «ما رأيت احداً إذا تكلم لا يتحبس، ولا يتوقف، ولا يتلفق، ولا يتلجلج، ولا يتنحنح، ولا يترقب لفظا، استدعاه، من بُعد ولا يلتمس التخلص الى معنى قد اعتاص عليه بعد طلبه، الا جعفر بن يحيى»[٨].

ويوالي ابو هلال تعريفات البلاغة من وجوهها المختلفة ويضرب على ذلك أمثلة[٩].

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٩

(٢) ذاته: ٣٠، ٣١

(٣) ذاته: ٣٧

(٤) ذاته والصفحة ذاتها

(٥) ذاته ٤٣

(٦) ذاته ٤٠

(٧) ذاته: ٤٣

(٨) ذاته: ٤٤

(٩) ذاته: ٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرى أبو هلال من شروط الكلام أن يكون بريّاً من سوء الصنعة وألا يكون وحشي الألفاظ أو معقدها ويضرب على ذلك مثالا قول بعض الأمراء وقد اعتلت أمه فكتب رقاعاً وطرحها في المسجد الجامع بمدينة السلام «ضن امرؤ ورعى، دعا لأمرأة انقحلة مقسئنة، قد منيت بأكل الطرموق، فأصابها من أجله الاستمصال، أن يمّن الله عليها بالاطرعاش والابرعشاش ، فكل من قرأ رقعته دعا عليها، ولعنه ولعن أمه»[١] .

ويكتفي أبو هلال بشرح المفردات الصعبة فيقول: الطرموق: العين والاستمصال: الاسهال، واطرغش وابرعش: إذا أبل وبرأ[٢] .

ويضرب أبو هلال بعد ذلك أمثلة على كلام يشتمل على التقرب من المعنى البعيد[٣] وكلام لا حشو فيه[٤] .

أما قرب المأخذ فهو أن تأخذ عفو الخاطر، وتتناول صفو الهاجس، ولا تكد فكرك، ولا تتعب نفسك، ويرى أبو هلال ان هذه صفة المطبوع وروى أن الرشيد - أو غيره - قال لندمائه وقد طلعت الثُريا: أما ترون الثريا، ؟ فقال بعضهم: كأنها عقد ريّا[٥] .

وأما أعلى رتب البلاغة فيما يرى أبو هلال - فهي أن يحتج للمذموم حتى يخرجه في معرض المحمود، وللمحمود حتى يصيره في صورة المذموم - من ذلك أن عبدالملك بن صالح ذم المشورة وهي ممدوحة بكل لسان فقال: «ما استشرت احداً إلاّ تكبر عليّ، وتصاغرت له، ودخلته العزة، ودخلتني الذلّة، فعليك بالاستبداد فإنّ صاحبه جليل في العيون، مهيب في الصدور، فإذا افتقرت الى العقول حقرتك العيون فتضعضع شأنك، ورجفت بك أركانك، واستحقرك الصغير، واستخف بك الكبير، وما عزّ سلطانٌ لم يغنه عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحائه[٦] .

ويضرب أبو هلال مثالاً من النثر، على جيد الوصف كقول امرأة في وصف الناقة النجيبة: عقاب إذا هوت، وحيّة إذا التوت، تطوي الفلاة وما انطوت[٧] .

---

(١) كتاب الصناعتين: ٤٥، ٤٦

(٢) ذاته والصفحة ذاتها

(٣) ذاته ٤٧

(٤) ذاته: ٤٩

(٥) ذاته والصفحة ذاتها

(٦) ذاته: ٥٣

(٧) ذاته ٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن عيوب الكلام: تكرير الكلمة الواحدة في كلام قصير، ويضرب مثالاً علي ذلك قول سعيد بن حميد: ومثل خادمك بين ما يملك فلم يجد شيئاً يفي بحقك، ورأى أن تقريظك بما يبلغه اللسان - وان كان مقصراً عن حقك - أبلغ ما يجب لك» ويعلق أبو هلال على هذا بقوله: «فكرر الحق في المقدار اليسير من الكلام»[١].

ومن شروط النثر عنده أن ترتب الألفاظ ترتيبا صحيحا وينبغي ان يتجنب الكاتب جميع ما يكسب الكلام تعمية، ويتجنب السقيم منه وهو مثل ما كتب بعضهم. «لفلان - وله بي حرمة - مظلمة.

يقول أبو هلال وكان ينبغي ان يقول لفلان وأنا ارعى حرمته مظلمة[٢].

وفي قضية لكل مقام مقال: يرى أبو هلال ان أولّ ما ينبغي ان يستعمله الكاتب في مكاتباته ان يكاتب كلّ فريق على مقدار طبقته وقوته في المنطق، ويضرب على ذلك أمثة من الكتب التي أرسلها الرسولﷺ الى ملوك ورؤساء الدول كل حسب معرفته بالعربية ومن ذلك رسالته الى أهل فارس: سلامٌ على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله فادعوك بداعية الله، فأني انا رسول الله الى الخلق كافة لينذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين. فأسلم تسلم، فإن أبيت فإثم المجوس عليك»[٣].

ويعلق أبو هلال: «فسهل ﷺ الألفاظ كما ترى غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة في العربية»، ولما أراد ﷺ أن يكتب الى قوم من العرب فخم اللفظ، ولما عرف من فضل قوتهم على مهمة وعادتهم لسماع مثله، وكذلك كتابه صلى الله عليه وسلم لأكيدر صاحب دومة الجندل[٤].

أما حسن الرّصف وجودة السبك في النثر فيكون بتقديم ما ينبغي تقديمه وعكسه سوء الرصف الذي يكون بتقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن وجوهها، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها[٥].

يقول أبو هلال: «وأمثال الحسن الرصف من الرسائل ما كتب بعضهم: ولولا أنّ أجود الكلام ما يدل قليله على كثيره، وتغني جملته عن تفصيله لوسعتُ نطاق القول فيما انطوى عليه من خلوس المودّة، وصفاء المحبة، فجال مجال الطرف، في ميدانه، وتصرّف تصرف الرّوض في افتنانه، لكنّ البلاغة بالإيجاز أبلغ، من البيان بالاطناب»[٦].

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٥٣

(٢) ذاته والصفحة ذاتها

(٣) ذاته ١٥٥، والرسالة في تاريخ الطبري ٢: ١٣٣ والخبر في سيرة ابن هشام تحقيق مصطفى السقا ٤: ٦٠٧

(٤) ذاته: ١٥٥، ١٥٦

(٥) ذاته: ١٦١

(٦) ذاته: ١٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتظهر شخصية أبي هلال إذ يوازن بين قول الله تعالى وغيره من كلام البشر فعند حديثه عن الايجاز يرى ان الايجاز نوعان ١.ايجاز قصر ٢.ايجاز حذف[١] ويضرب على ذلك مثالا لقوله تعالى ﴿ولكم في القصاص حياة﴾[٢] ويعلق أبو هلال ان قول الله تعالى في هذه الاية أبلغ من قول الناس «القتل أنفى للقتل» ويعلل أبو هلال رأيه هذا بأن لفظ القرآن بعيد من الكلفة بالتكرير ويرى أن لفظ القرآن متميز بحسن التأليف وشدة التلاؤم المدرك بالحسن لان الخروج من الفاء الى اللام أعدل من الخروج من اللام الى الهمزة»[٣] .

ومن الحديث الشريف يضرب مثالا قوله ﷺ: اياكم وخضراء الدمن» وقوله ﷺ «ان من البيان لسحرا» يقول ابو هلال: فمعاني هذا الكلام اكثر من الفاظه، واذا أردت ان تعرف صحة ذلك فحلها وابنها بناء آخر، فإنك تجدها تجيء في اضعاف هذه الألفاظ[٤] وبعد ذلك يضرب أمثلة من كلام الناس كقول اعرابي «اللهم هب لي حقك، وارض عني خلقك»[٥] .

وعند حديثه عن ايجاز الحذف يضرب عدداً من الأمثلة من كتاب الله وكلام الرسول ﷺ وأقوال الكتاب، ولا يبدي رأيه في ذلك كله الى أن يصل الى قول بعض الكتاب. ويجعله أبو هلال مثالا على الحذف الرديء، «فما زال حتى أتلف ماله ، وأهلك رجاله، وقد كان ذلك في الجهاد والابلاء احق بأهل الحزم وأولى» .

يقول أبو هلال : «والوجه أن يقول فأن اهلاك المال، والرّجال في الجهاد والإبلاء أفضل من فعل ذلك في الموادعة.

ويعلق أبو هلال «ومثل هذا مقصر غير مبلغ ما تقدم في هذا الباب من الحذف الجيد[٦] .

وعند تعريف البلاغة من زاويتي الايجاز والإطناب يقول: «البلاغة الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل»[٧] . ويرى أبو هلال ان الكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور الجسيمة والفتوح الجليلة وما إليها من الموضوعات المهمة، فسبيلها الى أن تكون مشبعة مستقصاة، ويضرب على ذلك مثالا كتاب المهلب

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٧٥

(٢) البقرة : ١٧٩

(٣) كتاب الصناعتين: ١٧٥.

(٤) ذاته ١٧٨

(٥) ذاته: ١٧٨، ١٧٩

(٦) ذاته: ١٨٨

(٧) ذاته: ١٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى الحجاج في فتح الأزارقة[١] . كما يرى ان الايجاز في مجال العذل والتوبيخ غير مختار، فالإطناب بلاغة، والتطويل عي»[٢] يقول المهلب: الحمد لله الذي كفى بالاسلام فقد ما سواه، وجعل الحمد متصلا بنعمته، وقضى ألا ينقطع المزيدُ من فضله، حتى ينقطع الشكر من خلقه، ثم إننا كنا وعدوّنا على حالتين مختلفتين، نرى فيهم ما يسرّنا اكثر مما يسوونا، ويرون فينا ما يسوءهم اكثر مما يسرهم، فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم، ينصرنا الله ويخذلهم، ويمحصنا ويمحقهم حتى بلغ الكتاب بنا وبهم أجله، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين»[٣] .

ومثال الثاني الايجاز مجال العذل والتوبيخ ما روي عن الوليد بن يزيد اذ كتب الى والي العراقين حين عتب عليه: «إنّي أراك تقدم في الطاعة رجلاً، وتؤخر اخرى فاعتمد على أيهما شئت والسلام»[٤] .

ويضرب أمثلة أخرى ويعلق على هذه الأقوال: فهذا الكلام في غاية الجودة والوجازة، ولكن لا يصلح من مثل صاحبه وبالإضافة الى حاله»[٥] . ويرى أبو هلال ان الإطناب يعدُّ إيجازاً رذا لم يكن منه بدّ، كما يرى أن الإطناب يكون محموداً في المواعظ والايجاز محمود في الإفهام، ثم يضرب على ذلك مثالا قوله تعالى ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون، أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾[٦] ويعلق أبو هلال بقوله: فتكرير ما كرر من الألفاظ ها هنا في غاية حسن الموقع[٧] .

وعوداً الى صفات الكاتب والخطيب يرى أبو هلال أن الكاتب في مجال الاعتذار ينبغي ألا يكثر من النكت التي يظن أنها تبرىء ساحته من الاساءة، والتقصير، فإن ذلك مما يسوء الحكام، والرؤساء، والذي جرت به العادة ان يعترف هؤلاء من خدمهم بالتقصير، والتفريط في أداء حقوقهم فإنّ ذلك يظهر فضل الأمراء في العفو والتجاوز، أما المبالغة في التنصل من كلّ ذنب ، فلا موضع لإحسان الأمراء بل ذلك أمرٌ واجب للمسيء[٨] .

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٩٠، ١٩١

(٢) ذاته: ١٩٠

(٣) ذاته والصفحة ذاتها

(٤) ذاته: ١٩١

(٥) ذاته: ١٩١

(٦) الأعراف: ٩٧

(٧) كتاب الصناعتين: ١٩٢

(٨) السابق: ١٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نعمنا عليه، وتظاهر إحساننا لديه فيكون الفصل الأخير داخلا في معناه في الفصل الأول ثم يضرب أمثلة من الشعر ثم مثالا من القرآن الكريم: ﴿ان الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾[١] ويعلق أبو هلال «فالاحسان داخل في العدل، وايتاء ذي القربى داخل في الاحسان، والفحشاء داخل في المنكر، والبغي داخل في الفحش.

يتناول أبو هلال قضية حسن الاخذ من الشعر إلى النثر ويضرب مثالاً على ذلك قول ابراهيم بن العباس الذي اخذه من قول ابي تمام «وأصبح ما كان يحرزهم يبرزهم ، مما كان يعقلهم تقبلهم الى موضع آخر فقال: واستنزلوه من معقل إلى عقال ،وبدّلوه آجالاً من آمال ويرى انه مأخوذ من قول ابي تمام :

وأن يبن حيطاناً عليه فإنما　　أولئك عُقالاته لا معاقله[٢]

والعقالات القيود، والمعاقل الملاجيء واحياناً يكون العكس وذلك كأن يأخذ الشاعر معانيه من النثر من ذلك ما سمعه أبو تمام من قول زياد لابي الاسود لولا أنك ضعيف لاستعملتك فقال ابو الاسود : ان كنت تريدني للصراع فإني لا اصلح له، وإلا فغير شديد أن آمر وأنهى فقال ابو تمام :

تعجب أن رأتْ جسمي نحيفاً　　كأن المجدَ يدْرك بالصّراع[٣]

ومما يتصل بنقد النثر ذلك الذي اورده ابو هلال من أساليب في حلّ المنظوم أعني نقل الشعر إلى نثر فيقرر ابو هلال أن حلّ المنظوم ونظم المحلول ، اسهل من إنشائهما ، وذلك ان المعاني تكون حاضرة بخلاف ابتداء الكلام فإن المعاني تكون غائبة [٤] وفي سبيل ذلك يقسم ابو هلال محلول الشعر الى اربعة انواع يجعل ارفعها ذلك النوع الذي تكسوه الفاظاً من عندك ولا يضرب عليه مثالا[٥] بل يضرب مثالاً على ما اخذ من الحديث الشريف ويبدو ابو هلال ميالا بدور حل المنظوم في مجال التدرب على صنعة الكتابة وينقل قول بعضهم « الكتابة نقض الشعر»[٦] وسؤال للعتابي: بم قدرت على البلاغة؟ فقال: بحل معقود الكلام، وأحيانا يكون قبح الأخذ شعرا مأخوذ من نثر كما أخذ أبو نواس قوله:

بأبي انت من مليح بديع　　بدٌ حسن الوجوه حسنٌ قفاكا

---

(١) النحل: ٩٠

(٢) كتاب الصناعتين :١٩٥

(٣) ذاته :٢٠٤ ، ديوانه :٢٣١

(٤) ذاته :٢١٢

(٥) ذاته :١٢٦

(٦) ذاته : ٢٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي اخذه من قول النابغة للنعمان بن المنذر: أيفاخرك ابن جفنة؟ واللات، لأمسك خير من يومه، ولذراك أحسن من وجهه وليسارك اسمح من يمينه ولعبيدك اكثر من قومه... الخ»[١].

وعندما يذكر أبو هلال اوجه التشبيه الأربعة يضرب عليها جميعا امثلة من القرآن الكريم ويرى ان اكثر وجوه التشبيه في القرآن تجري على النوع الرابع مما ذكر وهو اخراج ما لا قوة له في الصفة على ما له قوة منها كقوله سبحانه ﴿وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام﴾[٢] والجامع بين الأمرين العظم، والفائدة: البيان عن القدرة في تسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون من الماء كما يقول أبو هلال[٣].

ولأن التشبيه يزيد المعنى وضوحاً فقد أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه ويضرب مثالا على ذلك قول ابن المقفع: «الرجل ذو المروءة يكرم على غير مال كالأسد يُهاب وان كان رابضاً، والرّجل الذي لا مروءة له يهان وان كان غنياً كالكلب يهون على الناس وان عس وطوف وامثلة اخرى[٤]. وعلى سماجة التشبيه ـ كعادته في المقابلة بين الجيد والردىء ـ يضرب أبو هلال مثالاً على قول علي الأسواري: «فلما رأيته اصفر وجهي حتى صار كأنه لون الكشُوث[٥]. فقال له محمد بن الجهم: كم آخذ من الدواء الذي جئت به؟ قال: مقدار بعرة.

ويعلق أبو هلال قائلا: «فجاء بلفظ قذر، ولم يبن عن المراد، لأن البعر يختلف في الكبر والصغر ولا يعرف أبعرة ظبي أراد أم بعرة شاة أم بعرة جمل[٦].

أما منثور الكلام ـ عنده ـ فلا يحسن حتى يكون مزدوجاً ولا يكاد كلام بليغ يخلو من الازدواج. ثم يضرب أبو هلال أمثلة على الازدواج من اوساط الايات في القرآن ثم يضرب أمثلة من فواصل الايات ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾[٧] والفواصل كقوله تعالى ﴿فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث﴾[٨] أما قوله تعالى ﴿وانه هو اضحك وأبكى، وأنه هو أمات وأحيا﴾[٩]، فيرى أبو هلال ان هذا من المطابقة التي لا نجد في كلام الخلق مثلها حسناً، ولأشده

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٣١

(٢) الرحمن: ٢٤

(٣) كتاب الصناعتين: ٢٤٢

(٤) ذاته والصفحة ذاتها.

(٥) الكشوث: نبات مجتث مقطوع الاصل، وقيل لا أصل له وهو اصفر يتعلق بأطراف الشوك «ينظر الصناعتين ٢٥٩»

(٦) كتاب الصناعتين: ٢٥٩

(٧) ذاته ٢٦٠

(٨) ذاته ٢٦٠، والايات سورة (الضحى) ٩ ـ ١١

(٩) سورة النجم: ٤٣، ٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اختصار، على كثرة المطابقة في الكلام، وكذلك جميع ما في القرآن يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى، وصفاء اللفظ، وتضمن الطلاوة، والماء لما يجري مجراه من كلام الخلق[١]. من ذلك ما يضربه مثالا قول الله سبحانه: ﴿والعاديات صبحا، فالموريات قدحا، فالمغيرات صبحا، فأثرن به نقعا، فوسطن به جمعا﴾[٢] يقول أبو هلال: قد بان عن جميع أقسامهم الجارية هذا المجرى، من مثل قول الكاهن: والسماء والارض، والقرض والفرض والغمرة والبرض»[٣] ويرى أبو هلال ان هذا السجع مذموم لما فيه من التكلف والتعسف، ويضرب أمثلة على السجع والازدواج من كلام الرسول صلى الله عليه أيّها الناس، افشوا السلام، واطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوّا بالليل، والناسُ نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[٤] ويرى أبو هلال أن كل ذلك يؤذن بفضيلة التسجيع على شرط البراءةمن التكلف، والخلو من التعسف.[٥]

يجعل أبو هلال السجع على وجوه عدة أحسنها أن يكون ألفاظ الجزأين المزدوجين مسجوعة، فيكون الكلام سجعا في سجع وذلك إذا سلم من الاستكراه ويضرب على ذلك مثالا قول الصاحب بن عباد: «لكنه عمد للشوق فأجرى جياده غرّاً وقرْحا وأروى زناده قدحاً فقدحا»[٦].

أحياناً يتدخل أبو هلال بتغيير لفظة مكان أخرى حتى يكون الكلام أبلغ من ذلك أنه حين يضرب مثالاً على النوع الثالث من السجع وهو أن تكون الأجزاء متعادلة، وتكون الفواصل على أحرف متقاربة من المخارج إذا لم يمكن أن تكون من جنس واحد.

والمثال من قول بعض الكتاب: «إذا كنت لا تؤتي من نقص كرم، وكنت لا أولى من ضعف سبب، فكيف أخاف منك خيبة أمل، أو عدولاً عن اغتفار زلل، أو فتوراً عن لمّ شعث، أو قصوراً عن إصلاح خلل، ويعلق أبو هلال: « فهذا الكلام جيد التوازن ولو كان بدل «ضعف سبب» كلمة آخرها ميم ليكون مضاهيا لقوله :«نقص كرم» لكان أجود، وكذلك القول فيما بعد»[٧].

ومع السجع لا بدّ من الازدواج في تصوّر أبي هلال. الذي يرى أنه إذا امكن أن يكون كل فاصلتين على

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٦٠

(٢) العاديات ١-٥

(٣) البرض: الماء القليل وهو خلاف الغمر، ينظر الصناعتين ٢٦١

(٤) ذاته والصفحة ذاتها

(٥) ذاته والصفحة ذاتها

(٦) ذاته: ٢٦٣

(٧) ذاته: ٢٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حرف واحد أو ثلاثة أو أربع لا يتجاوز ذلك كان أفضل، فإن جاوز ذلك نُسب الى التكلف، كما يفضل أن تكون الاجزاء متوازنة والا فيرى أن الجزء الأخير ينبغي أن يكون أطول وان جاء في ازدواج الفصحاء ما كان الجزء الأخير منه أقصر، ويضرب على ذلك أمثلة من قول الرسول ﷺ من ذلك قوله للأنصار «إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع»[١] ويرى أبو هلال أن الفواصل ينبغي أن تكون على زنة واحدة وان تعذر كونها حرف واحد، فيقع التعادل والتوازن[٢].

وينهي أبو هلال حديثه عن الازدواج بتناول عيوبه مع ذكر الأمثلة ويتضح من الأمثلة التي أوردها نفوره من التكلف مما يدفعنا الى القول: ان أبا هلال وان كان كناقد عصره يرى أن الأدب صنعة ـ فإنه يميل الى السجية والطبع ونفوره من التكلف والاستكراه[٣].

يأتي القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الكتاب ـ في مجال نقد النثر ـ مثالا على نوع من أنواع البديع ففي الاستعارة ـ التي يعدّها أبو هلال من مباحث البديع لا البيان كما أسلفت في حديثي عن المصطلح النقدي عنده ـ يضرب أبو هلال مثالاً قوله تعالى ﴿ولا يظلمون نقيرا﴾[٤] و﴿لا يظلمون فتيلا﴾[٥] ويعلق أبو هلال وهذا أبلغ من قوله سبحانه «ولا يظلمون شيئا» وان كان في قوله «لا يظلمون شيئا»[٦] لقليل الظم وكثيره في الظاهر، ومثال آخر على غير هذا النوع من الاستعارة قوله تعالى ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾[٧] يقول أبو هلال: «معناه سنقصد، لأن القصد لا يكون إلا مع الفراغ، ثم في الفراغ ها هنا معنى ليس في القصد وهو التوعد، والتهديد زلا ترى قولك: سأفرغ لك يتضمن من الابعاد ما لا يتضمنه قولك: سأقصد لك... الخ وبعد استقصاء أمثلة كثيرة يقول: فهذه جملةٌ مما في كتاب الله عزّ وجل من الاستعارة».

ولا وجه لاستقصاء جميعه، لان الكتاب يخرج عن حدته، ويبدو لي ان أبا هلال تتجلى شخصيته وذوقه النقدي ـ الرّفيع ـ أذ يتوقف عند القرآن الكريم.. يبدو ذلك واضحا في المقابلة بين آي القرآن نفسه بل وفي توقفه عند اللفظ الواحد وتفضيله عمّا سواه مما يعكس سلامة في الذوق وعمقاً في الفكرة وان كان

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٦٤

(٢) ذاته ٢٦٤

(٣) ذاته والصفحة ذاتها

(٤) النساء ١٢٤

(٥) النساء ٤٩

(٦) مريم ٦٠

(٧) الرحمن ٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يترك بعض النصوص تعلق على نفسها.

ويضرب أبو هلال أمثلة مما جاء في كلام العرب: هذا رأس الأمر ووجهه، وهذا الأمر في جنب غيره يسير[١].

ومن أحاديث الرسول ﷺ «الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة»وقوله: «اكثروا من ذكر هادم اللذات»[٢] ومن أقوال الصحابة قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه «السفر ميزان القوم»[٣] ويضرب امثلة على الجناس قوله تعالى ﴿وأسلمت مع سليمان﴾ وقوله تعالى ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾[٤] وقوله ﷺ «الظلم ظُلمات يوم القيامة».

ومن أقوال العرب قول معاوية لابن عباس رضي الله عنهم: «ما بالكم يا بني هاشم تصابون في ابصاركم» : فقال : كما تصابون في بصائركم يا بني أمية[٥]ويضرب على نوع آخر من التجنيس يصفه ابو هلال بأنه يأتي بكلمتين متجانستي الحروف، إلاّ انه في حروفها تقديماً وتأخيراً من ذلك قوله تعالى :« وهم ينهون عنه وينأوْن عنه» وقول عبد الحميد : الناسُ أخياف مختلفون، وأطوار متباينون، منهم علق قضنية لا يبتاع، ومنهم غُل قظنته لا يباع[٦] ويضرب أمثلة على المقابلة، وصحة التقسيم ، وصحة التفسير ولا يضرب أمثلة من الحديث على هذه الانواع. وفي نهاية حديثه يضرب مثالاً على فساد التفسير وذلك ما كتبه بعضهم : «من كان لأمير المؤمنين كما أنت له من الذّبّ عن ثغوره والمسارعة إلى ما يهيب به اليه من صغير أمره وكبيرة ، كان جديراً بنصح أمير المؤمنين في اعماله ، والاجتهاد في تثمير امواله»[٧]ويعلق ابو هلال على ذلك : «ليس الذي قدّم من الحال التي عليها هذا العامل من الذبّ عن الثغور والمسارعة في الخطوب ما سبيله ان يفسر بالنصح في الاعمال وتثمير الاموال ولعلّ لو اضاف الى ذكر الذبّ عن الثغور وذكر الحياطة في الامور لكان بهذا المضاف يجوز ان يفسر بالنصح في الاعمال والتثمير للأموال»[٨]

يضرب ابو هلال امثلة على الاشارة والارداف والمماثلة ولا يتدخل ابو هلال في الامثلة إلا بتعليق قصير لا يقف عند فنية النص : من ذلك انه يضرب مثالاً على الاشارة قول الله تعالى ﴿إذ يغشى السدرة ما

(١) كتاب الصناعتين: ٢٦٤

(٢) ذاته: ٢٧٧

(٣) ذاته والصفحة ذاتها

(٤) ذاته ٣٢٢

(٥) ذاته ٣٢٣

(٦)ذاته ٣٣١

(٧) ذاته ٣٤٧

(٨) ذاته والصفحة ذاتها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يغشى﴾ فالإشارة عنده أن يكون اللفظ القليل مشار به إلى معانٍ كثيرة بايماء إليها ولمحة تدل عليها [١]...

ولدى تعريفه للغلو يضرب عليه مثالاً قول الله تعالى ﴿يوم تذهل كلُّ مرضعة عمّا أرضعت، وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى﴾ يقول ابو هلال: ولو قال تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بياناً حسناً وبلاغة كاملة، وإنما خصّ المرضعة للمبالغة، لأن المرضعة اشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها، وأشغف به لقربه منها ولزومها له لا يفارقها ليلاً ولا نهاراً وعلى حسب القرب تكون المحبة والالف [٢] مما يؤكد القول انه عند القرآن الكريم يكون اكثر توقفاً وأعمق تحليلاً. وإذا كان ابو هلال يضرب أمثلة من أقوال الكتّاب والأدباء. فهو لا ينسى أن يتمثل بنثر من إنشائه هو من ذلك انه يضرب على المبالغة قوله في رسالة: «وكتبت إلى بعض أهل الادب قربك أحب إلى من الحياة في ظل اليسر والسّعة، ومن طول البقاء في كنف الخفض والدّعة، ومن إقبال الحبيب مع إدبار الرقيب، ومن شمول الخصب بعد عموم الجدب، وأقرّ لعيني من الظفر بالبغية بعد اشرافي على الخيبة، وأسرّ لنفسي من الأمن بعد الخوف، والإنصاف بعد الحيف. وأسأل الله ان يطيل بقاءك، ويديم نعماءك، ويرزقني عدلك ووفاءك، ويكفيني بنوّك وجفائك» [٣].

ويعلق ابو هلال على كتابه قائلاً «فقولي: الحياة في ظل اليسر والسعة و«البقاء» في كنف الخفض والدّعة، وقولي: «إقبال الحبيب مع إدبار الرقيب وقولي: «الخصب بعد عموم الجدب» وما بعده إلى آخر الفصول مبالغات [٤] ويضرب امثلة اخرى على الكناية والتعريض والعكس الذي يسميه بعضهم التبديل. كما يضرب امثلة على التذييل وينقل قول بعض البلغاء: للبلاغة ثلاثة مواضع: الاشارة، والتذييل والمساواة [٥] ويعرف التذييل ويذكر انه ضد الاشارة والتعريض ومثاله من القرآن بقوله تعالى ﴿بما كفروا وهل نجازي الاّ الكفور﴾ ويضرب أمثلة اخرى من النثر كما يضرب امثلة على الايغال والتوشيح [٦].

وعندما يضرب ابو هلال مثالاً على رد الاعجاز على الصدور يضرب مثالاً من قوله تعالى: «﴿جزاءُ سيئة سيئة مثلها﴾ ومن النثر ما كتبه بعض الكتاب على خلاف ردّ الإعجاز على الصدور: «من اقترف ذنباً قاصداً، او اكتسب جُرماً قاصراً لزمه ما جناه، وحاق به ما توخاه. والاحسن ان يقول: لزمه ما

---

(١) كتاب الصناعتين: ٣٤٨

(٢) ذاته: ٣٦٥

(٣) ذاته: ٣٦٦، ٣٦٧

(٤) ذاته والصفحة ذاتها

(٥) ذاته: ٣٧٣

(٦) ذاته: ٣٧٤، ٣٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اقترف، وحاق به ما اكتسب » يقول ابو هلال : « وهذا يدلك على ان لرد الاعجاز على الصدور موقعاً جليلاً من البلاغة وله في المنظوم خاصة محلاً خطيراً[١] ثم يضرب امثلة على التتميم والاعتراض.

وحول تجاهل العارف و ومزج الشّك باليقين. إخراج ما يعرف صحته مُخْرَج ما يَشك فيه ليزيد بذلك تأكيداً ويضرب على ذلك مثالاً مما كتبه شخصياً إلى بعض الكتاب : «سمعت بورود كتابك ، فاستفزّني الفرحُ قبل رؤيته ، وهزّ عطفي المرحُ امام مشاهدته فما ادرى اسمعت بورود كتاب أم طفرتُ برجوع شباب، ولم أدر ما رأيت : أخط مسطور أم روض ممطور ، وكلام منثور ؟ آم وشى منشور ؟ ولم أدر ما أبصرت في أثنائه : ابيات شعر ام عقود در ؟ ولم ادر ما ت حملته : أغيث حَل بوادي ظمآن، ام غوْث سيق الى لهفان[٢]».

ويضرب امثلة على الاستطراد، والسّلب والايجاب ، والمذهب الكلامي. الذي يجعله ان المعتز الباب الخامس من البديع. والتشطير ، والاستشهاد والاحتجاج والمضاعفة والتلطف دون ان يقف عند النصوص وقفات فنية تذكر[٣] عندما يتناول ابو هلال مبادىء الكلام ، ومقاطعه ، والقول في حسن الخروج ، والفصل والوصل... يوصي الكتاب بأنْ يحسّنوا الابتداءات فإنهن دلائل البيان وهو لا يعطي أمثلة من النثر بل يورد قولاً عن عبد الحميد الكاتب انه كان لا يبتديء بلولا ولا ان رأيت .[٤]

وأما فضل الابتداء الحسن كما يرى ابو هلال. انه ادْعى الى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام ويضرب امثلة على ذلك افتتاح السور القرآنية بالحروف مثل ألم ، وحم، وطسم، وطم يقول « ولهذا جعل اكثر الابتداءات بالحمد لله ، لان النفوس تتشوق للثناء على الله فهو داعية الى الاستماع ، وقال رسول الله ﷺ : « كل كلام لم يبدأ بحمد الله تعالى فهو ابتر»[٥] وهذا اصبح مقياساً للخطب وجودتها منذ عهد الرسول ﷺ ، ويؤكده ابو هلال في كتابه الذي ينصب فيه نفسه معلماً للصناعتين.

وفي ذكر المقاطع والقول في الفصل والوصل يبدأ ابو هلال الحديث بذكر اقوال القدماء: قيل للفارسي: ما البلاغة ؟ فقال : معرفة الرجل الفصل من الوصل»[٦] ثم يذكر اقوالاً اخرى في فضل معرفة الفصل من الوصل ويضرب امثلة من النثر منها يقول ابو العباس السّفاح لكاتبه: قفْ عند مقاطع الكلام، وحدوده

---

(١) كتاب الصناعتين :٣٨٥

(٢) ذاته :٣٩٦

(٣) ينظر :٤٠٠ وما بعدها

(٤) ذاته :٤٣٧

(٥) ذاته والصفحة ذاتها

(٦) ذاته :٤٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإياك أن تخلط المرعي بالهمل . ومن حليه البلاغة: المعرفة بمواضع الفصل والوصل» يقول الاحنف بن قيس: « ما رأيت رجلاً تكلمّ فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام ، ولا عرف حدوده إلاّ عمرو بن العاص رضي الله عنه .. كان اذا تكلمّ تفقد مقاطع الكلام ، واعطى حق المقام وغاص في استخراج المعنى بالطف مخرج ، حتى كان يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه ، وبين تبعيته من الالفاظ»[١] ويضرب ابو هلال مثالاً على ذلك قول عبد الصمد بن الفضل الرّقاشيّ ابو العباس في وصف شيخ يتكيءعلى عصا، فحمد اللّه عزّ وجل ، وأثني عليه ، ثم ذكر السّماء ، فقال : رفعها اللّه بغير عمد، وجعل فيها نجومً رجم... وأنزل منها ماء مباركاً...وجعل من يُبسها العصا، ثم اقبل على الشيخ، فقال : وكان هذا نطفة في صلب ابيه، ثم صار علقه حين خرج منه، ثم مضغة ثم لحماً وعظماً، فصار جنيناً اوجدد اللّه بعد عدم ، وأنشأة مريداً ، ووفقه مكتهلاً، ونقصه شيخاً حتى صار الى هذه الحال من الكبر، فاحتاج في آخر حالاته الى هذه العصا، فتبارك المدبرّ للعباد « ويورد ابو هلال تعليق « شبيب على هذا الكلام : « فما سمعت كلاماً على يديه احسن منه [٢] ويورد ابو هلال قول المأمون : « ما اتفحص من رجل شيئاً كتفحصي عن الفصل والوصل في كتابه ، والتخلص من المحلول الى المعقود ، وشحذ الفكرة، وإجالتها في لطف التخلص من المعقود الى المحلول » . ويعرّف ابو هلال المعقود والمحلول بقوله : « ان المعقود والمحلول ها هنا هو أنك إذا ابتدأت مخاطبة ، ثم لم ننته إلى موضع التخلصّ مما عقدت عليه كلامك سمي الكلام معقوداً، وإذا شرحت المستور وأنبت عن الغرض المنزوع اليه سُمي الكلام محلولاً[٣] . وقبل ذلك ما كتب بعضهم «وجرى لك من ذكر ما خصك اللّه به، وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدرة، وبُعد الهمة والذكر ، وكمال الاداة والآلة والتمهد في السياسة، والايالة، وحياطة اهل الدين والادب، وإنجاد عظيم الحق بضعيف السبب، ما لا يزال يجرى مثله عند كلّ ذكر يتخذ ذلك، وحديث يؤثر عنك [٤] يقول ابو هلال «فالكلام من أول الفصل الى آخر قوله الضعيف السبب، معقود فلما اتصل بما بعده صار محلولاً [٥] ثم يورد قول بعضهم : « انظر سددك الله ألا تدعوك مقدرتك على الكلام الى إطالة المعقود ،فإنّ ذلك فساد ما اكننته في صدرك، وأردت تضمينه كتابك. واعلم ان اطالة المعقود يورث نسيان ما عقدت عليه كلامك، وأرهفت به فكرتك [٦] وقول بعضهم :«

---

(١) كتاب الصناعتين: ٤٣٨

(٢) ذاته :٤٣٩

(٣) ذاته: ٤٤١

(٤) ذاته والصفحة ذاتها

(٥) ذاته والصفحة ذاتها

(٦) ذاته :٤٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس يحمد من القائل ان يعمي معرفة مغزاة على السّامع لكلامه في اول ابتدائه ، حتى ينتهي الى آخره، بل الاحسن ان يكون في صدر كلامه دليل على حاجته معيّن لمغزاهُ ومقصده....[١]

وبعد هذا التطواف في مختارات ابي هلال الشعرية والنثرية ، فإنني اسجل الملاحظات التالية :

١. يتسم ادب ابي هلال بنضوج العقلية التي وعت حضارة عصره فهو انموذج على نثر الطبقة العالية الذي يراوح بين السجع والترسل ، واذا تتبعنا نثره الادبي الذي ورد منه في « الصناعتين » قطعتان ، فإننا نلاحظ عمق الفكرة ، ورقة المعنى ، وسحر الاسلوب ، وترف التعبير .

أما نثره العلمي الذي الف فيه كتاب الصناعتين : فيتسم بالتعبير عن الحقائق بوضوح ولغة سهلة. من ذلك قوله : « اجناس الكلام المنظومة ثلاثة : الرسائل والخطب والشعر . وجميعها تحتاج الى حسن التأليف وجودة التركيب ، وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً... ويعلق بعض الدارسين : « ولا يستطيع وضع لغة التأليف في مثل هذه السهولة هذه الدقة الاّ الكتّاب المتفوقون[٢]

ومن سمات اسلوبه ايضاً : الاستقصاء الذي نجده في نقده للشعر والنثر على حد سواء.؟ فعندما يريد ان يضرب مثلاً على قضية ما يتتبعها من شعر الجاهلية ، والاسلاميين ويضرب امثلة على النثر من القرآن الكريم، والحديث الشريف ، واقوال الجاهليين والاسلاميين من كتاب وخطباء.

٢. ومما يؤاخذ عليه ابو هلال في نقده على ما يختار من الشعر والنثر إهماله لأسماء الكتاب والشعراء في كثير من الشواهد كأن يقول :« كتب بعضهم» قال الشاعر ، و«قال الاخر» ، كل ذلك من غير تعيين ، وهذا الاهمال لأسماء الكتاب والشعراء. وإن كان ابو هلال لا ينفرد به. الا انه عيب بيّن، إذ يحرم الدارس من تتبع الادب وسماته عبر مراحله التاريخية من حيث المعاني والالفاظ والاساليب والدلالات[٣]

٣. يحمل كتاب الصناعتين كما كبيراً من الشعر والنثر مما يدفعنا الي القول : إن كتاب الصناعتين ليس كتاباً في النقد وحسب و وإنما هو كتاب أدب لا يكاد يد انيه في ذلك كتاب مما قد ألف في هذا القرن، فهو ينتقل من رسالة انيقة الى حكمة بليغة من بيت جيّد الى قطعة مختارة ، وكل ذلك من طريف النثر، وبديع الشعر، الامر الذي يعكس ذائقة رفيعة واختياراً موفقاً. هذا الكم من الشعر ،والنثر يجعل الاستطراد سمة ومنهجاً في «الصناعتين» كما هو سمة من سمات كتاب « البيان والتبيين » ويعلق بعض الدارسين ، « وهو منهج جميل كان يريد به القدماء نشر المعارف الادبية او ما يسمى اليوم بالثقافة العامة[٤]

---

(١) كتاب الصناعتين :٤٤٢

(٢) زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع ٢: ١٢٢

(٣) ذاته :٢: ١٢٨

(٤) النثر الفني : ٢: ١٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ـ والملاحظ ايضا في مجال الشعر والنثر ان ابا هلال ـ ومن سبقه من النقاد ينظرون الى البيت على انه وحده القصيدة ، وقد مرّ في صفحات سابقة ان ابا هلال يعيب التضمين ، ويفضل ان يتم المعنى في بيت واحد لا يتعداه الى اثنين ، ولعله من الافضل ان يُنظر الى وحده الغرض الذي قيل من اجله الكلام . وهذا يجعل النقد اوسع افقاً، ويجعل من المعاني الجزئية وحدات تتكون فيها الرّسالة او الخطبة او القصيدة ـ « كما ينظم العقد من حبات الجمان»[١]

وبعد :

فإن الصناعتين يشتمل على نفحات الادب الجميل ـ وإنْ لم تكن في معظمها من إنشاء ابي هلال وقد جمع هذا الكتاب بين دفتيه من المسائل المتصلة بنقد الشعر والنثر الكثير ـ وهذا يؤكد ما يراه بعض الدارسين : إن نقد الادباء جاء في عمومه اكثر شمولاً من نقد غيرهم، وبالتالي فقد كان نقدهم اقرب إلي الظاهرة الادبية من غيره[٢].

---

(١) النثر الفني :٢:١٣٣

(٢) قاسم المومني ، نقد الشعر في القرن الرابع الهجري ، ١٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

أثر أبي هلال العسكري

في كتب النقد

والبلاغة العربية من بعده

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان لآراء أبي هلال صدى واضح فيمن جاء بعده سواء في العصور الوسطى أم في العصور الحديثة.

ستكون خطتي في هذا الفصل أن آخذ قضية تناولها أبو هلال كاللفظ والمعنى مثلا، ثم أتلمس صدى هذه النظرية عند النقاد يستوي في ذلك من وافقه أو خالفه في رأيه.

الملاحظ أن هذه القضايا متداخلة، إذ نلحظ مثلا ـ أن قضية اللفظ والمعنى يتصل بها الحديث عن الإعجاز والسّرقات توخياً لاستقصاء النظرية النقدية عند أبي هلال وبالتالي النظرية النقدية عند العرب.

وقد انتقيت في هذا الفصل عشر قضايا نقدية هي:

١ـ اللفظ والمعنى

٢ـ الإعجاز

٣ـ الأسلوب

٤ـ البلاغة والفصاحة والبديع

٥ـ السرقات الأدبية

٦ـ فن الشعر

٧ـ الخيال والتشبيه

٨ـ الصدق والكذب الفني

٩ـ ثقافة الشاعر والكاتب والناقد

١٠ـ أبو تمام والبحتري والمتنبي

«أقول أنتقيت هذه القضايا» لإيماني أنّها محاور توقف عندها أبو هلال، ومن سبقه، ومن تبعه من النقاد، وليس يمنع من وجود قضايا أخرى، وإذا كنت قد غضضت الطرف عن مثل هذه القضايا، فإمّا لأنها أقل أهمية، وإمّا لأنها لا بدّ أن تندرج تحت واحدة من هذه القضايا الكبيرة.

ـ اللفظ والمعنى

كان لأهمية اللفظ والمعنى أن استمرت لقرون لاحقة فقد عدّها المرزوقي[١] (ت ٤٢١ هـ) أحد أعمدة الشعر إذ يقول في تعريف عمود الشعراء: «إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف... والمقاربة في التشبيه، والتحام اجزاء النظم والتئامها، على تخيّر من

---

(١) هو الإمام أبو عليّ أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، كان حائكاً من أهل أصفهان، برع في مجال الأدب وأصبح معلماً لاولاد بني بويه، قرأ كتاب سيبويه، له شرح الحماسة لأبي تمام، وشرح المفضليات «للمفضل الضبي، غريب القرآن... الخ أخباره في دمية القصر: ١٠٨، معجم الأدباء ٥: ٣٤ ـ ٣٥، بغية الوعاة: ١٥٩ الاعلام للزركلي ١: ٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما. فهذه سبعة أبواب وهي عمود الشعر، ولكل منها معيار»[١].

أما ابن رشيق[٢] فيتناول هذه القضية إذ يوضح العلاقة بين اللفظ والمعنى بكلام يشبه رأي أبي هلال يقول: «إذا سلم المعنى واختلّ بعض اللفظ، كان نقصا للشعر وهجنه عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح.

وكذلك إن ضعُف المعنى، واختل بعضه، كان للفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح ولا نجد معنى يختلُّ إلاّ من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب، قياساً على ما قدمتُ من أدواء الجسوم والأرواح، فإن اختل المعنى كله وفسد، بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه، وإن كان حسنَ الطلاوة في السمع، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين إلا أنّه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة، وكذلك إن أختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له لأننا لا نجد روحا في غير جسم البتة»[٣].

يقسم ابن رشيق الشعراء الى أربعة اتجاهات:

١. قوم يذهبون الى فخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنّع، ويضرب بشاراً مثالاً.

٢. آخرون أصحاب جلبة وقعقعة بلا طائل معنى إلا القليل النادر ويضرب مثالا أبا القاسم بن هانىء.

٣. فريق يميل الى سهولة اللفظ واللين المفرط كأبي العتاهية والعباس بن الأحنف.

٤. فريق رابع يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ولا يبالي حيث وقع من هجنه اللفظ وقبحه، وخشونته كابن الرومي وأبي الطيب[٤].

أما ابن سنان الخفاجي[٥] ت(٤٦٦ هـ) فقد عاب الذين يكثرون من الوحشي والغريب في كلامهم

---

(١) أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي، شرح ديوان الحماسة (المقدمة) تحقيق: أحمد أمين، عبدالسلام هارون (القاهرة، ١٩٦١): ١:١٦-١٨.

(٢) هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، ولد بالمسيلة وقتل بالمحمدية سنة ٣٩٠ هـ، كان يحترف الصياغة وقرأ الأدب وارتحل الى القيروان وعمره ست عشرة سنة، وقال الشعر حتى علا شأنه اتصل بصاحب القيروان المعز بن باديس الصنهاجي ومدحه فالحقه ابن باديس بديوانه، وعندما نزل عرب هلال على القيروان ارتحل ابن رشيق الى صقلية وظل فيها الى أن مات سنة ٤٥٦ هـ أما أهم مصنفاته: قراضة الذهب في صناعة الأدب، وكتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ت محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، ١٩٨: ١٢٤

(٤) العمدة: ١٢٤

(٥) هو أبو محمد عبدالله بن محمد سعيد بن سنان الخفاجي، تلميذ أبي العلاء المعري، أصبح واليا على قلعة المزار لرشيد الدولة محمود المرداسي لكن ابن سنان ثار عليه فقتله المرداسي بالسم سنة ٤٦٦، كان أديباً بارعاً وشاعراً رقيقا له كتاب سر الفصاحة ترجمته في فوات الوفيات ١: ٢٩٨-٣٠٠، الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووضع شروطاً خاصة للفظ المفرد[١].

ويضرب ابن سنان أمثلة ضربها أبو هلال من قبل منها قول أبي علقمة النحوي حين سقط من فوق دابته واجتمع عليه الناس: «ما لكم تكأكؤون عليّ تكأكوكم على ذي جنّة، افرنقعوا عني» فقد ضربه ابن سنان في معرض حديثه عن شروطه اللفظة الفصيحة بألا تكون وعرة وحشية وهو رأي قال به أبو هلال من قبل ويعلق ابن سنان: «فإن «تتكأكوؤن وافرنقعوا» وحشي بالإضافة الى ما فيها من قبح التأليف»[٢].

أما عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١) فقد بنى نظريته في النظم على أساس من نظرية أبي هلال. ومن قبله الجاحظ. في اللفظ والمعنى إذ يقول «وسبيل الكلام هو سبيل الصياغة والتصوير فإن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع عليه التصوير والصوّغ كالفضة والذهب يُصاغ منهما خاتم أو سوار، فكما أنّ محالا إذ انت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته أن تنظر الى الفضة الحاملة لتلك الصورة، أو الذهب الذي وقع عليه العمل واصنع، كذلك محال إذا أنت تعرف وكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه، وكما أننا لو فضّلنا خاتماً على خاتم، كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتاً على بيت من أجل معناه لا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام»[٣].

يجعل عبدالقاهر الألفاظ أوعية للمعاني يقول: «أنها. أي الألفاظ. خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها»، ويقول: «وإذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك وإزاء ناظرك» ونراه يسخف القول بغلبة المعنى ويرى أن الذين ينصرون المعنى على اللفظ إنما ينكرون الإعجاز ويبطلون التحدي» يقول: «غلط من قوّم الشعر بمعناه، وأقلّ الاحتفال باللفظ، وجعل لا يعطيه من المزيّة. إن هو أعطى. إلاّ ما فضل عن المعنى» وتخلص من ذلك الى أنّ نظرية النظم قائمة على التلاحم بين اللفظ والمعنى.

أشرت في صفحات سابقة من هذا البحث الى تقسيم أبي هلال للمعاني وهي: مستقيم حسن نحو قولك: قد رأيتُ زيداً، ومنها ما هو مستقيم قبيح نحو قولك: قد زيدا رأيت، وإنما قبح لأنك أفسدت النظام بالتقديم والتأخير ومنها ما هو مستقيم النظم وهو كذب مثل قولك: حملتُ الجبل، وشربت ماء البحر»[٤].

ويتضح من هذا التقسيم تنبّه أبي هلال الى مسألة النظم التي جاء بها عبدالقاهر الجرجاني، وبنى عليها مسألة الإعجاز. كما أسلفت..

إن إشارة أبي هلال إلى مثالين واضحين: «قد رأيت زيداً» «قد زيداً رأيت» دعامة أساسية في مسألة

---

(١) سر الفصاحة، شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي (طبعة صبيح ١٣٨٥) (١٩٦٩): ٦٠.

(٢) سر الفصاحة: ٥٧

(٣) دلائل الإعجاز: تحقيق السيد محمد رشيد رضا (بيروت، ١٩٨١): ٢٥٥

(٤) كتاب الصناعتين: ٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النظم، ودلالة واضحة على أن المعنى واللفظ لا يُفصل بينهما إلاّ لغايات الدرس.

لقد توقف بعض المحدثين عند تقسيمات أبي هلال للمعاني قائلا: «... منها ما هو مستقيم النظم وهو كذب مثل قولك حملتُ الجبل.. وامثال ذلك من الكلام الرقيع الذي طغى خلال القرون الوسطى، وأين هذا من نقد الآمدي أو عبدالعزيز الجرجاني اللذين تناولا ما قاله الشعراء فعلا بالدرس والنقد والموازنة دون أن يتسكعا هذا التسكع المنطقي السقيم»[١].

ويجمل بنا أن نتوقف عند هذا الرأي ملياً لنرى ما فيه من الحيدة أو التجني:

بالإضافة الى ما ذكرته في سطور سابقة من أنّ هذا التقسيم كان دعامة وأساساً لنظرية النظم بعد أبي هلال فإنّ الناقدين الكبيرين الآمدي والقاضي الجرجاني قد خصّصا كتابيهما: الموازنة والوساطة ـ للنقد التطبيقي ولم يأت النقد النظري عندهما إلاّ في معرض حديثهما عن قضية في شعر الطائيين ـ البحتري وأبي تمام ـ عند الآمدي والمتنبي عند القاضي الجرجاني وفي هذا ما يبرىء ساحة أبي هلال إذ خصص كتابه للنقد النظري والتطبيقي في مجالي الشعر والنثر منذ العصر الجاهلي حتى عصره وأحسبها حسنة في ميزان أبي هلال الذي تصدى لدراسة الشعر والنثر في مجال أوسع وأشمل مما فعل سلفيه وقد تناول أبو هلال بالدرس البيت والبيتين ومجموعة الأبيات بل القصائد ـ أحيانا ـ والرسالة والخطبة في مجال النثر وفي كل ذلك كان يصدر عن ذوق سليم صقلته الدربة وعمقته الثقافة كما وضحت في الباب السابق من هذا البحث ـ الذوق من خلال المختارات الشعرية والنثرية عند ابي هلال ـ ولست اتوقف عند الفاظ « التسكع» والكلام «الرقيع» اذ احسب انها ليست من النقد في شيء .

وعن دور اللفظ يقول عبد القاهر: «ومما يشهد لذلك ـ يعني دور اللفظة في خدمة المعنى ـ انك ترى الكلمة تردفك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر »[٢] يؤكد ذلك ما نراه من واقع العملية الادبية لذلك اننا في المواد العقلية كالفلسفة والمنطق لا يلزم اكثر من الوضوح والدقة، ومقياسه الافهام ـ اما الادب فمادته العاطفة، والعقل، وبالتالي فإننا نحتاج الى ما هو اكثر من الوضوح ، فاللغة القاموسية تعبر عن الفكر وليس العاطفة فإذا اردنا بعث العاطفة وتصوير الاحساس ، فعلينا ان نستعين برشاقة الكلمات ، وتأليفها وموسيقاها ومواقعها في التراكيب ، ومعانيها المجازية، لذلك لا يمكن ان يقبل الشعر ، ومثله النثر الفني جميع الكلمات الاصطلاحية والعامية والمبتذلة[٣].

---

(١) محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، «مطبعة دار نهضة مصر، بلا تاريخ»: ٢١٧.

(٢) دلائل الاعجاز ٣٨ـ٣٩

(٣)ينظر احمد الشايب ، اصول النقد الادبي : ٢٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اشرت في صفحات سابقة ان النقاد القدماء يجعلون المعاني قسمين :

١. مشترك عام الشركة.

٢. خاص.

ويجعلها عبد القاهر الجرجاني:

١. معنى عقلي

٢. معنى تخييلي

يقول :

«واعلم ان ذلك الاول وهو المشترك العامي والظاهر الجلي والذي قلت ان التفاضل لا يدخلها ،والتفاوت لا يصح فيه ، انما يكون كذلك منه ما كان صريحاً ظاهراً لا تلحقه صنعته، وساذجاً لم يعمل فيه نقش ، فأما اذا ركب عليه معنى ، ووصل به لطيفة ودخل اليه من باب الكناية والتعريض والرمز والتلويح ، فقد صار بما غُير من طريقته ، واستأنف من صورته ،واستُجدّ له من المعرض وكسي من ذلك المعرض داخلاً في قبيل الخاص الذي يملك بالفكرة والتعمل ،ويتوصل اليه بالتدبر والتأمل ».[١]

ومعنى ذلك ان الشركة في المعاني المجردة مشروعة والصياغة وحدها هي التي تخرج هذه المعاني من دائرة العموم الى دائرة الخصوص وسأعود الى هذه الفكرة عند حديثي عن السرقة.

في صفحات سابقة اشرت الى ابيات توقف عندها ابو هلال. وقبله ابن قتيبة. ولم يريا فيها عميق معنى بل جمال لفظ وحسب ومطلعها :

ولما قضينا من منًى كلّ حاجةٍ ومسّح بالأركان من هو ماسحُ

لقد توقف عبد القاهر الجرجاني عند هذه الابيات وقفة طويلة فابدع إذ يقول :« ولما قضينا من منى كلّ حاجة ... فعبر عن قضاء المناسك باجمعها والخروج من فروضها وسنتها من طريق امكنه ان يقصر معه اللفظ وهو طريق العموم، ثم نبه بقوله ومسّح بالأركان من هو ماسح «على طواف الوداع» الذي هو آخر الامر ودليل المسير الذي هو مقصوده من الشعر .

ثم قال : وأخذنا بأطراف الاحاديث بيننا ، فوصل بذكر مسح الاركان ما وليه من زم الركاب وركوب الركبان، ثم دل بلفظة الاطراف على الصفة التي يختص بها الرفاق في الشعر، من التصرف في فنون القول وشجون الحديث او ما هو عادة المتطوفين من الاشارة والتلويح والرمز والايماء ، وأنبأ بذلك عن

---

(١) اسرار البلاغة تحقيق السيد رشيد رضا ، راجعه وعلق عليه محمد محمد شاكر،مكتبة الخانجي د.ت،ص ٢٩٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طيب النفوس، وقوة النشاط ، وفضل الاغتباط كما توجبه الفة الاصحاب وأنسه الاحباب ، وكما يليق بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الإياب ، وتتسم روائح الاحبة والاوطان، واستماع التهاني والتحايا من الخلاّن والاخوان ، ثم زان كلهّ باستعارة لطيفة طبق فيها مفصل التشبيه، وأفاد كثيراً من الفوائد بلطف الوحي ، والتنبيه ، فصرّح أولا بما أومأ اليه الاخذ بأطراف الاحاديث، من أنهم تنازعوا احاديثهم على ظهور الرواحل، وفي حال التوجه إلى المنازل واخبر بعد بسرعة السير، ووطأة الظهر، وأذ جعل سلاسة سيرها بهم كالماء تسيل به الاباطح، وكان في ذلك ما يؤكد ما قبله ، لأن الظهور اذا كانت مطيّته ولان سيرها السيّر السّهل السّريع، فزاد ذلك في نشاط الرّكبان، ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيباً ، ثم قال «بأعناق المطي» ولم يقل «بالمطي»لأن السرعة والبطء يظهر غالبا في أعناقها، ويبين امرها من هو اديها وصدورها ، وسائر أجزائها التي تستند اليهافي الحركة وتتبعها في الثقل والخفة، ويعبر عن المرح والنشاط اذا كان في انفسها بأفاعيل لها خاصة في العنق والرأس ويدل عليها بشمائل مخصوصة في المقاديم »[١].

وهذا كله بالتأكيد لا تؤديه لفظ واحدة بل الفضل فيه الي النسيج العام او « الرصف» كما يسميه ابو هلال يقول: وأعلم ان من الكلام ما انت ترى المزية في نظمه ، والحسن كالأجزاء من الصيغ تتلاحق وينضم بعضها الى بعض حتى تكثر في العين، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه، ولا تقضي له بالحذق والاستاذية وسعة الذرع وشدة المنّة حتى تستوفي القطعة»[٢] وفي العصر الحديث اخذ عليه بعض الدارسين - وعلى من فصل بين اللفظ والمعنى - مجافاته ، ومجافاة هؤلاء للحركة العقلية التي يحس بها الاديب عند كتابته للنثر او الشعر ،ذلك الاديب لا يقف عند المعاني اولاً ثم يختار لها الالفاظ اذ ان التفكير في اللفظ والمعنى تفكير جملي يفكر فيه الاديب مرة واحدة ، وبحركة عقلية واحدة، فعندما تترتب المعاني في الذهن ترتيباً منطقياً ، تتحدر على اللسان بألفاظها الملائمة لها خطابة ، وانحدرت على القلم بألفاظها المطاوعة لها كتابة وشعراً[٣] إن قضية اللفظ والمعنى امتدت الى النقاد الاجانب فيرى (بلا كمير) ان من الضروري ان يركز الناقد اقصى انتباهه على العمل الذي تمارسه اللفاظ وحركات الألفاظ - وأنا اعني بالحركات جميع الاساليب التكنيكية للأدب - بعضها على البعض [٤] وليس من الضروري ان يكون التحليل

---

(١) اسرار البلاغة: ١٦، ١٧

(٢)دلائل الاعجاز : ١٢٤

(٣) ابراهيم سلامة: بلاغة ارسطو بين العرب واليونان«القاهرة ، ١٩٥٢»: ١٥١

(٤) جيروم ستو لنتيز ، النقد الفني ، ترجمة فؤاد زكريا ط ٢ ، مصر ، ١٩٨١: ٧٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«لفظا فحسب» فمن حيث الألفاظ يكون الناقد شارحا للمعاني[١] فلا بدّ ان يوضحّ المعنى الحرفي، ولكن الأهم من ذلك أن يتتبع الفروق الدقيقة في المعنى، والايحاءات التي اكتسبتها الألفاظ، إما في الاتصال العادي، وإمّا في أنواع خاصة من الحديث.

قلت «وليس من الضروري ان يكون التحليل لفظيا فحسب» إذ أنه قد يؤدي الى مناقشة الرمزية الحضارية وغيرها من العلاقات السياقية للألفاظ. وأما «الحركات» فهي الوزن والايقاع، والمجاز و«اللهجة التعبيرية»، والاستعارة والمفارقة.. الخ واخيرا فان «العمل الذي تمارسه... بعضها على بعض» يقصد به تلك المعاني الفنية الخفية التي تكتسبها الألفاظ في علامتها المتبادلة بعضها مع البعض»[٢].

لقد كان أبو هلال من الأوائل الذين أكثروا من تتبع المعاني وبذلك يكون قد تبع حسّه الفني، وذوقه الأدبي فجاءت احكامه فنية خالصة، أفاد منها دارسو البلاغة والنقد بعده.

٢. الإعجاز:

كان للقرآن الكريم. كتاب العربية. أثر كبير في تربية الذوق الأدبي والنقدي ولا غرو في ذلك، فهو المعجز المتعبّد بتلاوته.

إنه ممّا يسترعي الانتباه كثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم عند أبي هلال الذي يرى ان جلال الربوبية وروعتها وراء إعجاز القرآن فتحس وأنت تقرأ الايات أنّ هناك مقاما عالياً، ومثل هذا يتجلى في قوله تعالى ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي﴾[٣] ويرى أبو هلال ان هذا المثال يتضمن دلائل القدرة مع الفصاحة[٤].

أخذ عبدالقاهر الجرجاني هذه الآيات وجعلها أنموذجا يطبق عليه نظريته في النظم وهي واحدة من النماذج التي أخذها الدارسون عن أبي هلال وليس صحيحا ما يراه بعض النقاد المحدثين من أن أبا هلال لم يبحث في «الصناعتين» شيئا ذا بال في إعجاز القرآن والحقيقة أن هذا الفيض من آي القرآن الكريم عند أبي هلال كان بداية لا يستهان بها أفادَ منها الدارسون بعده كالباقلاني (ت٤٠٣هـ) في إعجاز القرآن ثم ابن

---

(١) النقد الفني: ٧٣٣ عن ويميرات وبيردسلي «المغالطة الوجدانية». ٤٨

(٢) النقد الأدبي: ٧٣٣

(٣) هود. ٤٤

(٤) كتاب الصناعتين: ٧٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سنان الخفاجي في «سر الفصاحة» وابن ناقيا البغدادي (٤٨٠ هـ) في تشبيهات القرآن، وضياء الدين بن الأثير في «المثل السائر».

ويتوقف ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦ هـ) عند مسألة الإعجاز.

إن ما فعله أبو هلال العسكري في القرن الرابع، قام بمثله ابن سنان في القرن الخامس، في كتابه «سر الفصاحة» إذ يرى أن معرفة الفصاحة تفيد في امرين أولهما العلوم الأدبية إذ يعرف بها نظم الكلام، وفي العلوم الشرعية، ذلك أن القرآن هو المعجز الدال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم سواء أكان القرآن معجزاً لأنه خرق العادة بفصاحته أم معجزا على مذهب القائلين بالصرفة وفي الحالتين لا غنى عن دراسة الفصاحة، وبيان ماهيتها، ولذلك كان ابن سنان يبحث في أصوات اللغة وفي مدى فصاحة المفرد والمركب وفي بلاغة الكلام.

وعوداً الى عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) فقد كان يؤلف كتابه الذي قرر فيه أن اعجاز القرآن بنظمه، وألف في ذلك كتابه «دلائل الإعجاز» وطريق الوصول الى فهم الإعجاز هو البلاغة والفصاحة ويرى عبدالقاهر ان الذين درسوا البلاغة والفصاحة قد وقفوا دون الغاية ولم يسلكوا منهجاً علمياً دقيقاً، ولعلّ المنهج الذي يقصده هو المنهج التطبيقي الذي يقوم على تحليل الايات تحليلاً فنياً لتخلص في النهاية الى أن بلاغة القرآن ترجع الى نظمه وفي كتابه «أسرار البلاغة» يرى فيه أن جمال الكلام يرجع الى مبلغ تأثيره في النفوس.

إن جهود أبي هلال كانت معيناً ينهل منه اللاحقون فبعد عبدالقاهر وكتابيه في الإعجاز جاء الزمخشري صاحب «الكشاف عن حقائق التنزيل» الذي فسّر القرآن الكريم على أصول بيانية الأمر الذي يكشف آفاقاً جديدة في التعبير القرآني.

أما في الدراسات البلاغية المتأخرة فقد شملت علوم البلاغة الثلاثة وهي المعاني والبيان والبديع.

أما الدراسات القرآنية فكان هدفها في البداية خدمة الأهداف اللغوية التي من شأنها أن تفسر احكام الدين الجديد بيد أن أول بحث في المجاز هو «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (ت١٨٨ هـ) ولفظ مجاز عند أبي عبيدة كان يعني الخروج عن حدود التعبير العادي الى طريق آخر من التعبير فيه فضل تأنق، ولكن المجاز كان في نطاق ضيق. وكان لقيمة كتاب أبي عبيدة أن الأمثلة التي تعرض لها بقيت متداولة في الدراسات

(١) هو أبو القاسم عبدالله بن الحسن بن ناقيا بن داود المعروف بالبندار الشاعر البغدادي ولد عام ٤١٠ هـ. اخذ العلم عن أبيه وعن جماعة منهم أبو القاسم علي بن محمد التنوخي، و عبدالرحمن بن عبيد المخزومي. كان واسع الثقافة كثير الاطلاع على عدد من فنون المعرفة في الدين والفلسفة واللغة والادب . وكان أديباً وشاعراله «الجمال في تشبيهات القرآن، شرح كتاب الفصيح (الثعلب)، قلم الكتاب، مختصر كتاب الأغاني (لأبي الفرج الاصفهاني) ت٤٨٥ هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغوية والقرانية والشعرية بعده. وبهذا المعنى يكون القرآن اولّ موجه للنقد وإن كان علماء عصره ـ عصر أبي عبيدة ـ قد اعترضوا على الكتاب وقاوموا اتجاهه.

أما الدراسات التي جاءت بعده فقد توسع أصحابها في المجاز مثل دراسة الجاحظ في «نظم القرآن» ودراسة ابن قتيبة في «مشكل القرآن».

وليس يهمنا ما اشتملت عليه هذه الكتب من مباحث ولكن المهم أن نشير الى أن هذه الدراسات قد أثرت في الشعر واللغة، فخضعت الدراسات النقدية للمنهج مقابلا لمذهب البلاغيين وأصحاب البديع، وأخذ به جماعة من كبار النقاد في القرآن كالباقلاني وفي الشعر كالآمدي والقاضي الجرجاني[١].

ثم دخلت هذه الدراسات في مرحلة أخرى هي إعجاز القرآن وعلوم البديع والبلاغة، وبطبيعة الحال كان للقرآن أثر كبير في إثارة بعض المسائل الفنية في مجال الأسلوب، الأمر الذي كان مفتاحا لحل لغز الإعجاز وكانت النتائج التي توصل إليها الدارسون قد خدمت الأدب والنقد معا[٢].

ومن الذين تناولوا مسألة الإعجاز حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) وذلك في معرض حديثه عن الصدق والكذب الفني فهاجم المتكلمين الذين ظنوا أن الشعر لا يكون إلا كذبا، ورأى أن محاولتهم هذه ما هي إلا ضرورة لجأوا اليها ليعالجوا موضوع إعجاز القرآن، ولكنهم دخلوا في الوهم ويرى «أن افضل الشعر ما صدق واشتهر، فأحسن الالفاظ ما عذب ولم يبتذل الاستعمال»[٣].

أما لماذا يرى حازم أن جماعة المتكلمين قد دخلوا في الوهم فذلك لأنهم اضطروا الى شيء من علم البلاغة والفصاحة ليعالجوا به موضوع الإعجاز[٤] وواضح من رأيه هذا أنه يخالف الجاحظ وأبا هلال في هذه المسألة.

وقد تناول قضية الإعجاز بعض المحدثين من الأجانب مثل «كليمنت هوارث» الذي يرى ان قوة التعبير لا يمكن بيانها لانه لا يمكن ترجمتها الى لغتهم وذلك لأن الترجمة تضطرهم الى تحليل التعبير الى المعاني التي قصدت اليها وذلك في معرض حديثه عن لغة القرآن[٥] أما «نولدكه» فيرى أن أسلوب القرآن «نصف شعري» ذلك أن له نسقا مستقلا خاصا فيه العاطفة وفيه القوة الفنية التي ترجع الى ما فيه من قوة بلاغية ومن ثم الى ما فيه من خصائص شعرية ويقصد «نولدكه» بالخصائص الشعرية القرآن الذي يلتزم

---

(١) محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي: ٣٦٠ وما بعدها

(٢) السابق: ٣٦١

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب خوجة (تونس، ١٩٦٦): ٦٢

(٤) ذاته والصفحة ذاتها

(٥) أثر القرآن: ٣٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفاصلة القرآنية وليس الوزن والقافية المعروفين في الشعر، ويرى أن للقرآن قيمة فنية وجمالية، وأثرا رائعا عند العرب وعند غيرهم ممن لا يؤمنون، به يقصد غير المسلمين[١].

من ذلك نخلص الى ان أبا هلال قد تأثر بمن سبقه وأثر بمن لحقه وكان لأرائه صدى عندهم، الأمر الذي ارسى قواعد «نظرية النظم» عن عبدالقاهر الجرجاني تلك النظرية التي أجابت عن اسئلة كثيرة متعلقة بالظاهرة القرآنية ومسألة الإعجاز.

٣. الأسلوب :

يكثر الحديث اليوم عن الأسلوب والأسلوبية وعن جدلية النقد والأسلوبية وهل بامكانها ان تحل محل النقد، وبقيت القضية بين أخذ ورد فريق يرى فيها بديلا عن النقد الأدبي وفريق يرى أنها لم تستوف جوانب الظاهرة الأدبية وفريق ثالث يجد ان النقد الأسلوبي له يمكنه ان يستوفي كل جوانب العمل الأدبي وان علم الأسلوب والنقد الأدبي يتعاونان ويتكاملان[٢]

لقد تناول أبو هلال الأسلوب من خلال حديثه عن «الرصف والشروط اللازمة له حتى يكون جيدا كما تناول الأسباب التي تجعل الرصف رديئا.

ولدى حديثه عن تمام حسن الرصف يرى أبو هلال أن القضية أبعد من استقامة الألفاظ وصحة المعاني إذ لا بد من السلاسة والسهولة ـ أو الطلاوة والماء كما يعتبر أبو هلال، كما ربط بين الأسلوب وطرق أداء المعاني إذ تناول قضية المقام والمقال وتناول الإيجاز والإطناب والمساواة، وتواؤم الألفاظ ، وتوخي الصدق، وتحري الحق، واستخدام المطيع من القوافي وتجنب ارتكاب الضرورات، بل إن أبا هلال قد تنبه الى الربط بين «الجنس الأدبي والأسلوب الملائم له وذلك لدى حديثه عن الرسائل والخطب، والاغراض الشعرية كما مر في باب الذوق».

بعد أبي هلال توقف ابن رشيق عند قضية الاسلوب إذ يرى أن الاسلوب هو الصياغة اللفظية ـ وهو في رأيه هذا يشايع أبا هلال يقول ابن رشيق: « قال أبو عثمان الجاحظ أجود الشعر ما رأيته متلاحم الاجزاء ، سهل المخارج، فتعلم بذلك انه افرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري على اللسان كما يجري الدهان، وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لذّ سماعه، وخفّ محتمله، وقرب فهمه، وعذب النطق به، وحلي في فم سامعه، فإذا كان متنافرا متباينا عسر حفظه، وثقل

---

(١) أثر القرآن: ٣٦٣

(٢) شكري عياد، مدخل الى علم الأسلوب (الرياض، ١٩٨٢): ٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على اللسان النطق به، ومجّته المسامع، فلم يستقر منها منه شيء»[١].

أما عبدالقاهر الجرجاني فإن كتابه «دلائل الإعجاز» بداية للانطلاق نحو نظرية لغوية لدراسة النص الادبي من داخل نظرية تعتمد على التركيب اللغوي الذي يتصل باللفظ المنطوق، والكلام النفسي، إذ الجمال ليس مرتبطا باللفظ وحده، أو المعنى وحده، فليس علم المعاني - في البلاغة - إلا جانباً من جوانب علاقة الإسلوب بالمعنى، ذلك أنه يختص بتراكيب الكلام من مسند، ومسند إليه، وإنشاء وخبر، وعلم المعاني، يتصل بالنحو واللغة، لا سيما في المجال الإخباري، ويرفض عبدالقاهر بل يرى أنّ من القصور أن يحصر مجال الإبداع في علم اللغة يقول: «إنك لن ترى نوعا من العلم قد لقي من الضيم ما لقيه ومني من الحيف بما مني به، ودخل على الناس الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه، فقد سبقت اليه نفوسهم اعتقادات فاسدة، وظنون ردية، وركبهم فيه جهل عظيم، وخطأ فاحش، ترى كثيرا منهم لا يرى له معنى اكثر مما يرى للإشارة بالرأس والعين،... يقول إنما هو خبر واستخبار، وأمرٌ ونهي، ولكل من ذلك لفظٌ قد وضع له وجعل دليلا عليه، فكل من عرف أوضاع لغة من اللغات العربية كانت أو فارسية، عرف المغزى من ذلك، ثم ساعده اللسان على النطق بها، وعلى تأدية اجراسها، وحروفها، فهو بيّن في تلك اللغة كامل الآداة، بالغ في البيان، الذي لا مزيد عليه، فتنة الى الغاية التي لا مذهب بعدها... لا يلحق فيرفع في موضع النصب، او يخطىء فيجيء باللفظة على غيرها هي عليه في الوضع اللغوي، وعلى خلاف ما ثبتت به الرواية من العرب، وجملة الأمر انه لا يرى النقص يدخل على صاحبه في ذلك، إلا من جهة نقصه، في علم اللغة. لا يعلم أن ها هنا دقائق واسراراً طريق العلم بها الروية والفكر، ولطائف مستقاها العقل، وخصائص ومعان ينفرد بها قوم قد هدوا اليها ودلوا عليها، وكشف لهم عنها، ورفعت الحجب بينهم وبينها[٢].

ونرى هنا مستويين من الكلام الأول إخباري يستعين بأدوات اللغة لاستخراج الجانب الفكري، والآخر ابداعي يستعين بهذه الادوات نفسها لاستخراج الجانب الجمالي[٣].

أما حازم القرطاجني فقد افاد من نظرية ارسطو في الأسلوب ونظرية عبد القاهر في النظم فهو يربط الاسلوب تارة بالناحية المعنوية وتارة بالجنس الادبي وتارة بالفصاحة والبلاغة[٤]. وهي مسائل توقف

---

(١) العمدة في صناعة الشعر ونقده. ١٧١، ١٧٢

(٢) دلائل الإعجاز. ٥٤، ٥٥

(٣) محمد عبد المطلب/البلاغة والاسلوبية. (مصر ١٩٨٤.) ١٩٤

(٤) شكري عيّاد، كتاب ارسطو طاليس في الشعر. القاهرة. ١٩٦٧. ٢٧٦، ٢٧٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عندها ابو هلال كثيراً لدى حديثه عن اللفظ والمعنى والرسائل والخطب مثلاً [١]

يقول حازم « فأما الجد فهو مذهب من الكلام ، تصدر الاقاويل فيه عن مروءة وعقل بنزاع الهمة والهوى الى ذلك وأما طريقة الهزل فإنها مذهب في الكلام تصدر الاقاويل منه عن مجون وسخف بنزاع الهمة والهوى إلى ذلك »[٢]

فحازم هنا يتناول الاسلوب وخلال الجنس الادبي. الهزل والجد او التراجيديا والكوميديا بمصطلحات المحدثين.

استند ابن خلدون الى كثير مما قاله «حازم القرطاجني» عندما تناول موضوع الرصف الذي ارسى ابو هلال كثيراً من دعائمه يقول ابن خلدون :« ولنذكر هنا سلوك الاسلوب عند اهل الصناعة صناعة الشعر. وما يريدون بها في إطلاقهم . فأعلم انها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج منه التراكيب ، او القالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع الى الكلام باعتبار افادته اصل المعنى الذي هو وظيفته الإعراب ولا باعتبار افادته كمال المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وانما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنظمة عليه باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصّور ينزعها الذّهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويصيرها في الخيال كالقالب او المنوال ، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان ، فيرصبا فيه رصاً كما يفعله البناء في القالب او النسّاج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية لمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللّسان العربي فيه، لكن من الكلام أساليب تختص به، وتوجد فيه على انحاء مختلفة ...»[٣]

والملاحظ هنا أن ابن خلدون قد بنى نظريته في الاسلوب على الترتيب اللغوي، وربط الفن بالنوع الادبي ، ويستخلص من كلام آخر لابن خلدون انه يوضح مفهوم الاسلوب من خلال الشعر والنثر معتمدا في ذلك على خصائص كل نوع من حيث التشكيل اللغوي ، والبناء العروض والمخاطب والمخاطب ومقتضي الحال [٤].

---

(١) كتاب الصناعتين . ١٦١ وما بعدها

(٢) منهاج البلغاء ٣٢٧ ينظر ايضاً :١٢٧

(٣) مقدمة ابن خلدون، (بيروت، بلا تاريخ) . ٤٧٤

(٤) مقدمة ابن خلدون ٤٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي العصر الحديث يطالعنا الزيّات[١] بتعريف الاسلوب بأنه طريقة الكاتب او الشاعر الخاصة في اختيار الالفاظ وتأليف الكلام[٢] ويبدو التأثر هنا واضحا بعد القاهر وذلك عند كلامه حول النظم وتركيب الكلام.

أما الشكل والمضمون فقضيته أثارها الزيات يقول «فلو غيرنا في الصورة تغيّرت الفكرة، وإذا غيّرنا في الفكرة تغيرت الصورة. فقولنا، اعنيك غير قولنا: إياك أعني، وقولنا: كل ذلك لم يكن، غير قولنا: لم يكن كل ذلك[٣] ويقول في موضع آخر فترتيب الألفاظ في النطق يكون بترتيب المعاني في الذهن، وإن مزية الألفاظ ليست في سماعها بالأذن بل حيث ننظر بالقلب، ونستعين بالفكر»[٤].

فهذا كلام قال به عبدالقاهر حول ترتيب الألفاظ على المعاني في النفس.

ويجعل الزيات للأسلوب ثلاث صفات لتحقيق البلاغة هي:

١. الأصالة

٢. الوجازة

٣. التلاؤم[٥].

وإذ يتناول الزّيات الأسلوب فإنه يقيم دراسته على عناصر ثلاثة: المبدع والمتلّقي والأسلوب، فالأساليب تختلف باختلاف الذهن والثقافة والنوع والغرض والحال والشخص الذي يتحدث بأسلوب القصة غير اسلوب الرواية، واسلوب العتاب غير اسلوب الشكر.. واسلوب العامل غير اسلوب العالم[٦] وهي مسائل تناولها أبو هلال لدى حديثه عن الكتب الرسمية[٧].

وعوداً الى «الأسلوبية» التي أشرت اليها في بداية الحديث أقول ان الاسلوبية مذهب ادبي حديث يقوم على ادخال قوانين لغوية عامة قد تشمل عدة لغات او لغة واحدة بالإضافة الى تحليل العمل الأدبي بعيدا عن

---

(١) هو احمد حسن الزيّات ولد سنة ١٨٨٦ م وتعلم بالازهر، ثم عمل بالتدريس، وأجاد الفرنسية ثم التحق بالحقوق، وحصل على اجازتها من باريس أنشأ مجلة الرسالة، وانتخب عضوا بمجمع اللغة العربية ورأس مجلة الأزهر من اهم مؤلفاته: وحي الرسالة في اصول الادب، دفاع عن البلاغة تاريخ الادب العربي، كما ترجم آلام فارتر توفي عام ١٩٦٨م

(٢) دفاع عن البلاغة، عالم الكتب ط ٢ ١٩٦٧ ٦٨

(٣) السابق: ٧٤

(٤) ذاته: ٧٥

(٥) ذاته: ٩٥ وما بعدها

(٦) ذاته: ٩٣، ٩٤

(٧) كتاب الصناعتين: ١٣٦ وما بعدها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أشخاص الأدباء، وانصب الاهتمام على نسيج لغة الشاعر والنظر إليه بوصفه ناحية من نواحي الخيال وذلك يشمل طبيعة الموهبة الشعرية والكشف عن خصائصها وكان محور هذه الحركات في الغرب شعر (ت.س. اليوت) ومقالاته النقدية اضافة الى المناقشات والتعليقات التي كان يكتبها الناقد (وندام لوس)[١].

إن التركيز على العناصر الجوهرية للعمل الفني هو السبيل الذي تستمر فيه الدراسات الاسلوبية[٢] فالاسلوبية تكتفي بتحليل النص الأدبي من داخل ولا يتخطى ذلك الى تقييم الأثر الأدبي بالاحتكام الى عوامل اخرى كالتاريخ مثلا. وتبيان رسالة الأدب، وبهذا المعنى يكون النقد أشمل من الأسلوبية.

إذن فالأسلوبية تهتم باختيار الالفاظ التعبيرية التي تشكل الرصيد المعجمي للأديب.أو ثروته اللغوية. ثم تقوم علاقات بين هذه الألفاظ قابلة للتبديل فإذا وقع الاختيار على احدها انعزلت البقية، وتزدوج العلاقات الاستبدالية في الكلام بالعلاقات الجانبية أما العلاقات الجانبية، فتتمثل في ترتيب الألفاظ بما تقتضيه علم النحو والصرف ولعله من نافلة القول ان كلّ لغة تتميز بقواعدها التي توضح ما هو جائز وما هو غير جائز من علاقاتها الاستبدالية.

وإذا كان القدماء. وأبو هلال من أهمهم. قد تناولوا اللفظ وقيمته. فإن المحدثين قد بينوا ان اللفظة لا قيمة لها إذا نظرنا لها في حدودها الاستبدالية، ذلك أنّه لا قيمة للفظ بمعزل عما يجاوره، وأظن ان هذا ما قد فعله عبدالقاهر الجرجاني منذ ما يقارب الف عام ومن سبقه من العلماء الذين اخذ عنهم كأبي هلال والجاحظ الأمر الذي فتح المجال واسعا للحديث في الأسلوب والاسلوبية، وجعل الاسلوبية وسيلة مهمة من وسائل دراسة الادب بما يثري الدراسة في قضية اللفظ والمعنى او الشكل والمضمون في استخداما المحدثين.. وقد اشرت ان اللفظ هو محور الدراسة الأسلوبية من حيث سياقه وايحاءاته الكثيرة الامر الذي يجعل للغة استعمالا إراديا واعياً بحيث يصنع المبدع بالكلمات ما يصنعه الرسام بالالوان وليس ادل على ذلك من هذه الوقفة الطويلة التي وقفها عبدالقاهر من قول النابغة:

وإنّك كالليل الذي هو مُدركي وإنْ خلتْ أنّ المنتأى عنك واسع

والذي سبق ان ذكره أبو هلال[٣].

والنظرة الاسلوبية تمزج المقاييس اللغوية والاصول النقدية ما استطاعت الى ذلك سبيلا مستندة في ذلك الى ان عملية الإبلاغ اخبارية بالدرجة الاولى، وتأتي الإثارة في الدرجة الثانية والإثارة تكمن في

---

(١) شفيع السيد، الاتجاه الاسلوبي في النقد الادبي، دار الفكر العربي ١٩٨٦م ٧٢.٧٣

(٢) السابق: ٧٥

(٣) ينظر كتاب الصناعتين: ٧٥ ثم أسرار البلاغة: ٢٢٢ وما بعدها والبيت في ديوان النابغة: ٧١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جماليات العمل الادبي، وبذلك فإن الاسلوبية تتحرى دراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري الى وظيفته ليؤثر ويقنع في آن واحد. والتأثير والاقناع يأتيان من ترابط الشكل والمضمون ـ كما أسلفت ـ ذلك أن الفصل بينها يحول دون النفاذ الى الخواص الحقيقية للنص الادبي ولأن الاسلوبية تعني بالنص من داخل فإنها تفادت الثنائية بين اللفظ والمعنى.

إن الأسلوبية تعنى بربط الاسلوب بمبدعه تارة وبمتلقيه تارة اخرى، ذلك لأن اهمية الاسلوب تنبع مما يتركه العمل الأدبي من اثر كما تعنى الاسلوبية بالناحية الوظيفية للعمل الادبي والتي تقوم على تحليل النص من خلال سياقاته الايحائية الأمر الذي يركز على جانب السياق الوظيفي وليس المعنى المعجمي[١] وهو الامر الذي أشار اليه أبو هلال[٢]. ومن سبقه ـ لدى حديثهم عن قضية المقام والمقال فيما أرى.

لقد نقد أبو هلال كثيرا من الأبيات، وبيّن ما فيها من فساد في المعنى أو التشبيه معتمداً على ثقافته الأدبية واللغوية وتبعه في ذلك بشكل اعمق عبدالقاهر الجرجاني مما يدخل اليوم في باب «التوصيف اللغوي» الذي يعدُ من أهم محاولات المنهج الاسلوبي لتحليل النص الادبي وإخلاص ما فيه من شحنات عاطفية تنبع من الحس الجمالي عند المبدع[٣].

ونخلص من ذلك الى ان الاسلوبية تهتم بكل ابداع ذي طبيعة لغوية دون الاعتماد على قوانين مسبقة، فالجمال في النص يكون من خلال الصياغة وهذا تطوير لدور البلاغة التي انحصرت في عصورها المتأخرة داخل الشروح، والتلخيصات الامر الذي جعل فجوة بين الادب اللغة، وجعلت النقد يستمد مقوماته من مجالات خارج النص يحوم حول القضايا التي يعالجها وما فيها من عواطف وخيال ولكن لا يصيب من اللغة إلا قليلا[٤].

وفي العصر الحديث حاول كلٌ من احمد حسن الزيات، واحمد الشايب أن يقيما الادب على عناصر متعددة كالاسلوب والصياغة اللفظية بينما ترى الأسلوبية ان النص الأدبي يؤول في النهاية الى التعبير.

وكلاهما حول البحث البلاغي الى بحث اسلوبي يقوم على ربط بعض الظواهر التركيبية بتنوعها على العاطفة والخيال، واعطاء العبارة اللفظية كيانا مستقلاً[٥].

---

(١) الإتجاه الأسلوبي: ١٣٨

(٢) ينظر كتاب الصناعتين: ٢٧، ١٣٥

(٣) الاتجاه الاسلوبي: ١٣٩

(٤) السابق: ٩٢

(٥) البلاغة والأسلوبية: ١٢، ١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ـ البلاغة والفصاحة والبديع:

أشرت في الفصل الأول من هذه الدراسة الى جهود ابي هلال في مجالي البلاغة والبديع ففي مجال البلاغة تناولتُ مفهوم ابي هلال للبلاغة وبينت أنها تلتقي مع مفهوم النقد وأن مباحث البلاغة والنقد في عصر الدراسة ـ القرن الرابع الهجري ـ كانت مختلطة متداخلة إذ يعد كتاب الصناعتين نقطة انعطاف في تاريخ النقد والبلاغة العربية كما اسلفت ـ كما وضحت مفهوم ابي هلال للفصاحة إذ يرى انهما تارة يتفقان وتارة يختلفان .

وفي مجال البديع اشرت الى الفنون التي اضافها ابو هلال على الدارسين في الباب الذي خصصه لهذا المجال كما اوردت تعريفاً لكل مصطلح اضافة ابو هلال[١].

لقد كان لصنيع ابي هلال من تعريف البلاغة والفصاحة دور واثر فيمن جاء بعده:

تناول ابن رشيق بعض آراء ابي هلال فقد تناول المخترع والبديع من الشعر كما اورد تسعة وعشرين نوعاً من البديع منها عشرون نوعاً سبقه اليها ابن المعتز وقدامة بن جعفر وابو هلال الاستعارة والاشارة والتجنيس والتصدير أورد الاعجاز على الصدور والمطابقة، والمقابلة والتقسيم ، والترصيع والتفسير...الخ[٢].

فقد سار ابن رشيق على خطى ابي هلال إذ يعرف الفن البديعي ثم يشفعه بالأمثلة والشواهد من الشعر والنثر.

أما ابن سنان الخفاجي فقد تلقف رأي ابي هلال في البلاغة والفصاحة ونماه، وجعل من الفضل بين المصطلحين اساساً يقيم عليه كتابه « سر الفصاحة» لكن ابن سنان لم يقصر البلاغة على علم المعاني كما يرى ابو هلال وإنما ضمّ اليها الالفاظ وبذلك فإن الفصاحة عنده خاصة بالألفاظ في حين أن البلاغة وصف للألفاظ والمعاني معاً ، فالكلمة الواحدة التي لا تدل على معنى يفضل عن مثلها لا يقال فيها انها بليغة وإنْ قيل فيها إنها فصيحة وكل الكلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغاً[٣] ومن خلال تحديده لهذين المصطلحين يعالج كثيراً من الانواع باعتبارها عناصر تندرج تحت مدلولي كل منهما بطريقة او بأخرى، فهو يجعل الفصاحة فصاحة اللفظ المفردة وفصاحة التأليف او الكلمات المنظومة بعضها مع بعض ويجعل لذلك كله شروطاً.

---

(١) ينظر الفصل الاول في هذه الدراسة.

(٢) ينظر العمدة : ٢٦٨ وما بعدها

(٣) سر الفصاحة : ٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو ابن سنان معجباً بقول بعضهم «يكفي من حظ البلاغة إلا يأتي السامع من سوء إفهام الناطق ولا الناطق من سوء فهم السامع . وهذا كلام مختار في تفضيل البلاغة »[١] .

وليس بعيداً عن ذلك رأي الثعالبي قبل ابن سنان - ت. ٤٢٩ هـ الذي يرى ان البلاغة تعني موافقة الكلام لمقتضى الحال[٢] .

اما ابن الاثير فالبلاغة عنده تشمل الالفاظ والمعاني وهي اخص من الفصاحة ويفرق بينها وبين الفصاحة من وجه اخر غير الخاص والعام وهو انها لا تكون الا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب ، فإن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة ويطلق عليها اسم الفصاحة اذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن واما وصف البلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاماً[٣] .

والسكاكي (ت ٦٢٦هـ) يرى ان البلاغة «بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها »[٤] وعودا الى البديع فقد الف اسامة ابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) كتاب «البديع في نقد الشعر » جمع فيه ما ذكره السابقون من فنون ووزعها في خمسة وتسعين باباً .

والبديع حتى عصر اسامة ابن منقذ كان يشمل فنون البلاغة جميعاً لأنها كانت غير مقسمة الى علومها الثلاثة الى أن جاء السكاكي وقسم البلاغة الى المعاني والبيان والحق بهما البديع الذي ذكر منه ستة وعشرين محسناً معنويا ولفظياً لكنه لم يطلق عليها هذا المصطلح - البديع - واول من اطلق هذا المصطلح على المحسنات هو بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦) في كتابه «المصباح»وقسمها الى لفظية ومعنوية ، والمعنوية : اما مختصة بالافهام والتبيين ، وإما مختصة بالتزيين والتحسين وتبعه الخطيب القزويني[٥] (ت ٧٣٩ هـ) وسميّ القسم الثالث من البلاغة بديعاً كما سماه بدر الدين وفصله عن المعاني والبيان ،

---

(١) سر الفصاحة :٥٢

(٢) ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعلبي ، الفرائد والقلائد ت على الخاقاني (بيروت بلا تاريخ) : ١٤٤

(٣) المثل السائر ١ :١٤٦

(٤) مفتاح العلوم ، تحقيق نعيم زرزور (بيروت ، ١٤٠٣) :٤١٥

(٥) هو الخطيب قاضي قضاة الاقليمين (مصر والشام) جلال الدين ابو المعالي ابو عبدالله محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني الاصل الدمشقي الدار ، ولد في الموصل في شعبان سنة ٦٦٦هـ تفقه على ابيه ثم اخذ عن شمس الدين الفارسي الايكي (ت ٦٩٧) وعن شهاب الدين الاربكي (ت ٧٣٨) هـ تولى الخطابة في الجامع الاموي وولي القضاة وتوفي سنة (٧٣٩) اشتغل بانواع العلوم واهمها البلاغة وله فيها كتابان تلخيص المفتاح والايضاح في علوم البلاغة ترجمته في - مثلا - ذيل العبر ٥ : ٢٠٦ - ٢٠٦ ، الوافي بالوفيات ٣ : ٢٤٢ - ٢٤٣ ، بغية الوعاة :٦٦ ، الاعلام للزركلي ٧ : ٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال في تعريفه «هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلال»[١].

ان كتباً مثل بديع القرآن والمثل السائر وتحرير التحبير[٢] وخزانة الادب الحموي[٣] فيها جمع للاراء المختلفة ومصطلحات الفن الواحد. ونرى ان مصطلحات البلاغة قد بقيت ثابتة بعد ان وضع القزويني كتابته - التلخيص والايضاح - هذا الجمع للمصطلحات البديعيه سبق عبدالقاهر الجرجاني في القرن الخامس الى التعبير عن النفور منها إذ يقول: «وقد تجد في كلام المتأخرين الآن كلاماً حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع الى ما له اسم في البديع الى ان ينسى انه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ويخيل اليه انه إذا جمع بين أقسام البديع في بيت... خبط عشواء وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسد كمن ثقل العروس بأصناف الحلي حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها»[٤].

لقد كان فن البديع تمهيدا لما ظهر في القرن السابع الهجري. وما بعده من لون جديد خاص هو «البديعيات» التي هي قصائد تتضمن فنونا بلاغية معظمها في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام. ومن البحر البسيط وعلى رويّ الميم - مثل بردة البوصيري.

وفي العصر الحديث يدعو بعض الدارسين الى ان تبحث موضوعات البديع كما تبحث فنون البلاغة الاخرى على ان تهمل الانواع التي ليس لها تأثير في التعبير ولا تبعث في الكلام رونقا وطلاوة بل تلك الانواع التي تزيده جمالا وبهاء. ويرتب ما يبقى فيها. ويهذب بحيث يكون مناسبا للاساليب العربية وكلام البلغاء[٥] كما يقترح ان تثبت من صفات الالفاظ ما كان قريبا منها. ومن صفات المعاني ما كان قريبا منها.

كما قام دارس آخر بتقسيم لطيف إذ جعل الجناس والسجع والترصيع ورد الاعجاز على الصدور،

---

(١) الايضاح في علوم البلاغة. القاهرة ١٩٣٧

(٢) صاحبه بن ابي الاصبع المصري زكي الدين ابو محمد عبدالعظيم بن عبد الواحد البغدادي المصري القيرواني. برع في العلم والادب والتفسير والبلاغة ت في مصر ٦٥٤ هـ ترجمته في فوات الوفيات ٣٧٤:١، ٣٧٦. حسن المحاضرة ١، ٢٧١. شذرات الذهب ٥: ٢٦٥

(٣) هو ابو المحاسن تقي الدين ابو بكر الحموي ولد في حماة ٧٦٧هـ. تنقل في طلب العلم بين الموصل ودمشق والقاهرة، عمل في ديوان الانشاء ايام السلطان المؤيد سيف الدين شيخ المحمدي توفي في حماة عام ٨٣٧ هـ برع في الشعر والبلاغة من كتبه «خزانة الادب» و«ارهار الانوار» ترجمته في حسن المحاضرة ٢٧٤:١، شذرات الذهب ٨ ٢١٩، ٢٢٠. الاعلام للزركلي ٢ ٣٤٠.

(٤) أسرار البلاغة ٧

(٥) احمد مطلوب. مناهج بلاغية (بيروت. ١٩٧٣) ٣٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولزوم ما لا يلزم في بحث متناسب الصوت والمعنى ووضع الطباق في بحث النظم أو تأليف الجمل ذلك حين تقابل معاني اجزاء الجملة او الجمل فيكون لذلك اثر في حسن الكلام ومع القسم الاخر في صور التعبير وهي قسمان: صورة الايضاح المعلن كالتشبيه والاستعارة والكناية والمبالغة وتأكيد المدح بما يشبه الذم.. الخ وصور التعبير المظللة كالرمز والايماء والالغاز والتورية والاستخدام... الخ[١]

٥. السرقات الأدبية:

جملة القول في السرقات كما يرى أبو هلال انه ليس لاحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب في قوالب من سبقهم[٢] وقد اشرت في غير مكان من هذا البحث ان أبا هلال قد اخرج «السرقات» من دائرة الاتهام ليجعلها قضية فنية خالصة وهو رأي يعكس فهمه لطبيعة فن الشعر وادراكه اثر الاطارين الشعري والثقافي في تكييف الهام الشاعر بمعانيه، وفرض تصورات الأقدمين على فنه الشعري كما انه يؤمن بالاستيحاء لأنه قائم على فكرة توليد المعاني التي أشار اليها في كتابه[٣].

ويرى باحث محدث ان أبا هلال قدم رأيا حسناً في مشكلة السرقات، وذلك أنه لم يتأثر بأحد من مناطقة البيان امثال قدامة الذين لم يتحدثوا عن هذه المشكلة ويعزو حسن هذا الرأي الى المقياس الذي وضعه ابو هلال وهو الصياغة وان كان قد شنّ حملة شعواء على أبي هلال في قضايا اخرى كما اشرت لدى حديثي عن قضية اللفظ والمعنى[٤].

وبعد أبي هلال نجد صدى لنظريته في السرقات حتى عند النقاد في المغرب الاسلامي يقول أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ): «فإذا ظفرت بمعنى حسن أو وقفت على لفظ مستحسن ذكرت من سبق اليه، وأشرت الى من نقص عنه أو زاد عليه. ولست أقول: أخذ هذا من هذا قولا مطلقا فقد تتوارد الخواطر، ويقع الحافر حيث الحافر. إذ الشعر ميدان والشعراء فرسان[٥].

أما ابو اسحق الحصري القيرواني (ت٤٨٨هـ) فقد مرّ بموضوع السرقات مروراً عابراً غير قائم على نهج ثابت على انه قد قرر ان المعاني الى غير غاية، وممتدة الى غير نهاية[٦] وأما الالفاظ فهي «محصورة

---

(١) امين الخولي فن القول (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٧) ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) كتاب الصناعتين: ١٩٦

(٣) مشكلة السرقات: ١١٣، ١١٤

(٤) محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب: ٣٢٣

(٥) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة القسم ٢ (٢،١) تحقيق احسان عباس، بيروت، ١٩٧٩، ١١

(٦) زهر الآداب وثمر الالباب ٦٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معدودة، ومحصلة محدودة»[١].

أما عبدالقاهر الجرجاني فيربط السرقات بقضية اللفظ والمعنى ورداً على قول من سبقه: «ان من اخذ معنى عارياً فكساه لفظا من عنده كان أحق به» يقول: «من أين يجب اذا وضع لفظاً على معني انه يصير احق به من صاحبه الذي اخذه منه إن كان هو لا يصنع بالمعنى شيئاولا يحدث فيه صنعة ولا يكسبه فضيلة، واذا كان كذلك فهل يكون لكلامهم هذا وجه سوى أن يكون اللفظ في قولهم «فكساه لفظاً من عنده» عبارة عن صورة يحدثها الشاعر أو غير الشاعر للمعنى[٢] وبالتالي فليس المهم تحاد المعنى أو تشابهه بل الصورة التي يعرض فيها هذا المعنى، وهذه النظر للسرقات تعد أرقى ما وصلت اليه هذه النظرية عن النقد العرب والغربيين. كما سيأتي. وبعد عبدالقاهر الجرجاني جمدت هذه النظرية واصبح نقادنا يهتمون بالمصطلحات والتقسيمات ولعلنا نجد كل ما قيل في هذه النظرية مجموعا عند ابن الاثير[٣].

لقد تناول عبدالقاهر هذه المشكلة في كتابيه: دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة ففي أسرار البلاغة تناول هذه المشكلة من وجهة نظر بلاغية وفي دلائل الإعجاز تناولها من خلال فكرة إعجاز القرآن. وهو في رأيه في هذه المشكلة يشايع الأقدمين كأبي هلال، وابن قتيبة إذ يرى أن هناك معاني مشتركة بين الناس، ليس فيها سرق ولكن فيها سبق وإفادة الآخر من الأول وتفاضل بين الشعراء في تناول المعنى الواحد. مما أفرد له أبو هلال صفحات من كتابه ويدخل في ذلك الاغراض الشعرية كالمدح مثلا إذ يوصف الممدوح بالشجاعة، والسخاء أو حسن الوجه..[٤]

ختم القزويني كتابه بالسرقات وجعلها في الشعر دون النثر، كذلك جعلها بابا مستقلا، لأن الحسن منها أقل من الحسن في غيرها، والأصل أن تدرس مستقلة كما فعل القدماء الذين أفردوا لها كتبا خاصة ونظروا إليها على أنّها فنٌ قائم بذاته[٥].

أما ابن الأثير فيبدأ دراسته عن السّرقات بتأكيده أنه لا يمكن للآخر ان يستغني عن الاستعارة من الأول وينصح السارق باخفاء سرقته إذ يقول: «لا ينبغي لك ان تعجل في سبك اللفظ على المعنى المسروق، فتنادي على نفسك بالسرقة.. والاصل المعتمد عليه في هذا الباب التورية والاختفاء...[٦]

---

(١) زهرة الآداب: ٦٣

(٢) دلائل الاعجاز: ٣٦٩، ٣٧٠

(٣) مدخل إلى النقد الأدبي ١٠٢.

(٤) أسرار البلاغة ٢٩٥.

(٥) عروس الأفراح.. شروح التلخيص ١٠٠: ٢٦١

(٦) المثل السائر: ٢١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يشايع أبا هلال أذ يؤكد قضية تقارب الخواطر بتقارب البيئة ويقول: «ولعمري إن القوم إذا كانوا من قبيلة واحدة، وفي أرض واحدة، فإن خواطرهم تقع متقاربة». ويقول: «واعلم أنّ المعاني مشتركة بين أرباب هذه الصناعة، وإنما يتفاضلون في تركيبها، واختلاف صورها»[١].

لقد خصص الدارسون المحدثون للسرقات مؤلفات إذ أفرد لها د. أحمد مطلوب فصلا خاصاً في كتابه: القزويني وشروح التلخيص[٢] وألف عنها د. بدوي طبانة السرقات الأدبية، وألفّ د. مصطفى هذارة: مشكلة السرقات.

أما شوقي ضيف فيرى أن القدماء بالغوا في بحث باب السرقات وجمدوا هذه المشكلة عند فكرة واحدة هي أن الشعراء جميعاً سارقون، ورأى أنّ المسألة كان ينبغي أن تبحث في أفق واسع، ذلك أن السرقات مسألة كبرى من مسائل العملية الفنية في الشعر[٣].

لقد حاول المحدثون وضع نظرية تفسّر مشكلة السرقات التي تعدُ قضية في الأدب العالمي وليس في الأدب العربي وحسب، تجعل هذه النظرية من الخيال أساساً لها إذ يعدُ من أهم الأدوات الإبداعية للفنان، والخيال هو الرابطة بين عالم الشعور وعالم الإدراك والفهم كما قرر كولردج. وهذا التعبير دقيق للغاية ويبين بوضوح أنّ الخيال ليس مرآة جامدة تعكس افكاراً وصوراً ساعة الإلهام فحسب، بل هو أداة حيّة، إذ لا يكتفي بمجرد النقل وعكس الاشكال والمحتويات[٤] وإذا كان الإلهام ليس خاطراً شيطانيا بل يشتمل على الاعداد والتذكر فإن له صلة مسيسة بموضوع السرقات إذ ينبل الأديب من ذاكرته التي احتفظ فيها بمخزون من الاعمال لأدباء قبله الامر الذي يجعل التشابه في المعاني والصور ممكنا»[٥].

إن التحليل النفسي لقضية الالهام والتذكر بنوعيه: التلقائي والواعي الذي يعتمد على فكرة تداعي المعاني جعل من الممكن تفسير مسألة السرقات التي عقد لها الأقدمون فصولاً من كتبهم دون ان يقدمو تفسيرا شاملا لاسبابها وان كان أبو هلال وبعض من سبقه قد أشاروا الى دور البيئة في تشابه المعاني[٦] وهذا يستدعي ان يكون الشاعر مطلعا على كتابات غيره كما يرى بن جونسون، أو كما يقول (ت.س.

---

(١) الجامع الكبير: ٢٤٣

(٢) السابق والصفحة ذاتها

(٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي (مصر، بلا تاريخ) ١٧٣

(٤) مشكلة السرقات: ٢٧٦

(٥) السابق: ٢٧٩

(٦) كتاب الصناعتين: ٢٣٠ ويقارن بما ورد في مشكلة السرقات ٢٧٩ وما بعدها. وينظر ايضا قراضة الذهب لابن رشيق (القاهرة، ١٩٢٦) ٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليوت): إن عقل الشاعر يجب ان يكون كالمغناطيس يجذب اليه الأفكار والصور والعبارات مما يقرأ[١] فلا غنى للمحدث عن القديم، ذلك ان الانسان تتراكم المعارف في ذهنه لتكون حصيلة معرفية والتجارب التي يمر بها في حياته تشكل خبرته الحياتية، وكل ذلك يعدُ مكتسباً من الماضي تفيده في الحاضر كلما تتطلب الامر فالنزعة الى التجديد لا تنفي القديم يقول بعض المحدثين: «إن الآراء العلمية والفنية التي تتمتع بها الآن ثمرة الجهد الانساني المتواصل من بدء الحياة، لم ينفرد باكثرها جيل وحده بل تحمل طابع الاجيال الغابرة، ومن حق كل طبقة ان تستغل نشاط سابقتها وتضيف اليها ما يمثل شخصيتها، وتاريخها الخاص تمثيلاً موضوعيا أو شكليا، وهذا القانون يسري على الحياة الادبية باعتبارها ظاهرة انسانية ذات تيارات متشابكة متدافعة[٢].

أشرت الى ان السّرقات ظاهرة إنسانية، لأنها مشتركة بين الآداب جميعا، ولكن مناهج الأدب تختلف من أدب لآخر.

إن دراسة السرقة في الاداب الأخرى يفيد في وضع نظرية لتفسير مشكلة السرقات، وينفي عن أدبنا تهمة الجمود وعدم التجديد و«دحض اتهامه بالدوران في حلقة مفرغة من معاني الاقدمين وأساليبهم، وتعريض تراثنا الشعريّ القديم للشك في قيمته بالنسبة للآداب الأخرى كأدب حيّ له شخصيته وتراثه الفني المتجدد»[٣].

٦. فن الشعر:

يعرّف أبو هلال الشعر بقوله: «والشعر كلام منسوج ولفظ منظوم» ولعل النظم هنا يعني إقامة الوزن.

عني أبو هلال بمقاييس الشعر على ما أوضحت في باب الذوق إذ تناول صفات اللفظ، وصفات المعنى التشبيه الجيد، وحسن الوصف... الخ وهي ما عرفت فيما بعد بـ«عمود الشعر» ونجد إيضاحا ناضجاً لأركان عمود الشعر عند المرزوقي في مقدمته لشرح ديوان الحماسة إذ يجعله في سبعة أبواب:

١. شرف المعنى وصحته.

٢. جزالة اللفظ واستقامته.

٣. الإصابة في الوصف

---

(١) مشكلة السرقات. ٢٨٥

(٢) احمد الشايب. أصول النقد الادبي. ٢٦١

(٣) مشكلة السرقات ٢٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ـ المقاربة في التشبيه.

٥ـ التحام أجزاء النظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن.

٦ـ مناسبة المستعار منه للمستعار.

٧ـ مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما.

ولكل باب مقياس أو معيار كما يسميه المرزوقي:

عيار المعني: العقل والفهم، وعيار اللفظ: الذوق المدرب الذي صقلته الرواية والاستعمال، وعيار الأصابة في الوصف الذكاء، وحسن التمييز، والمقصود بالوصف كل أغراض الشعر من غزل ورثاء ومدح، والمقاربة في التشبيه عبارة عن ادراك ما بين الاشياء من صلات، فأصدق تشبيه هو ما لا ينتقص عند العكس، وأحسنه ما كان بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من اختلافهما، كتشبيه الورد بالخد، والخد بالورد، وعيار التحام اجزاء النظم والتامه على تخيّر من لذيذ الوزن: الذوق واللسّان، فما لم يستثقله الذوق من الأبنية، ولم يتحبس اللسان في النطق به، بل فيه واستسهلاد بلا ملال ولا كلال، فذلك يوشك ان يكون القصيدة فيه كالبيت، والبيت كالكلمة، لأن أجزاءد سليمة متقاربة، وقالوا على تخيّر من لذيذ الوزن لأنّ لذيذه يطرب الذوق لإيقاعه، كما يطرب الفهم لصوابّ تركيبه. وعيار الاستعارة: الذّهن والفطنة، وملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه، والمشبه به. ثم يكتفي بالاسم المستعار لأنّ المنقول عمّا كان له في الوضع الى المستعار له. وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدّة اقتضائهما للقافية: طول الدربّة. ودوام المدارسة، فإذا حكما بأن اللفظ يؤدي المعنى، تمام الأداء ليس فيه جفوة، ولا نبوّ، ولا زيادة ولا قصور كان بريئا من العيوب، وأمّا القافية فيجب أن تكون كالموعود به المنتظر، يتم بها المعنى وإلا كانت قلقة في مكانها[1].

ومن تعريف أبي هلال للشعر أو لنقل الحدود التي وضعها له الوزن وحسن السبك ومن قوانين عمود الشعر للمرزوقي ننطلق الى آراء العلماء.

يذكر ابن رشيق ان «الشعر يقوم بعد النيّة من أربعة أشياء وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية فهذا هو حدُّ الشعر[1].

وأما ابن الأثير فعناصر الشعر عنده. الوزن، والقافية، والمعنى فالشعر عنده «قول موزون مقفى دالّ

---

(١) شرح ديوان الحماسة (المقدمة). ١٦. ١٨.

(١) العمدة. ١: ١١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على معنى مفتقر الى نيّة»[١].

وعند حازم القرطاجني فالعناصر ثلاثة: الوزن والقافية وحسن التخييل و«الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب الى النفس ما قصد تحبيبه اليها، ويكره ما قصد تكريهه لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه بما يتضمن من حسن تخييل له ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام أو قوة صدقه أو قوة شهرته أو بمجموع ذلك، وكلّ ذلك يتأكد بما يكون به من إغراب فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية وتأثرها».

وحول لغة الشعر فقد دعا أبو هلال الى ترك الوحشي السوقي من اللفظ وقد تناول المحدثون لغة الشعر أذ يقول أحدهم «إن حرية الشاعر في العامل مع اللغة ليست إلا مظهراً لطبيعة النشاط التخيلي الذي يقوم عليه الشعر ويصبح التعامل مع لغة الشاعر. تبعا لذلك يرتبط في المحل الأول لطبيعة التجربة التي تقدمها القصيدة، وبطبيعة الموقف الذي يحاول الشاعر اكتشافه وتأمله من خلال اللغة»[٢]، أما مسألة وضوح العبارة التي أشار اليها النقاد نجده عند أرسطوا إذ يرى ان جودة العبارة إنما تكون في وضوحها وبعدها عن الابتذال[٣].

هذا الوضوح لا يكون إلاّ بالتغيير الواضح الذي يجريه الشاعر على لغة الشعر حتى تسمو عن الكلام المألوف، ومما يساعد على ذلك اجتناب السوقية والمد والترخيم وتغيير الكلمات، ذلك ان تحوير الكلمات عن أوضاعها الأصلية والخروج عن الاستعمال العادي فيه تجتنب السوقية، «وباشتراك هذه الأنواع. الغريب والاستعارة، وكل ما خرج عن الاستعمال المألوف. مع الكلام العادي يكتسب الوضوح[٤] ولعلّ هذا السموّ في لغة الشعر يجعل ابن رشيق يفضل المنظوم على المنثور من جنسه[٥] وهو السبب نفسه الذي من اجله يرى ابن سنان ان للمنظوم والمنثور ألفاظا ومعاني تختص بهما»[٦] ويرى أن من وضع الألفاظ موضعها ألا يستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنثور من الرسائل والخطب ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم والألفاظ التي تختص بها أهل المهن والعلوم[٧] وهو ما قد أعلنه أبو هلال من قبل إذ ينفر من

---

(١) المثل السائر: ١:٧-١٠

(٢) جابر منصور. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي (القاهرة، ١٩٧٤): ١٤٧

(٣) كتاب ارسطو طاليس في الشعر: ١٢٢

(٤) كتاب السابق في الشعر ١٢٤

(٥) العمدة: ١: ١٩

(٦) سر الفصاحة: ١٥٨

(٧) السابق: ٢٧٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألفاظ المتكلمين[١].

يقرّر أبو هلال أنّ من أبيات الشعر ما يتسع المجال لنثره نيورد بضروب من العبارات ومنها ما يضيق فيه المجال حتى يكاد الماهر في هذه الصناعة ألا يخرج عن ذلك اللفظ. وأما يكون لعدم النظير فيعسر على الناثر تبديل الألفاظ ولا يمكنه صوغ الكلام بغير لفظه ومع ذلك ينثر ابن الأثير بيتين لأبي تمام والمتنبي قرر أنه من العسير نثرهما[٢].

وقد أشار حازم القرطاجني الى قضية نظم المحلول وحل المنظوم فيرى أن طرق رد غير الموزون الى الوزن هي «اسكان متحرك أو تحريك ساكن، أو زيادة في اللفظ أو نقص فيه أو عدول صيغة الى اخرى أو تقديم أو تأخير، أو إبدال لفظة مكان لفظة مكان أخرى، أو اجتماع اكثر من واحدة من هذه التغيرات، وهو يتابع أبا هلال في رأيه هذا[٣].

أما القافية فقد أشار أبو هلال الي حسن اختيارها وملاءمتها للغرض وبعده عدّ ابن رشيق القافية «شريكة الوزن في الاختصاص في الشعر ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية.. واختلف الناس في القافية ما هي. فقال الخليل القافية من آخر حرف في البيت الى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن والقافية على هذا المذهب. وهو الصحيح. تكون مرة بعض كلمة ومرة كلمة ومرة كلمتين»[٤].

أما ابن سنان الخفاجي فالمختار من القوافي عنده ما كان متكنا يدل الكلام عليه، وإذا انشد صدر البيت عرفت قافيته»[٥] وقد اشار أبو هلال الى مثل هذا في كتابه[٦].

أما حازم القرطاجني فقد أشار الى علاقة القافية بوقعها على النفس ومناسبتها للغرض[٧].

والوزن مصطلح تناوله النقاد القدامى كما أشرت في باب المصطلح إذ تناول ابو هلال. موضوع الدراسة. الوزن وجعله خطوة من أهم خطوات «صناعة» الشعر. وسبباً مهماً لطول بقائه على أفواه الرواة وامتداد الزمان الطويل به[٨].

---

(١) ينظر كتاب الصناعتين ١٣٥

(٢) المثل السائر: ١: ٨٩. ٨١

(٣) منهاج البلغاء ٣٩

(٤) العمدة: ١: ١٣٤

(٥) السابق والصفحة ذاتها.

(٦) كتاب الصناعتين. ١٤٢

(٧) منهاج البلغاء: ٢٧٥. ٢٧٦

(٨) ينظر كتاب الصناعتين ١٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ابن رشيق فيشايع أبا هلال في رأيه هذا إذ يرى ان «الوزن أعظم أركان حدّ الشعر، وأولاهما به خصوصية وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية، وجالب لها الا ان تختلف القوافي فيكون ذلك عيباً في التقفية لا في الوزن وقد لا يكون عيباً نحو المخمسات وما شاكلها، والمطبوع مستغنٍ بطبعه عن معرفة الأوزان واسمائها وعللها، لنبوّ ذوقه عن المزاحف منها والمستكره، والضعيف الطبع محتاج الى معرفة شيء من ذلك يعينه على ما يحاوله من هذا الشأن»[١].

أما ابن سنان الخفاجي فيبيّن أن الوزن هو الفارق الرئيس بين الشعر والنثر[٢] ويذكر ان الوزن يضيف للشعر رونقا لا نجده في الكلام المنثور[٣].

يدعو ابن أبي الأصبع المصري الى اختيار الأوزان «المستعملة الحلوة دون المهجورة الكزّة»[٤].

يذكر حازم القرطاجني ان ثمة أوزاناً تناسب أغراضاً دون غيرها وعلى الشاعر ان يراعي هذه القضية ويقول: «فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية والرّصينة وإذا قصد في موضع قصداً هزلياً أو استخفافياً، وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كل مقصد»[٥].

ويتصل بالوزن والقافية اتصالا وثيقا الحديث عن الغناء وقد عبّر الجاحظ عن هذه المسألة فيما ينسبه إليه ابن رشيق إذ يقول: «العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة، والعجم تمطط الألفاظ فتبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن، فتضع موزوناً على غير موزون»[٦] واقتبس أبو هلال فكرة الجاحظ حين اشترط الشعر للغناء إذ يجعل «الألحان» التي هي اهنى اللذات. إذا سمعها ذوو القرائح الصافية، والأنفس اللطيفة لا تتهيأ صنعتها إلاّ على كل منظوم من الشعر، فهو لها بمنزلة المادّة القابلة لصورها الشريفة، إلا ضرباً من الألحان الفارسية تُصاغ على كلام غير منظوم نظم الشعر، تمطط فيه الألفاظ، فالألحان منظومة، والألفاظ منثورة»[٧].

أشار أبو هلال الى قضية حسن التخلص التي يسمّيها «الخروج» وخصص له فصلاً من الباب

---

(١) العمدة ١: ١٣٤

(٢) سر الفصاحة: ٢٧٩

(٣) ذاته: ٧٩

(٤) تحرير التحبير ٤١٦

(٥) منهاج البلغاء: ٢٦٦

(٦) العمدة ١: ٢١١، ٢١٢

(٧) كتاب الصناعتين: ١٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأخير[١] ويشايعه في رأيه هذا ابن رشيق الذي يرى أنّ «أولى الشعر بأن يسمّى تخلصاً ما تخلص فيه الشاعر من معنى الى معنى، ثم عاد الى الأول وأخذ في غيره ثم رجع الى ما كان فيه»[٢].

أما ابن الأثير فيعرّف التخلص بقوله: «وأن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني فبينما هو فيه إذ اخذ في معنى آخر غيره جعل الأول سبباً إليه فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض من غير ان يقطع كلامه، ويستأنف كلاماً آخر بل يكون جميع كلامه أفرغ إفراغاً»[٣] كما يبيّن أن التخلص على الشاعر أصعب منه على الناثر، لأن الأول مقيّد بوزن وقافية[٤].

يقول ابن أبي الأصبع داعياً الشعراء الى تجميل التخلص الذي يعده من الأمور الصعبة في القصيدة: «وجمل المبدأ والتخلص والمقطع، فإن ذلك أصعب ما في القصيدة واجتهد في تجويد هذه المواضع»[٥].

ونجد تطويراً لمفهوم التخلص عند حازم القرطاجني الذي يعدد الأمور التي يجب اعتمادها في التخلص وهي: «التحرز من انقطاع الكلام ومن التضمين والحشو والإخلال واضطراب الكلام وقلة تمكن، والنقلة بغير تلطف، والاضطرار في ذلك الى الكناية عمّا يجب التصريح به، والإبانة عنه، والتلطف في ما موقع احسن مواقعه ويجريه على أقوم مجاريه من أضداد هذه الأشياء. ومما يجب اعتماده في التخلصّ أن يجتهد في تحسين البيت التالي لبيت التخلص. فإنّه أول الأبيات الخالصة للحمد أو «الذم».

أما ابن رشيق فالنغم عنده يقود الى الوزن الصحيح، وذلك بامتزاج العنصرين في الغناء[٦].

ويعرّف أبو حيّان التوحيدي (ت ٤٢١ هـ) الغناء بأنه «شعر ملحّن. داخل الايقاع والنغم الوترية، منعطف على طبيعة واحدة، يرجع سالكه اليها»[٧] وهو يشايع العسكري في رأيه إذ يجعل الشعر المنظوم هو المادة القابلة للغناء.

ومن القضايا التي تتصل بفن الشعر: الابتداء وحسن التخلص.

أشار أبو هلال الى حسن الابتداء ويرى أنها دلائل البيان كما دعا الى تجنّب ما يتطيهر منه من ذمّ الأمان ونعي الشباب..[٨]

---

(١) ينظر كتاب الصناعتين: ١٢٢

(٢) العمدة: ١: ٢١٢

(٣) المثل السائر. ٣: ١٤٧

(٤) السابق والصفحة ذاتها

(٥) تحرير التحبير: ٤١٣ ـ ٤١٤

(٦) العمدة ١: ٢١١ ـ ٢١٢

(٧) الامتاع والمؤانسة: ٢: ١٣٦

(٨) ينظر كتاب الصناعتين: ٤٨٩ كما ينظر الفصل الثاني من هذه الدراسة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الباقلاني فيرى أن عدم مراعاة المطلع، والفواتح يخلُّ بالشعر «ويذهب رونقه، ويحيل بهجته، ويأخذ ماءه وبهاءه»[١].

أما ابن سنان فيذكر الابتداء في معرض حديثه عن القوافي إذ يقول: «ومن هذا الجنس أيضاً الابتداء في القصائد فإنه يحتاج الى تحرز فيه حتى لا يستفتح بلفظ محتمل أو كلام يتطير منه»[٢]

ويقول ابن رشيق: «وينبغي للشاعر ان يجود ابتداء شعره فإنّه أول ما يقرع السمع، وبه يُستدل على ما عنده من أول وهلة، وليتجنب (ألا) و(خليلي) و(قد) فلا يستكثر منها في ابتدائه، فإنّها من علامات الضعف.. وليجعله حلواً سهلاً وفخماً جزلاً»[٣] ويقول «وليرغب عن العقيد في الابتداء فإنّه أول العي»[٤] أما أسامة بن منقذ فقد ذهب مذهب أبي هلال في تأكيد أهمية المطلع[٥] وعند ابن الاثير «أن يحترس الشاعر في ابتداءاته مما يتطيّر منه ويستحفى خاصة في المدائح والتهاني»[٦].

أما حازم القرطاجني فيرى ان المبادىء ينبغي ان تكون «جزلة حسنة المسموع، والمفهوم، دالة على غرض الكلام وجيزة تامّة، وكثيراً ما يستعملون فيها النداء. والمخاطبة. والاستفهام، ويذهبون بها مذاهب من تعجيب او تهويل أو تقرير أو تشكيك أو غير ذلك[٧].

ويقول في موضع آخر: «ومحاشاة مطالع الأبيات من كل ما يكره من جهتي المسموعات والمفهومات مستحبة لزوما أول ما يقرع السمع»[٨] وهي آراء قال بها أبو هلال من قبل.

٧. الخيال والتشبيه:

كان أبو هلال من أهم النقاد الذين بحثوا قضية «التشبيه» إذ توقف عند حد التشبيه وقفة طويلة تعكس عمق فهمه لهذه القضية يقول: «لو أشبه الشيءُ الشيء من جميع جهاته لكان هو هو». وذلك في معرض حديثه: يصبح تشبيه الشيء بالشيء جملة وان شابهه من وجه واحد»[٩] وقد اعطى أبو هلال أمثلة لكل

---

(١) إعجاز القرآن. ٢٠٤

(٢) سر الفصاحة: ١٧٥

(٣) العمدة ١: ٢١٨

(٤) السابق: ٢١٩

(٥) البديع في البديع: ٤٠٠

(٦) كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب. تحقيق نوري حمودي القيسي، حاتم الضامن. هلال ناجي (الموصل، ١٩٨٢)، ٥٣.

(٧) منهاج البلغاء ٣٠٥، ٣٠٦

(٨) السابق: ٢٨٦

(٩) كتاب الصناعتين: ٢٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجه من أوجه التشبيه، ومقابل التشبيه الجيد يذكر التشبيه القبيح.

وبعد أبي هلال قال النقاد بآراء شبيهة بآراء أبي هلال:

يرى الباقلاني ان التشبيه هو «العقد على أن احد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسن أو عقل»[١].

أما ابن رشيق فيرى ان «التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة، أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه»[٢].

يرى عبدالقاهر الجرجاني ان التشبيه على ضربين: «أحدهما أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج فيه الى تأوّل والآخر ان يكون الشبه محصلا بضرب من التأوّل»[٣] ويعلق على الضرب الثاني بقوله: «ثم إن ما طريقة التأول يتفاوت تفاوتاً شديداً فمنه ما يقرب مأخذه، ويسهل الوصول اليه.. ومنه ما يحتاج الى قدر من التأمل، ومنه ما يدق ويغمض حتي يحتاج في استخراجه الى فضل روية ولطف فكرة»[٤] ويضرب على ذلك كله أمثلة:

أما ابن الاثير فيجعل التشبيه والتمثيل شيئا واحداً، ولا يفصل بينها إذ يقول: «وحدث علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا باباً مفرداً ولهذا باباً مفردا، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع يقال. شبهت هذا الشيء كما يقال: مثلته به»[٥].

ويقسم التشبيه الى مظهر ومضمر ويبين أقسام كل منها يقول: «إن التشبيه المضمر أبلغ من التشبيه المظهر وأوجز، أما كونه أبلغ فلجعل المشبه مشبهاً به من غير واسطة أداة... وأما كونه أوجز فلحذف أداة التشبيه منه»[٦] وعن فائدة التشبيه يقول: «فهي انك إذا مثلت الشيء فإنما تقصد به اثبات الخيال في النفس بصورة المشبّه به أو بمعناد وذلك آوكد في طرفي الترغيب فيه أو التفسير عنه»[٧].

أما حازم القرطاجني فيذكر ان التشبيه قوة: «تفاوت في الشعراء منهم من له قوة على التشبيه في جميع كلامه أو أكثره، ومنهم من لا ينسحب تأثر تلك القوة على جميع كلامه ولا أكثر بل يكون ذلك في بعضه على سبيل الإلماع والتدور أو فوق ذلك قليلا»[٨].

---

(١) إعجاز القرآن. ٢٦٣. ٢٦٤

(٢) العمدة. ١: ٢٨٦

(٣) أسرار البلاغة: ٨٠

(٤) السابق: ٨٣

(٥) المثل السائر: ٢: ١١٥

(٦) السابق. ٢: ١٢١

(٧) ذاته ٢: ١٢٣

(٨) منهاج البلغاء: ٣٤٢. ٣٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والذي نستخلصه من مجموع هذه الآراء ان أبا هلال قال بأكثرها ، بل إن النقاد بعده لم يأتوا بجديد سوى بعض التقسيمات الى أضافها ابن الأثير والتي لا تنطوي على كبير خطر .

ان الحديث عن التشبيه عند أبي هلال ومن جاء بعده كان بداية للحديث عن الخيال الذي يعد من أهم عناصر العمل الأدبي وركناً مهماً من أركان عمود الشعر التي أقرها المرزوقي في مقدمة ديوان الحماسة كما أسلفت ، والعاطفة عنصر آخر من أهم عناصر العمل الأدبي والخيال أو الصورة البيانية ضروري لتصوير العاطفة .

لقد توقف الدارسون المحدثون عند التشبيه في القرآن الكريم والشعر العربي مما يتصل اتصالاً وثيقا بقضية الإعجاز التي أشرت اليها يقول بعض الدارسين المحدثين :

«... ان التشبيه في القرآن الكريم كان معادلات متساوية تساوي ركبتي البعير، ولا غرو في ذلك ، فان ايات القرآن الكريم كانت معادلات بين النص المسطور ، وبين النص المنظور ، معادلات بين العوالم الالهية وبين المدركات البيئية . إنها عبور للحقائق والأسرار والغيب ، ومقاصد الشرع عبر قناطر اللغة من المجاز والتشبيه ، وتصريف الأمثال ، وسرد القصص وسوق العبر ، والدعوة الى النظر والتأمل والاستدلال»[١] ويقول في موضع آخر : «إن الذين يتفكرون في هذه التشبيهات يمكنهم أن يحصلوا منها على ايماءات كثيرة وايحاءات ما كان أغناها .».

هكذا يستطيع المؤمن المقبل على ربه ان يبصر في آي القرآن الكريم ما لا يبصره ابناء بيئته ، وزمانه ، وذلك لأن غنى الايحاءات لا يكاد يتعلق بنهايتها خيال أو يحيط به فكر »[٢] .

٨. الصدق والكذب الفني :

تناول النقاد القدامى موضوع الصدق والكذب الفني ولست أتوقف عند النقاد الذين سبقوا أبا هلال كالآمدي والقاضي الجرجاني وقدامة بن جعفر وابن طباطبا وان كان أبو هلال قد تأثر ببعضهم .

أشار ابو هلال الى أن الشعر لا علاقة له بالسلطان والدين ، وإن له مواقعٌ لا ينجع فيها غيره من الخطب ، والرسائل ، وغيرها ، وأن أكثره «بني على الكذب . والاستحالة من الصفات الممتعة ، والنعوت الخارجة عن العادات ، والألفاظ الكاذبة : من قذف المحصنات ، وشهادة الزور ، وقول البهتان ، . لا سيما الشعر الجاهلي

---

(١) محمد علي ابو حمده ، من أساليب البيان في القرآن الكريم ، عمان ، ١٩٧٨ ، ١٢٧

(٢) ذاته : ١١٦ وينظر وقفات عن بعض الابيات ، ٨٩ ، ١١٠ وينظر دور الشعر في الوقوف على أسرار الإعجاز من الكتاب ذاته : ٤٣ وما بعدها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي هو أقوى الشعر وأفحله - وليس يراد منه إلا حسن اللفظ، وجودة المعنى»[١] وكأن أبا هلال لا يؤاخذ القدامى على موضوعاتهم التي طرقوها ولكنه يوجه الشعراء الى طرق الموضوعات الجادة والكريمة فهو ينصح بتوخي الصدق تحري الحق في سوق الخبر، واقتصاص الكلام[٢].

يتناول ابو هلال في كتابه مصطلح «الغلو» ويعرفه بأنه «تجاوز حد المعنى والأرتفاع فيه الى غاية لا يكاد يبلغها»[٣] وبالتالي فاللغوّ هو زيادة في المعنى وليس كذباً والدليل على ذلك أن أبا هلال يستشهد على الغلو بايات من القرآن الكريم.

لا يقبل أبو هلال الغلو على إطلاقه بل يقيده بإيراد شرط أو فعل. كاد وما يجري مجراد في المبالغة. ويتطرق الى مفهوم الافراط الشديد إذ يرى أنه الخروج الى المحال لسوء الاستعارة، وقبيح العبارة ويضرب مثالا على ذلك من شعر أبي نواس[٤].

وبعد أبي هلال تناول أبو حيان التوحيدي قضية الصدق والكذب ويستنتج من أقواله انه لا محل للبحث في موضوع الصدق أو الكذب في الشعر ذلك أن باطل النظم لا يحطُّ من شأنه كما أن حق النثر لا يعترض عليه[٥].

أما ابن رشيق فيرى الكذب من فضائل الشعر إذ يقول. «إن الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه، حسن فيه، وحسبك ما حسّن الكذب واغتفر له قبحه»، ويضرب على ذلك مثالاً قصة كعب بن زهير مع الرسول صلى الله عليه وسلم في قصيدته اللامية المشهورة التي يعتذر فيها له عليه الصلاة والسلام:

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ متيمٌ إثرها لم يُفدَ مكبول

«فلم ينكرّ عليه النبي قوله، وما كان ليوعده على باطل، بل تجاوز عنه ووهب له بردته»[٦] وقد وجد بعض النقاد المحدثين في موقف ابن رشيق «مغالطة لا تخفى» اضطره اليها الموقف الجدلي، ذلك أن القيرواني لم يمدح الكذب ولم يتطرق الى الصدق في الشعر ولم يفاضل بين الشعر والكذب»[٧].

---

(١) ينظر كتاب الصناعتين: ١٣٦

(٢) السابق: ١٣٧ ويقارن بما ورد في نظريات الشعر عند العرب مصطفى الجوزو (بيروت. بلا تاريخ): ١٦٥

(٣) كتاب الصناعتين: ٣٥٧

(٤) السابق: ٣٦٤

(٥) ينظر: أخلاق الوزيرين (مثالب الوزيرين الصاحب بن عباد وابن العميد) تحقيق محمد بن تاويت الطنجي. دمشق ١٩٦٥: ٧. ٩

(٦) العمدة: ١: ٢٢. ٢٤

(٧) ينظر احسان عباس، تاريخ النقد الادبي عند العرب (بيروت. ط ٤. ١٩٨٣) ٤٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الغلو فيرى فيه ابن رشيق رأي أبي هلال إذ يرى «أن أحسن الإغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم بكاد أو ما شاكلها نحو كأن ولولا وما أشبَه ذلك»[١].

وتردد ابن رشيق في قضية الصدق والكذب يشبه تردد أبي هلال إذ أن وجود الغلو والكذب في الشعر حقيقة واقعة فهما ناقدين يفضلان الكذب وهما مسلمين مؤمنين يفضلان الصدق[٢].

أما عبدالقاهر الجرجاني فتقوم صنعة الأدب عنده على أمرين: المبالغة والتخييل، ويذكر الجرجاني دعوى القائلين بالكذب في الشعر وهي أنّ الصنعة التي تعتمد التخييل والمبالغة تسمح للشاعر « أن يبدع ويزيد ، ويبدىء في اختراع الصور ويعيد، ويصاف مضطربا كيف شاء واسعاً ، ومددا من المعاني متتابعاً، ويكون كالمغترف من عد لا ينقطع ومن معدن لا ينتهي والذين يقولون بالصدق فلعلهم. كما يرى الجرجاني يريدون » ان خبر السعر ما دل على حكمة يقبلها العقل . وادب يجب به الفضل ، وموعظة تروض جماح الهوى وتبعث على التقوي ، أو تبين موضع القبح والحسن في الافعال ، وتفضل بين المحمود والمذموم من الخصال . وقد ينحا بها نحو الصدق في مدح الرجال والقائل بأصدق الشعر يريد « ترك الاغراق والمبالغة والتجوّز الى التحقيق والتصحيح ، واعتماد ما يجري عن العقل على اصل صحيح.»[٣].

ويذكر رد القائلين بكذب الشعر وهو ان الصدق فيه كالمقصود القريب الضيق « ثم هو في الاكثر سرد لمعان معروفة وصور مشهورة ، هي كالجوامد لا تنمو ولا تزيد ، وكالحسناء العقيم »[٤]

فالجرجاني -إذن- كابن رشيق وابي هلال قبله- من حيث تردّده بين الصّدق والكذب- فالجانب الجمالي يجعله يقدم آراء ايضا الكذب والجانب الديني العقلي يجعله يقدم رأي القائلين بالصدق . « والامر اذن خلاف بين انصار اللفظ والمعنى فالقائلون بالكذب من أنصار اللفظ يعنون حسب كلام الجرجاني- بلا داع تخيلا ومبالغة ، وأنصار المعنى يعنون بالفائدة ..»[٥]

أما أبو القاسم الكلاعي الاندلسي (ت ٥٤٣ هـ) فيقف ضد الشعر كله لانه سبب لسوء الادب ، وفساد اليقين ، ويستشهد على ذلك بقول الاصمعي « الشعر نكد بابه الشر فإذا دخل في الخير ضعف . هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية. فلما جاء الاسلام سقط شعره وهو بذلك يخالف ابن رشيق الذي يرى ان الشعر يحسن بالكذب ، ويعيد الى الاذهان رأي ابي هلال الذي يرى أن اكثر الشعر بني على الكذب

---

(١) العمدة ١: ٦٤

(٢) ذاته ثم يقارن بما ورد في نظريات الشعر عند العرب: ١٧٠

(٣) ذاته: ٢٥١.

(٤) اسرار البلاغة: ٢٥٠-٢٥١

(٥) ذاته والصفحة ذاتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والالفاظ الكاذبة من قذف المحصنات ، وشهادة الزّور ، والبهتان. [١] يرى ابن الاثير أن اصدق الشعر أكذبه زيادة على من سيرى «احسن الشعر أكذبه» ويفهم من رأيه ونقده لبعض الشعر انه ينصح باستعمال «لو» و «كاد» او ما جرى مجراهما[٢] كما قال قدامة وابو هلال من قبل.

أما حازم القرطاجني فيرى ان الشاعر ليس ملزما « ان يكون صادقاً في ذلك لأن صناعة الشعر لها ان تستعمل الكذب الا انها لا تتعدى الممكن من ذلك او الممتنع إلى المستحيل وإن كان الممتنع فيها ايضا دون الممكن في حسن الموقع من النفوس »[٣] ويحدد حازم المواطن التي يليق فيها الصدق او الكذب وعنده أن موطن الصدق هو مناصحة ذوي التصافي لان النصح . لا يكون في الاكثر الا صادقاً ، ومواطن الكذب اثنان اولهما الكذب النافع في طريق النصح . كتحذير قوم من عدو يتوقع هجومه عليهم ، فيجوز الكذب بتكثير قليل او تقريب بعيد ليأخذ القوم حذرهم ، اما الموطن الثاني فهو معاشرة ذوي الاضغان، ولا يكون ما قصد به الغش الا كاذباً وخلاصة القول ان حازما لا يحكم على الشعر من خلال صدقه او كذبه لكنه يحكم عليه من خلال الاثر النفسي الذي يحدثه في السامع. والملاحظ ان حازماً أكثر من التقسيم والتقنين في هذه القضية[٤] يصدر حكما، بل إن هذا أمر ينبغي ان تترك للقاضي ورجل الدين. وإنما يحاول الفنان الإمساك بزمام التجربة والتعبير عنها بطريقة موحية مؤثرة، صادقة والواقع ان الفساد والرذيلة إنما هما جزء من العالم، فلهما إذن أهميتهما في ذاتهما والفنان تستهويه شخصية الشرير، ودوافعه السوداء البغيضة وربما استهوته الضخامة الباذلة للشر المتزصل فيه وهو يحاول ان يندمج في الشر ويعبر عمّا ينبغي ان يكون عليه إحساس المرء إذا كان شريراً[٥] فالاخلاق بمعنى الإقرار الاجتماعي لا يمكنها ان تشرع للفنان[٦] وذلك لان من يقولون بالمثل الأخلاقية العليا فإنما يتجاهلون القيم الكامنة للتجربة الجمالية أما في حالة النظرية التي تعرضها فإن هذه القيم بعينها هي التي تصبح المثل الأخلاقي الأعلى ذاته[٧].

٩. ثقافة الشاعر والناقد:

أشار أبو هلال. وقبله الجاحظ. وبشر بن المعتمر الى الأدوات التي يحتاجها الشاعر والناقد على ما

---

(١) ينظر احكام صنعته الكلام ، تحقيق محمد رضوان الداية بيروت ٦٦: ١٩ ثم كتاب الصناعتين: ١٣٦-١٣٧

(٢) المثل السائر : ٢: ٣٣٥. ٣٣٦

(٣) السابق : ٢: ٣٣٥. ٣٣٦

(٤) ينظر مثلا ٧٣٠ وما بعدها. ١٣٢ وما بعدها

(٥) النقد الفني: ٥٤

(٦) السابق: ٥٤٢

(٧) ذاته: ٥٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسلفت في الباب الأول من هذه الدراسة.

وبعد أبي هلال قال ابن رشيق بالأدوات التي يحتاجها الناقد كالذوق والخبرة يقول: «وقد يميّز الشعر من لا يقوله كالبزاز يميّز من الثياب ما لم ينسجه، والصيرفي يخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضربه حتى أنه ليعرف مقدار ما فيه من الغش، وغيره، فينتقص قيمته[١].

ويؤكد عبدالقاهر الجرجاني على معرفة الأسباب التي تجعل الكلام جميلاً، وفي كل الأحوال يجب البحث عن أسباب الجمال ودراستها واستقصائها، فالنقد عنده لا بدّ له من أمرين، أولهما: الموهبة أو الاستعداد الفطري، والآخر الثقافة[٢] وعندها يمكن ان يتكون الذوق المثقف القادر على إصدار الحكم.

والنظم عند حازم القرطاجني صناعة «آلتها الطبع»، والطبع هو استكمال للنفس، في فهم أسرار الكلام والبصيرة بالمذهب، والأغراض التي من شأن الكلام ان ينحى به نحوها فإذا احطت بذلك علما قويت على صوغ الكلام بحسب عملا، وكان النفوذ في مقاصد النظم وأغراضه وحسن التصرف في مذاهبه وأنحائه إنما يكونان بقوى فكرية واهتداءات خاطرية يتفاوت فيها أفكار الشعراء»[٣] فأدوات الشاعر عنده الاطلاع على أغراض الشعر والعلم بمذاهبه وانحائه وقبل ذلك لا بدّ من الطبع والموهبة فالصنعة عنده طبع تصقله الثقافة.

ويفهم من أبيات ينقدها ابن الأثير أن الذوق عنده من أهم أدوات الناقد لكنه ذوق مثقف مهذب يمتلك القدرة على التمييز بين الجيد والرديء من فنون القول[٤]. كما يرى أن أعلى طبقات الدربة على الكتابة هي: «حفظ القرآن الكريم وكثير من الاخبار النبوية وعدة من دواوين فحول الشعراء»[٥].

ويشير ابن خلدون الى أهم الأدوات التي يحتاجها الأديب إذ لا بدّ من رواية الاداب، والمعرفة باللغة وأسرارها، لأن كثرة المدارسة للشيء تعين على العلم به، وهذا العلم لا يكون إلاّ بالتمرس والمعاناة والمكابدة، وقد جعل ابن خلدون الممارسة شرطاً لتأهل الاديب للنقد فظلت هذه القضية شغلا للنقاد المحدثين: يرى طه حسين أن الصفات التي تلزم الناقد هي الصفات التي تلزم الأديب وأولها العلم وثانيهما القدرة على الميز التي لا تكون إلاّ بالذوق المدرب يقول: «في الناقد الخليق بهذا الوصف، مزايا الأديب

---

(١) العمدة ١: ٧٥

(٢) دلائل الاعجاز ٣٠ ـ ٣١

(٣) منهاج البلغاء: ١٩٩

(٤) المثل السائر ١: ٤٤٨

(٥) ذاته ١: ٧٦ ـ ٧٧

(٦) مقدمة ابن خلدون: ٥١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخليق بهذا الوصف وعيوبه لا يكادان يفترقان إلاّ في أنّ احدهما ـ وهو الأديب ـ يتخذ الأشياء وحقائقها لأدبه موضوعا، لانتاجه.. على حين يتخذ أحدهما الآخر وهو الناقد ـ صور الاشياء، ونماذجها ـ أي الأدب نفسه ـ مادة للنقد وموضوعا، ومع ذلك فليس من الحق أن النّاقد لا يلم بطبائع الأشياء وحقائقها، وربما كان المحقق عكس ذلك، فما اكثر ما يحتاج الناقد الى أن يعالج الموضوع الذي عالجه الأديب ليبيّن أو يتبين ما عسى أن يكون قد عرضا لأزديب من صعوبة، وما عسى أن يكون الأديب قد وفق إليه من إجادة أو توسط أو اساءة. فالناقد آخر الأمر أديب بأدق معنى الكلمة ـ والنقد آخر الأمر أدب بأصحّ معاني الكلمة أيضا، وربّما أقيمت للناقد مزايا لإنتاج الأديب المنشيء، فالناقد مرآة صافية، واضحة، جلية كأحسن ما يكون الصفاء والوضوح والجلاء، وهذه المرآة تعكس صورة الأديب نفسه كما يعكس صورة القارىء وكما تعكس صورة الناقد، فالصفحة من النقد الخليق المنشيء المؤثر، ونفسية القارىء المتأثر، ونفسية الناقد الذي يقضي بينها بالعدل، ويزن أمرها بالقسطاس المستقيم»[١].

وعن واقع النقد الأدبي يقول د. إحسان عباس: «أصبح النقد الحديث يستمد ما يستعين به في الحكم والتفسير، والتقدير والتوضيح والتحليل من كل ميادين المعرفة الحديثة كعلم الاجتماع، وعلم النفس ...، وأصبح الناقد انتقائيا يختار غير واحد من هذه العلوم (في دراسة) وأصبح النقد الحديث أيضا يلقى عددا من الاسئلة لم يكن يلتفت إليها الناقد القديم من ذلك. ما أهمية العمل الفني من حيث علاقته بحياة الفنان، وطفولته، وعائلته، وحياته الاقتصادية، ومجتمعه الكبير. ماذا يؤدي هذا العمل لصاحبه، وكيف؟ ماذا يؤدي للقارىء وكيف؟ وما العلاقة بين هاتين الوظيفتين»[٢].

أما أحمد ضيف فيضع شروطا للنقد الصحيح وهي بالتالي أدوات تلزم الناقد منها «ان يبتعد الانسان عن اهوائه، وميوله عندما يقرأ كاتبا أو شاعرا يريد أن يفهمه كما هو. ولا بدّ ان يتخلىّ أيضا عن أذواقه الخاصة لأن الاستسلام إلى ذوق الشخص ينافي طريقة النقد الصحيح. هذه الطريقة ـ طريقة تخلي القارىء عن ذوقه الخاص، وعن المؤثرات التي تحيط به تجعله يفهم الكاتب، ويفهم الشاعر، وفهم الكاتب وقت كتابته هذه الطريقة هي التي تمكن القارىء أو الناقد من فهم روح الكتابة، ولا بدّ من أن ينسى الانسان نفسه بين صفحات الكتاب الذي يريد أن يقرأه. فإذا انتهى من تحليل الكتابة وفهمها على طريقة الكاتب نفسه، رجع الى معلوماته الخاصة والى ذوقه الشخصي والى ما اكتسبه من النقد بالتجربة

---

(١) مجلة الثقافة عدد ١٠/١٩٣٩. القاهرة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة.

(٢) ينظر: فن الشعر. ترجمة إحسان عباس. (بيروت، ١٩٧٩) ١٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والدرس في الحكم على المؤلف»[١].

وهذه القضية شغلت النقاد الأجانب أيضا يقول بعض النقاد الاجانب «إن كلّ مؤلف يبسط لمن يريد ان يكشفه المبادىء اللازمة لحكم عليه، وهذه المبادىء يمكن استنباطها بأن نسأل اسئلة ثلاثة. ما غرض المؤلف الذي يرمي اليه؟ وهل الغرض الذي يرمي اليه المؤلف غرض معقول؟ وهل استطاع ان يبلغ هذا الغرض؟ وبعبارة أخرى اكتشف الغرض واحكم على قيمته ثم انقد صفة المؤلف»[٢].

١٠. أبو تمام والبحتري والمتنبي:

أشرت في باب الذوق الى أنّ أبا هلال قد أكثر من شعر هؤلاء الشعراء الثلاثة وحاول ان يقف موقف القاضي العادل من ابي تمام والبحتري وإن اظهر ميلا للبحتري لأنه يمثل نزعة الطبع التي مال إليها أبو هلال، كما حاول ان يقف من المتنبي وخصومه موقف الحكم المنصف وان أظهر تحاملاً على المتنبي في بعض المواقف.

وعلى الرغم من ان الآمدي قد قال كلمته في موازنته بين الطائيين ولم يترك زيادة لمستزيد في قضية أبي تمام والبحتري، وعلى الرغم من ان القاضي الجرجاني قد قال كلمته ايضا فيما يتعلق بالمتنبي وخصومه إلا أن ذلك كله لم يمنع النقاد مثل أبي هلال ومن جاء بعده ان يقولوا كلمتهم حول هؤلاء الثلاثة.

يُظهر ابن رشيق ميلاً للبحتري اذ يتحدث عن نزعة الطبع والصنعة في الشعر مشايعا أبا هلال والآمدي قبله يقول ابن رشيق: «واستطرفوا ما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين في القصيدة بين القصائد، يستدل بذلك على جودة شعر الرّجل، وصدق حسه، وصفاء خاطره، فأمّا إذا كثر ذلك فهو عيب يشهد بخلاف الطبع، وايثار الكلفة، وليس يتجه البتة ان يتآتى من الشاعر قصيدة كلها أو أكثرها متصنعٌ من غير قصد، كالذي يأتي من أشعار حبيب والبحتري وغيرهما.

وقد كان يطلبان الصنعة، يولعان بها: فأما حبيب فيذهب الى حزونة اللفظ، وما يملأ الأسماع منه، مع التصنيع المحكم طوعاً وكرهاً، يأتي للأشياء من بُعد، ويطلبها بكلفة، ويأخذها بقوة، وأمّا البحتري فكان أملح صنعة، وأحسن مذهباً في الكلام، يسلك منه دماثة وسهولة مع احكام الصنعة وقرب المأخذ، لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة»[٣].

---

(١) مقدمة لدراسة بلاغة العرب، (القاهرة، مطبعة السفور بشارع سيف الدين المهراني، ١٩٣١: ٩-١٠.

(٢) لاسل ابر كرومبي، قواعد النقد الأدبي، ترجمة محمد عبده ١٨١

(٣) العمدة ١ ١٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ابن الأثير فيقول في معرض حديثه عن شعر البحتري «وقد انتضح البحتري في هذه المآخذ غاية الافتضاح، وهذا على بساطة باعه في الشعر، وغناه عن مثلها»[١]

وعندما يضرب ابن الاثير امثلة على «الغلو» يضرب مثالين واحد لقيس بن الخطيم[٢] إذ يصف الطعنة والآخر للمتنبي، يقول قيس

ملكتُ بها كفيّ فانهرت فتقها

يرى قائمٌ من دونها وما وراءها[٣]

يفضل ابن الاثير هذا البيت على «المستحيل» كقول المتنبي:

كأنما تتلقاهم لتسلكهم فالطعن يفتح في الاجواف ما يسعُ

ان المتنبي قد خفف من غلوّه باستعمال كأنما، بينما نرى التوكيد في بيت ابن الخطيم هو الممكن وهو بذلك يشايع أبا هلال في استعمال الافراط ثم الاستثناء فيه بـ«لو» او «كاد» أو ما يجري مجراها.

توقف المحدثون عند المتنبي فقد ألفّ طه حسين كتاب مع المتنبي في شعره إذ وقف وقفات طوال عند قصائد المتنبي في مراحل عمره المختلفة.[٤]

وقد توقف سيد قطب عند الصراع حول البحتري وأبي تمام فوازن بين شعر يعتمد الخلجات النابعة من الوجدان وبين شعر يجري وراء المعاني الذهنية، وكان واضحا انه يميل الى البحتري ويؤثر الصور في الشعر على المعاني، ويؤثر الانطلاق المستمد من وراء الوعي على التعقيد الذي كثيراً ما يصنعه الوعي[٥].

---

(١) المثل السائر ١: ٣١٧

(٢) هو قيس بن الخطيم بن عدي من الاول قتل أبوه وعاش يتيما عرض عليه الرسول ﷺ الاسلام، ولم يسلم، كان شاعراً مكثرا بزغ في الفخر والحماسة توفي ٢ ق.هـ ٦٢٠م أخباره في تاريخ بروكلمان ١٩١ والأعلام للزركي ٦: ٥٥

(٣) المثل السائر ٢: ٣٣٦

(٤) ينظر طه حسين مع المتنبي في شعره، (دار المعارف بمصر (بلا تاريخ).

(٥) أحمد بدوي، سيّد قطب، مصر، ١٩٩٢، ١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

ابو هلال العسكري علم من اعلام النقد والبلاغة في القرن الرابع الهجري الذي يوصف بأنه عصر الاسلام الذهبي.

نشأ ابو هلال في عصر نضوج الثقافة الادبية والفكرية وتتلمذ على عدد من رجال الفكر والادب ، وكان من اشهرهم خاله ابو احمد العسكري الذي نقل عنه كثيراً من الروايات في الادب والبيان الامر الذي يتضح في كتابه «الصناعتين» اذ تعلم العلم بطريقين معروفين في عصره هما الرّواية والدراية وليس أدل على ذلك من تتبع مصادر ثقافته فنجد في « الصناعتين» نقلاً من شتى مصادر الادب والنقد والبيان، شارحاً وناقداً ودارساً ونجد في كتاب الصناعتين نقلاً من كتاب « كليلة ودمنة» مثلاً وذلك في معرض حديثه عن التشبيه الجيد، ويظهر تأثره بالجاحظ واضحاً في غير ما موضع من كتابه ، وله بعد ذلك فضل الشرح والتنسيق اذ يقرُّ ابو هلال بفضله ويعترف بقيمته ، ولكن اقسام البيان والفصاحة مبثوته في تضاعيفة

خرجت من خلال هذه الدراسة بعدد من النتائج منها ان النقد في نهاية القرن الثالث اصبح فناً ادبياً مستقلاً له رجاله، وله كتبه التي تناقش عدداً من القضايا التي توسع نقاد القرن الرابع الهجري في بحثها ونرى هذه الكتب إما انها تدور حول صناعة الشعر او النثر ونقدهما كما هو الحال عند ابن طباطبا في عيار الشعر، وعند ابي هلال في الصناعتين الذي جعله للشعر والنثر كليهما او دراسة شاعر او اكثر كما هو الحال في الموازنة بين الطائيين للآمدي، والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني فكتب النقد إذن قد اصطبغت بصيغة منهجية علمية دقيقة.

وعلى الرغم من التيار الاجنبي الذي غزا الثقافة العربية في هذا القرن او قبله بقليل فقد ظل النقد عربيا في ذوقه وجوهرة وظلّ نقّاد هذا القرن استمراراً وامتداداً للنقاد الاوائل في القرن الثاني الذين جروُا في النقد على الاصول العربية، وعلى الرغم من اختلاط النقد بقواعد البلاغة فاننا عند التذوق الجمالي اي على مستوى الدراسة والتطبيق تتلاشى الفروق بين مقاييس البلاغة. ومعايير النقد[١]، فالبلاغة لا تختلف عن النقد من حيث الموضوع لأن موضوع كلّ منهما الادب. لكنّ البلاغة تختلف عن النقد من حيث المعالجة ، وطريقة العرض، فهي لا تعني بالقيم العقلية والعاطفية وما يُطوي فيها من تشبيهات ، ومجازات ، وكنايات ، لأنها تصوّر للمتبدئين قواعد الادب التعبيرية، حتى يحسنوا أداءهم ، فهي تصف وتعلم ، أما النقد فيحلل الظاهر والباطن في الاعمال الادبية ويتعرض لصاحبها ، والمؤثرات العامّة في تلك الاعمال ، ويحكم على قيمتها، ويحاول أن يقدر تقديراً دقيقاً ما فيها من فن وجمال ، وإذن فالنقد فنٌ لأنه يقصد الى

(١) ينظر فصول في البلاغة ، محمد بركات ابو علي (عمان ، ١٩٨٣) :٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأداء الفني الجميل، والبلاغة أقرب إلى العلم ، لأنها تتناول مجموعة احكام متفق عليها بين اهلها [١].

إن استعراضاً سريعا لفصول «الصناعتين» يكشف لنا ان أبا هلال قد اتبع في تأليف اسلوب التقسيم والتقنين ، والتحليل ومعنى ذلك ان منهجه لا يعتمد على الذوق فقط ، وإنما يعتمد على العقل ذلك ان النّاقد يقوم بتفسير العمل الأدبي ، وتطوير الأدوات اللازمة لذلك. فهو يحللّ مثلاً الاساليب ، والوسائل اللازمة لبناء العمل الادبي من حيث معانيه ، وافكاره وأسلوبه ، وأي خاصيه اخرى يمكن ان تثار او تعرف فيقود التفسير في النهاية إلى القرار حول الميزة الفنية ، وغالباً إلى الاحكام عن الاخلاق والسياسة . والدين وهو ما حاولت تتبعه بين ابي هلال ومن بعده في موضوع الدين والاخلاق ... الخ

وإذا كان الغرض من دراسة النقد الادبي هو معرفة القواعد والوسائل التي بها نستطيع أن نحكم على القطعة الادبية أجيده أم رديئه فليس ما فعله ابو هلال إلاّ خطوة واسعة على درب هذه المعرفة. وإذا كان الذوق السليم والعقل الرّاجح والاطلاع على ثقافات وآداب الآخرين من أهم صفات الناقد ، فقد توافرت هذه الصفات مجتمعة في ابي هلال ، يدلنا على ذلك هذه الكتب التي تركها ابو هلال في معارف إنسانية شتى، ويدلنّا على ذلك ايضاً هذا الفيض الذي جمعه في كتاب الصناعتين من اقوال العلماء والحكماء من شعر ونثر.

أما لماذا نجد الطابع العقلي يغلب على كتاب «الصناعتين» فذلك لأن النقد قد تأثر في منهجه بالعقلية الجديدة التي تكونت بعد ترجمة كتب اليونان. لا سيّما كتب ارسطو في الشعر والخطابة. تلك الكتب التي تأثر بها المعتزله وعلماء الكلام ، ولم يكن ابو هلال بعيدا عن تلك البيئة، إذ تلقي العلم على يدي خاله أبي أحمد العسكري. كما اشرت. وهو عالم ولغوي معروف من علماء هذا القرن ، واذا علمنا ان أبا أحمد العسكري ومن بعده ابو هلال. كان عنده ميل للاعتزال كان من الطبيعي أن يتأثر ابو هلال بأسلوب المعتزلة في الدرس والتحليل ، ولا أعني بذلك أن أبا هلال من بيئة المتكلمين التي هي واحدة من مصادر النقد في القرن الرابع ، ولكني أعني ان أبا هلال واحد من علماء عصره الذين لم يكونوا بمعزل عن الفلسفة وعلم الكلام وابو هلال اديب ، والادباء مصدر مهم من مصادر النقد في هذا القرن بالاضافة إلى الفلاسفة والمتكلمين واللغويين.

أما فن الشعر فقد عُني الأدباء بتتبع العملية الشعرية ونقدها فجاء نقدهم متخصصا شاملاً الى حد كبير ولعلّ هذا ما يفسّر شمول كتاب «الصناعتين» لقضايا النقد في هذا القرن، وما سبقه من القرون، فهو أولُ كتاب كامل في موضوع البيان وواف بجميع مباحث البلاغة، وهو صورة صادقة لثقافة عصره

---

(١) ينظر اصول النقد الادبي : ٤٦ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلمائها من شتى الطبقات، وإذا كان النقد المنهجي - كما يرى مندور [١] - هو ذلك النقد الذي يقوم على منهج تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية، ويتناول بالدرس مدارس أدبية او شعراء أو خصومات يفصل القول فيها، ويبسط عناصرها، ويبصر بمواقع الجمال والقبح فيها، فإنّ كتاب الصناعتين كتاب منهجي بأدقّ معاني الكلمة، وإنْ كان مندور قد ركز في دراسته على الموازنة للآمدي ، والوساطة للجرجاني..

وعليه، فقد - جعلت دراستي هذه في فصول خمسة :

فأما الفصل الأول فقد خرجت من خلاله بأن أبا هلال قد عاش مجاهداً يبحث عن قوت يومه لا يكاد يجده مؤثراً ذلك على زخرف الجاد والمنصب، ولعلّ اتصل ببعض مشاهير عصره أمثال الصاحب بن عباد الوزير (ت ٣٨٥هـ) الذي تذكر كتب الأدب الصلة بينه وبين أبي أحمد خال أبي هلال. وأما اسرته فلا تكاد كتب الأدب والتراجم تذكر شيئا منها.

وأما الفصل الثاني فتناولت فيه النظرية النقدية عند أبي هلال من خلال أربع قضايا هي :

١- اللفظ والمعنى وتبينت أنّه أفاد مما قبله لا سيّما بشر بن المعتمر والجاحظ، وكان أبو هلال من الذين ينظرون بعين المساواة بين اللفظ والمعنى، وليس كما هو شائع بين الكتاب : أنّه كان من أنصار اللفظ وحسب إذ تنبه أبو هلال الى أن المعنى الذي يكسو اللفظ هو الصورة الشعرية بل هو منبثق عنها، يدلنا على ذلك هذه الواقفة الطويلة التي توقفها أبو هلال عند التشبيه، مما يؤكد اتحاد اللفظ والمعنى في جسد العمل الأدبي، وبينت أن أبا هلال قد توسع في هذه القضية إذ تناول صفات اللفظ من سهولة وتواءم وبعد عن الغرابة والحشو وقال بضرورة المواءمة بين الحال والمقال أي بين صلة الكلام بالمتلقين.

٢- السرقات الأدبية : إذ بينت أن القرن الرابع هو أخصب العصور الأدبية فيما يتعلق بهذه القضية إذ ألفت حولها دراسات كثيرة، وبينت أنها توسعت عند أبي هلال لتشمل النثر اضافة الى الشعر، وكان من الأوائل الذين تتبعوا المعاني مما يؤكد صلة قضية السرقات بقضية اللفظ والمعنى ثم قضية الصراع بين القديم والحديث الأمر الذي يبين أن هذه القضية كانت تنشط لدى ظهور شاعر مجدد مثل أبي تمام والبحتري والمتنبي الذين كانوا محور حركة نقدية شغلت النقاد قروناً من بعدهم.

وقد بينت أنّ أبا هلال اخرج مشكلة السرقات من دائرة الاتهام. وجعلها قضية فنية خالصة إذ أنها سبيل لمعرفة الإبداع والقدرة على الابتكار. كما وضع شروطا لحسن الأخذ وبين الحالات التي يكون فيها الأخذ معيباً وبينت موقفه من هذه القضية إذ يرى أن المعاني مشتركة بين العقلاء، وإنما يتفاضل الناس في الألفاظ، وكان من الأوائل الذين تنبهوا لدور البيئة في تشابه المعاني، وتوارد الخواطر، كما قال بتحوير

---

(١) النقد المنهجي: ١٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعاني أي نقلها من غرض الى غرض.

إننا نلمح نضوجاً في النظرة لديه، إذ يقرر أن السرقة لا تكون في القوالب التعبيرية سواء أكانت استعارة أم مجازا كما كان من الاوائل الذين وسعوا دائرة الأخذ لتشمل القرآن والحديث.

٣. ثقافة الكاتب والشاعر والناقد: فقد بيّن أبو هلال العلوم التي تلزم الكاتب والصفات التي تلزم الناقد من ذوق وثقافة، ومعايشة للنصوص وتعريف الأديب بخطوات العمل الأدبي والمنازل التي ينبغي أن يكون فيها من أراد التماس البلاغة أي عملية الإبداع.

لقد ضرب أبو هلال مثالا في الأخلاق التي ينبغي أن يكون عليها الناقد من بعد عن التعصب مؤكدا أن لكل علم ثقافة، وأن لكل مهنة أهلاً وفي كل ذلك كان أبو هلال معلما ناقداً.

٤. البديع: لم يكن البديع علماً مستقلاً، من علوم البلاغة، بل كان مختلطا بالنقد، وكان الأدباء في هذا العصر قد أجهدوا أنفسهم في استخدام الصنعة حتى أصبحت غاية، كما بينت مسيرة فن البديع قبل أبي هلال وأسباب التأليف فيه وبينت أن أبا هلال قد أخذ مما سبقه كثيرا من المصطلحات البلاغية وله فضل اكتشاف ستة منها هي: التشطير، والمجاورة، والتطريز والمضاعف والاستشهاد والتلطف وقد عرفت بها جميعها.

وبينت أن أبا هلال قد وضع مقاييسه البلاغية والنقدية بأسلوب علمي تقريري الأمر الذي كان له أثره في تحويل النقد من فن يعتمد الذوق الى علم له قواعد وأصول هو علم البلاغة، ولئن كان كتاب «الصناعتين» نقطة تحول من النقد الى البلاغة فلم يكن أبو هلال مسؤولا عن جمود البلاغة في عصورها المتأخرة.

أما الباب الذي خصصه أبو هلال للبديع - الباب التاسع من الصناعتين - فقد انتقلت مصطلحاته عند المتأخرين الى علم البيان كالاستعارة والتشبيه والكناية، وبعضها انتقل الى علم المعاني كالإيجاز والإطناب، كما بينت ان هذا الباب الضافي في البديع جاء استجابة طبيعية لعصره الذي نفقت فيه هذه الصناعة وكان أبو هلال مجددا في البلاغة ومنهجها ومصطلحاتها.

كما أشرت الى أن أبا هلال أظهر ميلا لفكر المعتزلة الذين اطلعوا على كتب اليونان، وكان الهدف من هذا الاطلاع دفع المطاعن عن القرآن الكريم الأمر الذي يمس قضية الإعجاز مباشرة، وكان منهج أبي هلال في البلاغة منهج الأدباء، وليس الفلاسفة، يدلنا على ذلك الكثرة في الشواهد والإقلال من البحث في «الصناعتين» كما وضحت أن هذه المصطلحات البلاغية كان الهدف منها الدلالة على القول الجيد من جوانبه المختلفة: اللفظية والمعنوية وهي بذلك أقرب الى النقد وذلك قبل أن يصيبها الجمود.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الفصل الثالث تناولت المصطلح النقدي عند أبي هلال ورصدت من خلال الصناعتين عشرين مصطلحا هي : الابداع، والايجاز، والإطناب، والبلاغة والتشبيه والاستعارة والتطويل والتكلف، والجزالة، والجودة، والحلاوة، والعذوبة والخروج (التخلص)، والرّصف (التأليف)، والسهولة، والشعر، والصنعة والقافية والسجع واللطف (التلطف)، والمبادىء والمقاطع، والنثر والوزن وفي كل ذلك بينت ورود هذه المصطلحات عند من سبق أبا هلال من النقاد، ووضحت نقاط الالتقاء والاختلاف بين ابي هلال وسابقيه ، وكان لأبي هلال في معظم هذه المصطلحات فضل الزيادة والتقسيم، وضرب الأمثلة الكثيرة.. الأمر الذي يجعل كتابه ديوانا لأدب العرب منذ العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري.

وفي الفصل الرابع تناولت ذوق أبا هلال من خلال المختارات الشعرية والنثرية :

لقد بينت أن المادة النقدية في كتاب الصناعتين قد تركزت في الأبواب الثاني، والثالث، والرابع خاصة كما عُني أبو هلال بالجانب التطبيقي والنظري على حدّ سواء، وبينت مقاييس الذوق عند أبي هلال على البيت والبيتين ومجموعة الأبيات، كما بينت الحالات التي يتوقف فيها أبو هلال عند هذه الأبيات كالدلالة على معنى بلاغي، أو فرق في المعنى بين لفظين أو مثالا على حسن الأخذ أو قبحه أو مثالا على حلّ المنظوم. كما وضحت نقده على الشعر الجاهلي وأشرت الى أنه يرتبط بقضيتين مهمتين وهما: القديم والحديث ونقد القصيدة.

أمّا القديم والحديث فقد شايع أبو هلال سلفه ابن قتيبة في عدم قبول القديم لقدمه أو رفض الحديث لحداثته، وأما نقد القصيدة فظهر عند أبي هلال نقد على أربع قصائد وان كان لم يتوقف عندها متعمقاً محللاً وبذلك فإننا نخالف بعض الدارسين الذين يرون ان الباقلاني هو أول من توقف عند نقد قصيدة كاملة على نحو ما فعل في قصيدة البحتري وامرىء القيس قبله.

كما تناولت نقده على أغراض الشعر من مديح ورثاء ونسيب مبينةً المقاييس المختارة لكل فن، فرثاء الجواد يستحسن فيه أن يذكر أن الجود يبكيه، والشجاع ينبغي ان نذكر فرح الفرس بموته إذ كان يكده في حياته، وفي الغزل ينبغي تجنب التجلدّ في العشق، كما ينبغي تعهّد الديار والرّياح والبروق... الخ

وفي مجال النقد على المجموعات الشعرية فقد تناول أبو هلال الأصمعيات وأشرت الى أنه لم يقف منها موقفا إيجابيا إذ نعى على صاحبها ذوقه الرديء معللا أحكامه .

وأما موقفه من الفحول الثلاثة أبو تمام والبحتري والمتنبي فقد أورد أبو هلال الكثير من أشعارهم ليدلل على بعض المعاني أو التشبيهات أو السرقات.. الخ وقد حاول في ذلك كله ان يقف موقف الحكم العدل لكنه أظهر ميلاً نحو البحتري اكثر من أبي تمام ونحو خصوم المتنبي أكثر منه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمّا في مجال المختارات النثرية فاشرت الى أن كتاب «الصناعتين» يغلب فيه الشعر على النثر، وأنّ مقاييس أبي هلال في النثر جاءت من خلال حديثه عن البلاغة. وفي كلّ ذلك كان أدبه يتسّم بنضوح العقلية التي وعت حضارة عصره، فهو أنموذج على نثر الطبقة العالية الذي يراوح بين السجع والترسل، كما يتسم نثره العلمي بالوضوح والسهولة.

بيد أنّ أبا هلال مؤاخذ على إهماله لأسماء الكتاب والشعراء في كثير من الشواهد، الأمر الذي يحرم الدارس من تتبع الأدب وسماته عبر مراحله المختلفة.

وفي الفصل الخامس حاولت ان أقتفي خطى أبي هلال في كتب النقد والبلاغة بعده مع إشارة خفيفة الى صدى آرائه عند المحدثين عربا وأجانب.

لقد تناولت في هذا الفصل عشر قضايا محورية هي:

١ـ اللفظ والمعنى.
٢ـ الإعجاز.
٣ـ الأسلوب.
٤ـ البلاغة والفصاحة
٥ـ السرقات
٦ـ فن الشعر
٦ـ الخيال والتشبيه
٨ـ الصدق والكذب الفني.
٩ـ ثقافة الشاعر والكاتب والناقد.
١٠ـ أبو تمام والبحتري والمتنبي.

وفي كل ذلك بينت آراء النقاد من بعد أبي هلال يستوي في ذلك من وافقه أو خالفه ، واخترت من النقاد أشهرهم كابن رشيق، وابن سنان، وحازم القرطاجني. وابن الاثير وابن خلدون.

ومن المحدثين توقفت عند بعضهم مثل طه حسين، وأحمد حسن الزيّات، وسيدّ قطب وآخرين...

كما بيّنت أن هذه القضايا ظلت محوراً دارت حوله دراسات حديثة: فاللفظ والمعنى هو أساس قضية الشكل والمظمون، وأساس لنظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني وأما الرّصف والتأليف عند أبي هلال ونقاد عصره، ومن سبقهم فكانت بداية للأسلوبية الحديثة. والسرّقات قضية في الآداب العالمية لم يخلُ منها أدب، والتشبيه والاستعارة أساس للخيال، وثقافة الشاعر والكاتب والناقد هي أساس لما يعنيه المحدثون لدى تناولهم لقضية النقد والعمل الأدبي والأدوات الإبداعية.

وأما أبو تمام والبحتري والمتنبي فالصراع حولهم ما زال قضيّة يتناولها الدارسون لدى حديثهم عن القديم والحديث أو الأصالة والمعاصرة.

وبعد

لست أقول إن أبا هلال كان أساساً لكل هذه القضايا، ولكنّه. واحدٌ من الذين أرسوا دعائم النظرية النقدية العربية، ويؤكد أصالتها، على الرغم مما واجهها من تيارات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ا ـ المصادر

. الآمدي، الحسن بن بشر ، الموازنة بين الطائيين ، تحقيق السيد احمد صقر ، القاهرة، ١٩٦١.

. ابن الاثير ، ضياء الدين ، ابو الفتح، نصر الله بن محمد الجزري. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق وتعليق مصطفى جواد ، وجميل سعيد بغداد، المجمع العلمي العرقي ، ١٩٥٦.

. ابن الاثير ، ضياء الدين ، ابو الفتح ، نصر الله بن محمد الجزري، كفاية الطالب في نقد الشاعر والكاتب ، تحقيق نوري حمودي القيسي، حاتم صالح الضامن ، هلال ناجي ، الموصل، جامعة الموصل ، ١٩٨٢.

. ابن الاثير ، ضياء الدين ابو الفتح نصر الله بن محمد الجزري، المثل السائر، تحقيق ابو احمد الحوفي، ود.بدوي طبانة، ط ١ ومكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة ١٩٥٩.

. ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر ، ودار بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٦٦ .

. ابن ابي الاصبع ، ابو محمد ولي الدّين عبد العظيم بن عبد الواحد ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ، وبيان اعجاز القرآن ، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، القاهرة، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ١٣٨٣هـ.

. الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسن، الاغاني ، تحقيق عبد الستار احمد فرّاج، بيروت ، دار الثقافة، ١٩٥٥ـ١٩٦٤.

. الباخرزي ، نور الدّين ابو الحسن علي بن الحسن ، دمية القصر و عصرة اهل العصر ، تحقيق سامي مكي العاني ط ١، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ساعدت جامعة بغداد في نشره.

. الباقلاني، ابو بكر محمد بن الطيب، اعجاز القرآن . تحقيق السيد أحمد صقر ، ط ١، دار المعارف ، مصر، القاهرة، ١٩٧١.

. ابن بسّام، ابو الحسن علي بن بسّام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، اختيار وتقديم ، محمد رضوان الدّاية، دمشق وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٧٨.

. البلخي، أبو القاسم، القاضي عبدالجبار، والحاكم الجشيمي، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة اكتشفها وحققها فؤاد سيد، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٤م.

. ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ط ١، دار الكتب المصرية ، مصر ، القاهرة، ١٩٣٢.

- التوحيدي، ابو حيان ، علي بن محمد بن العبّاس، اخلاق الوزيرين (مثالب الوزيرين : الصاحب بن عباد، وابن العميد) تحقيق محمد بن تاوت الطنجي، دمشق، ١٩٦٥.

- التوحيدي، ابو حيان ، علي بن محمد بن العباس، المقابسات، تحقيق وتقديم محمد توفيق حسين، بغداد ، مطبعة الارشاد، ١٩٧.

- التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس الإمتاع والمؤانسة تحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين، بيروت ١٩٥٣م.

- الثعالبي ، ابو منصور، عبد الملك بن محمدّ بن اسماعيل، الفرائد و القلائد ، ت علي الخاقاني، بيروت ، بلا تاريخ.

- الثعالبي، ابو منصور، عبد الملك بن محمد النيسابوري، يتيمة الدهر، تحقيق محمد محي الدّين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة بلا تاريخ.

- ثعلب، ابو العبّاس ، احمد بن يحيي، قواعد الشعر، تحقيق رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٦٧.

- الجاحظ، ابو عثمان، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٤، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٨.

- الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط ٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ١٩٦٩

- الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، تقديم علي ابو ملحم، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٧.

- الجرجاني ، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، اسرار البلاغة، تحقيق السيد رشيد رضا ، ط٦ مكتبة القاهرة، مصر ١٩٥٩.

- الجرجاني، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الاعجاز في علم المعاني، صحّح الاصل ، محمد عبده، محمود الشنقيطي، التعليق وتصحيح الطبع السيد محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، مصر ، ١٩٦١.

- الجمحي، ابو عبد الله محمد بن سلام ، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة ، ١٩٧٤.

- الجهشياري، محمد بن عبدوس الكوفي ، الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفي السّقا، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ط مصطفى البابي الحلبي ١٩٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

.ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.

.حاجي خليفة، المولي مصطفي بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالمُلا كاتب الحلبي، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، دار الفكر الطبعة الفيصلية (بلا تاريخ).

.الحصري ، ابو اسحق ابراهيم بن علي القيرواني ، زهر الاداب وثمر الالباب، تحقيق وشرح علي محمد البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣.

.الخطابي ، ابو سليمان حمد بن محمد البستي، بيان اعجاز القرآن، طبع في كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام، القاهرة، بلا تاريخ.

.الخفاجي، ابن سنان ، عبد الله بن محمد بن سعيد ، سر الفصاحة ، تصحيح وتعليق عبد المتعال الصعيدي، القاهرة، مكتبة محمد علي صبيح، ١٩٦٥.

.ابن خلّكان : احمد بن محمد بن ابي بكر ، وفيات الاعيان وأنباء الزّمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٠

.الخوانساري، أحمد باقر الموسوي ، الاصبهاني ، روضات الجنّات في أحوال العلماء والسّادات ، تحقيق اسد الله اسماعيليان، تهران، يطلب من دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان.

.الداوودي، محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، تحقيق لجنة من العلماء ، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

.الذهبي ، شمس الدين ابو عبد اللّه محمد بن احمد بن عثمان ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعيان، تحقيق عمر عبد السلام تدمري . دار الكتاب العربي ،بيروت ، ١٩٩٤ .

.الذهبي ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوس ، ط ١ .مؤسسة الرّسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢ .

.الذهبي ، شمس الدين عبداللّه محمد بن احمد بن عثمان ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق ابي هاجر محمد السّعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٥م .

.الذهبي ، شمس الدين ابو عبداللّه محمد بن احمد بن عثمان ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي محمد البجاوي ، بيروت ، دار إحياء الكتاب العربي . ١٩٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الزبيدي، أبو بكر، محمد بن الحسن الإشبيلي، طبقات النحويين واللغويين ، تحقق: محمد أبي الفضل إبراهيم ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٥٤.

- الزركلي ، خير الدين، الاعلام ، ط٩ دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٥ .

- السبكي ، بهاء الدين ، عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح ، مع شروح التلخيص وهي : عروس الافراح وفي الهامش الايضاح للخطيب القزويني ، وحاشية الدسوقي على شرح التفتازاني ، القاهرة، مكتبة عيسى البابي الحلبي ب . ت .

- ابن سعد ، ابو عبدالله محمد بن منيع الزهري ، الطبقات الكبرى ، درس وتحقيق زياد محمود منصور المدينة المنورة ، الجامعة الاسلامية ١٩٨٣.

- السكاكي ، ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي ، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور ، ط ١ دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣.

- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين ، بغية الوعاة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط ٢ دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩ م .

- السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين ، طبقات المفسرين ، تحقيق وضبط لجنة من العلماء بإشراف الناشر ط ١ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣.

- الصفدي ، خليل بن ايبك ، الوافي بالوفيات ، اعتناء احسان عباس ط ٣ ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩١.

- الصولي ، ابو بكر محمد بن يحيى الصولي ، اخبار ابي تمام، تحقيق خليل محمود عساكر ، ومحمد عبد عزام ونظير الاسلام الهندي ، بيروت ١٩٧٣.

- الصولي ، ابو بكر محمد ويحيى الصولي، اخبار البحتري، تحقيق صلاح الاشقر ط ٢، دمشق ، دار الفكر ١٩٦٤.

- ابن طباطبا ، محمد بن احمد العلوي ، عيار الشعر . تحقيق وتعليق ، طه الحاجري ، ومحمد زغلول سلام ، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٦.

- ابن طباطبا ، صفي الدين محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية ، بيروت ، ١٩٦١.

- الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ط ١، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٩.

- العاملي، السيد محسن الامين ، اعيان الشيعة، ط٢ مطبعة الانصاف ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن عساكر ، ثقة الدين ابو القاسم بن الحسن ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، هذّبه ورتبه عبد القادر بدران ط ٣ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ١٩٨٧.

- العسكري ، ابو هلال، الحسن بن عبدالله ، الاوائل ، تحقيق وتعليق محمد السيد الوكيل ، المدينة المنورة ١٩٦٦.

- العسكري ، ابو هلال الحسن بن عبد الله ، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٥٢.

- العسكري ، أبو هلال ، الحسن بن عبدالله ، الفروق اللغوية ، القاهرة ، مكتبة القدسي ١٣٥٣.

- العسكري ، ابو هلال الحسن بن عبد الله ، كتاب التلخيص في معرفة اسماء الاشياء، تحقيق عزة حسن ، دمشق ١٩٦٩.

- ابن العماد، ابو الفلاح عبد الحي احمد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق محمود الأرناؤوط ،ط ١ ، دار ابن كثير دمشق ، بيروت ، ١٩٨٩ م.

- ابن ابي عون، كتاب التشبيهات ، عني بتصحيحه محمد عبد المعين خان ، طبع كمبردج ، ١٣٦٩ هـ.

- قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة، ١٩٦٣.

- ابن قتيبة، ابو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ،ادب الكاتب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، التجارية الكبرى مصر، ١٩٦٣.

-ابن قتيبة ،ابو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ، تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد احمد صقر. دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاءه مصر ، (بلا تاريخ).

- ابن قتيبة ابو محمد عبدالله بن مسلم ، الشعر والشعراء. بيروت ، بلا تاريخ.

- القرطاجني ، ابو الحسن حازم بن محمد ، منهاج البلغاء وسراج الادباء ، تحقيق الحبيب بن الخوجة دار الكتب ، ١٩٦٦.

- القفطي، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف ، انباه الرواة على انباه النحاة ، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم القاهرة ١٩٨٦.

- القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي، صبح الاعشى في صناعة الإنشا . المؤسسة المصرية العامة (بلا تاريخ).

- القيرواني ، ابو علي الحسن بن رشيق ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت، ١٩٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- القيرواني ، ابو علي الحسن بن رشيق ، قراضة الذهب في نقد اشعار العرب، تحقيق منيف موسى بيروت ، دار الفكر اللبناني ١٩٩١ م.

- ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل الدمشقي ، البداية والنهاية، تحقيق محمد علي الصابوني ط ،دار القرآن الكريم ، بيروت ، لبنان، ١٩٨١.

- الكلاعي ، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور ، إحكام صنعة الكلام ، تحقيق محمد رضوان الداية ، بيروت ، دار الثقافة، ١٩٦٦.

- المبرد ، أبو العباس ،محمد بن يزيد ، الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٦ .

- المزرباني محمد بن عمران ، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق علي محمد البجاوي القاهرة،١٩٦٥.

- المرزوقي ،أبو العلاء علي أحمد بن محمد ، شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين ،عبد السلام هارون،القاهرة، ١٩٥١.

- ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد ، تجارب الأمم ، ومعه ذيل كتاب تجارب الأمم لأبي شجاع محمد بن الحسين الملقب ضهر الدير الروذراوي ، ويليه قطعة من تاريخ هلال الصابي الكاتب ،تصحيح هـ.ن امدروز ، القاهرة ،دار الكتاب الإسلامي (-١٩٩).

- ابن المعتز ، أبو العباس عبدالله ، البديع ، تقديم وشرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، بيروت، دار الجيل ، ١٩٩٠.

- ابن المعتز، أبو العباس عبدالله، طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار فراج، القاهرة، ١٩٥٦.

- المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق جمال الدين الشيال ، دار الفكر العربي ،١٩٤٨.

- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر ، دار بيروت، بيروت ، لبنان ١٩٥٥،١٩٥٦،١٩٦٨.

- ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي، البديع في نقد الشعر، حققه وقدّمه له عبد.أ علي مهنّا، بيروت، دار الكتب العالمية ١٩٨٧

- ابن النديم، محمد ابن إسحق بن محمد بن إسحق ،الفهرست، تحقيق رضا تجدد ،طهران، مكتبة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأسدي ، ١٩٧٠.

- النويري، أحمد بن عبد الوهاب . نهاية الأرب . نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات . وفهارس جامعة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،مصر (بلا تاريخ).

- ابن هشام،جمال الدين أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي ، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي ١٩٥٥.

- ابن الوردي، زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر، تتمة المختصر في أخبار جنس البشر، القاهرة، إشراف وتحقيق أحمد رفعت البدراوي، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٠.

- ابن وهب،إسحق بن إبراهيم ، البرهان في وجوه البيان. تحقيق إحمد مطلوب وخديجة الحديثي،بغداد،١٩٦٨.

- ياقوت الحموي، أبو عبد الله الرومي .معجم الأدباء، مصر، بلا تاريخ

- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩.

- اليافعي، عفيف الدين، أبو السعادات عبدالله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان . ط ١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت. لبنان ١٣٣٨هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- المراجع

- آدم متز ، الحضارة الإسلامية، ترجمة د.عبدالقادر أبو ريدة، بيروت، ١٩٦٧.

- إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، القاهرة،١٩٥٢.

- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، بيروت، ١٩٨٣

- إحسان عباس ، فن الشعر، بيروت ،دار الثقافة، ط٢ (د.ت)

- أحمد أمين، النقد الأدبي، بيروت ،١٩٦٧

- أحمد بدوي ، سيد قطب ، مصر، ١٩٩٢

- أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة ، عالم الكتب ،ط٢ ،١٩٦٧

- أحمد مطلوب، مناهج بلاغية، بيروت، ١٩٨٣

- ارسطو، كتاب الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، بغداد، ١٩٨٠

- أمين الخولي، فن القول في معهد الدراسات العليا. دراسة مقارنة تصدير البلاغة فن قول، القاهرة. دار الفكر العربي، ١٩٤٧.

- بدوي طبانة، أبو هلال العسكري و مقاييسه البلاغية، القاهرة، ١٩٥٢

- بدوي طبانة، البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٨

- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، القاهرة، ١٩٧٤

- جيروم ستولتنر، النقد الفني، ترجمة فؤاد زكريا ،مصر، ١٩٨١

- ديفيد دينيتش ، مناهج النقد الأدبي بين النظرية و التطبيق، ترجمة محمد يوسف نجم. بيروت، ١٩٦٥

- رينيه ويليك ، أوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي (بيروت) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١.

- زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع عشر الهجري. بيروت، بلا تاريخ .

- شفيع السيد، الإتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، ١٩٨٦

- شكري عياد، كتاب ارسطو طاليس في الشعر، القاهرة، ١٩٦٧

- شكري عياد، مدخل الى علم الأسلوب، الرياض، ١٩٨٢

- شوقي ضيف، البلاغة تطوّر و تاريخ، مصر، ١٩٦٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- شوقي ضيف، الفن ومذاهبة في الشعر العربي. مصر. بلا تاريخ

- طه أحمد إبراهيم. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، بيروت ، بلا تاريخ

- طه حسين، مع المتنبي في شعره، مصر ، بلا تاريخ

- عبد المنعم تليمة، مقدمة في نظرية الأدب، القاهرة ، ١٩٧٣

- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، بيروت ،١٩٦٨

- قاسم المومني، نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، مصر ، ١٩٨١

- كارل بروكمان، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦١

- لاسل آبر كرومبي ، قواعد النقد الأدبي، ترجمة محمد عوض محمد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٤.

لطفي عبد البديع ، الشعر واللغة ، القاهرة ، ١٩٦٩

- محمد بركات أبو علي ، فصول في البلاغة ،عمان ، ١٩٨١

- محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ،مصر ، ١٩٦١

- محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبي الى القرن الرابع الهجري ، مصر ،١٩٦٤

- محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، بيروت ١٩٨٤

- محمد عبد المطلب، البلاغة و الأسلوبية ، مصر ، ١٩٨٤ .

- محمد عبد المنعم خفاجي، موقف النقاد من الشعر الجاهلي، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٠.

- محمد علي أبو حمدة ، من أساليب البيان في القرآن الكريم ،عمان ،١٩٧٨

- محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات ، بيروت، ١٩٨١

- محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، مصر ،بلا تاريخ

- محمود السمرة، عبدالله الشحام، مدخل الى النقد الأدبي ، عمان ،١٩٨٥

- مصطفى الجوزو ، نظريات الشعر عند العرب، مصطفى الجوزو ،بيروت ، بلا تاريخ

- نجيب البهتيني، أبو تمام الطائي ،حياته ،وحياة شعره ،القاهرة ، ١٩٤٥

- هند حسين طه ، النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، العراق ١٩٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- دواوين الشعر

- ديوان امرىء القيس، شرح وتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ط ٤ القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤

- ديوان البحتري (أبو عبادة الوليد بن عبيد، شرحه وعلق عليه محمد التونسي، بيروت ، دار الكتاب العربي -١٩٩

- ديوان أبي تمام، شرح وضبط إيليا الحاوي، بيروت دار الكتاب اللبناني ١٩٨١

- ديوان جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي، تحقيق كرم البستاني، بيروت ،دار صادر ١٩٦٤

- ديوان جميل بثينة (جميل بن عبد الله بن معمر العذري) حققه وقدم له فوزي عطوي ، بيروت ١٩٦٩

- ديوان زهير

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، ديوان العسكري، جمعه وحققه جورج تنازع ، دمشق ،١٩٧٩

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، ديوان المعاني، تقديم وتعليق أحمد سليمان معروف،دمشق ، وزارة الثقافة ، ١٩٨٤

- ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب بغداد ، مكتبة العاني ، ١٩٦٢،

- ديوان ابي الطيب المتنبي (احمد بن الحسين) بشرح ابي البقاء العكبري ، محي الدين ابو البقاء عبد الله ابن الحسين البغدادي المسمّى ،« بالتبيان في شرح الديوان ، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الابياري عبد الحفيظ شلبي، بيروت، دار المعرفة ١٩٦٨.

- ديوان النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية، تقديم وشرح علي ابو ملحم، بيروت ، دار ومكتبة الهلال ، ١٩٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجلات:

١. مجلة الثقافة عدد ١/ ١٩٣٩ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة.

٢. مجلة الكاتب المصري عدد ٥ / ١٩٤٦ ، القاهرة ، دار الكاتب.

المراجع الاجنبية

Acadimic American Encyclopedia V. 5. 1989. U.S.A.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٧٠١٣٤

ABSTRACT

Abu-Hilal Al-Askary As a Critic
Amal Atalla Abdel-kareem El-Mashaiekh
Supervised by
Mohammad Ali Abu-Hamdeh

Abu-Hilal Al-Askary (died after 395 Higra) was one of the distinguished scholars in criticism and literature during the fourth Higra century.

This study focuses on studying criticism standards in both poetry and prose through the book written by Abu-Hilal "Al-Sina'tain".

The first chapter was about Abu-Hilal's life and the prevailing conditions.

In the second chepter, I have discussed theoritical criticism by AbuHilal through four items: Diction and Meaning, Literature, Cultural level, Figurative Speech.

Chapter three was directed towards applied criticism trying to determine Abu-Hilal's taste by studying his poetry and prose selections. In his poetry selection I've elaborated on his poetic criticism.

Chapter four deals with Abu-Hilal's Literary Taste.

The fifth and last chapter was concerned with the effect of Abu-Hilal in other books of criticism and literature in the Arabic language. I found that Abu-Hilal's ideas and opiniouns confirm his mastering the art of criticism.

It is worth mentioning that during Abu-Hilal's era, literature was not different from that criticism.

In all of his opinions, Abu-Hilal was distinguished by his knowledge and good taste. This is why his ideas and thoughts remained as guide lines for those who came after him.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit